
ليمان أبي زعبل
رواية
الشيخ
اللومانجي
جمال سويد

الشيخ اللومانجي

الكتاب: الشيخ اللومانجي

المؤلف: جمال سويد

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد

تدقيق لغوي: سُكونْ

رقم الإيداع: 2018/20429

الترقيم الدولي: 978-977-778-145-9



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة



ت: 338560372-02

Noon_publishing@yahoo.com

جمال سويد

الشيخ اللومانجي

رواية





فيما عدا الأحداث السياسية والتاريخية - تظل احداث الرواية وأبطالها من وحي خيال المؤلف وليست رجعا ولا ترجمة لأشخاص أو لوقائع حقيقية

المؤلف



فزعت شيماء من نومها ترتجف على إثر كابوس داهمها في نومها، جلست على سريرها تلتقط أنفاسها ومدت يدها إلى كوب الماء وارتشفت منه رشفاتٍ ثم تمتمت: "خير اللهم اجعله خير".. فقد رأت فيما يرى النائم أنها كانت تعبث بسلاح ناري في يدها فطاشت منه طلقة استقرت في قلب أُمها فسقطت أرضًا مدرجةً في دمائها وسط ذهولها وصراخ شقيقتها الصغرى. أُمها التي لم ترها منذ ما يقرب من عامين، منذ أن وقع لها ما وقع وسلبتها الإسكندرية ما لم تستطع أن تعود بدونه إلى قريتها التابعة لمركز أبي حمص محافظة البحيرة، لم تجرؤ حتى على محادثتهما تليفونيًا لا هي ولا شقيقتها الصغرى "مها".. ماذا تقول لهما بعد أن خذلتهما وألحقت بهما العار وحطَّمت أحلامهما التي عقداها عليها عقب أن تركت قريتها الصغيرة لتلتحق بكلية الصيدلة جامعة الإسكندرية.

وضعت شيماء يدها على وجهها وأجهشت بالبكاء بعد أن هاجت بها تلك الذكريات التعيسة التي أحياها ذلك



الحلم المفزع.. لم تستفق إلا على صوت أذان الفجر الذي رنَّ في أرجاء الشقة منبعثًا من مسجد أبي العباس القريب من الشقة التي تقيم فيها في أحد العقارات العتيقة المطلة على الميناء الشرقي بمنطقة بحري أعرق أحياء الإسكندرية وأجملها..

سرى صوت المؤذن في المكان رخيمًا جميلًا وقورًا، فتسلل الصوت الشجي إلى قلبها فملأ الخشوع وجدانها. أعقبه صوت أذان آخر آتيًا من مسجد الإمام البوصيري المجاور ليتعانق الصوتان كلاهما رجعًا للآخر ليكوِّنا معًا مزيجًا يبعث على الشعور بالايمان والأمل والطمأنينة.. "حي على الصلاة".. ما إن نطق بها المؤذنان حتى استنفر الإيمان قلبها فقررت أن تنهض من نومها لتتوضأ لأداء صلاة الفجر استجابةً لشعور عميق داخلها يترجم مدى حاجتها إلى التواصل مع الخالق الرحيم غافر الذنب قابل التوبة.. شعور لأول مرة يُداخلها ويسري في أعماقها.

وما إن برحت شيماء سريرها حتى ترامى إلى سمعها صوت مزلاج باب الشقة وهو ينفتح. امتلكها الرعب..



ظنته لصًا يحاول دخول الشقة! ولكن هل يجرؤ لصٌ على اقتحام عرين الأسد؟ الناس في المنطقة تعرف أن الشقة تخص "المعلم رشدي " ولا يجرؤ لِصٌّ أو مجرمٌ على الاقتراب منها أو الاعتداء على حُرمتها، فجزاؤه سيكون القتل لا ريبَ.

مَن إذًا؟ أيكون هو؟ ولكن رشدي لم يكن يزورها في هذه الأوقات المبكرة أبدًا. فقد اعتادت منه أن يزورها مرتين أو ثلاث مرات أسبوعيًا يتناولان معًا طعام العشاء ويسهر معها وحدهما أو مع صديقه وكاتم أسراره مصطفى أو صديقتها الوحيدة المسموح لها بزيارتها نجوى، وكان ينصرف قبيل الفجر بسويعات قليلة، صاحت في اضطراب:

- مين؟

جاءها صوته الخشن من صالة المسكن.

- إنتي لسه صاحية يا شيما؟

اطمأنت شيماء قليلًا وسارعت بالخروج إليه.

- خير يا رشدي إيه اللي جابك الساعة دي؟

فأجابها بحدة:

– هو أنا عايز إذن عشان آجي بيتي؟ ولاَّ فيه مواعيد للدخول!.. إنتي بتستهبلي!

- لا والله ما أقصد بس إنت أول مرة تيجي في الوقت ده وأنا خفت لما سمعت الباب بيتفتح، أهلا بيك يا حبيبي نورت البيت، إنت واحشني بقالي تلات أيام ماشفتكش. ضحكَ رشدي قائلًا:

- أصل أنا كنت سهران مع مجموعة من المقاولين الثُقال، عندهم مصلحة كبيرة وعايزني أخلصهالهم، وبعد ما خلصت لقيت نفسي قُريّب وهفّني الشوق قلت آجي أطل على المُزّة بتاعتي هه هه.. مش واجب برضو.. يلا قومي كده وفوقي واغسلي وشك وحضّري العِدّة والقعدة وتعالي نفطر أنا جايبلك الهريسة بالقشطة اللي بتحبيها.. يلا شهلي يا دكتورة.

أومأت شيماء برأسها وانصرفت لتنفِّذ ما أمرها وقد أيقنت أن مشروع الوضوء والصلاة الذي أزمعت القيام به قد فشلَ.

فتح رشدي الشرفة المطلة على البحر مباشرة لتتراقص من أمامه على اليسار قليلًا أضواء نادي الكشافة القديم وتجثو من خلفه ظلال قلعة قايتباي الأثرية العتيقة.

كان الفجر قد بدأ في الانبثاق رويدًا ليرسل ضوءًا باهتًا على المكان فيكشف مزيدًا من سحره وجماله.

جلس رشدي بالشرفة على إحدى الأرائك المصنوعة من "البامبو" يعلوها فرش وثير وأمامه منضدة متوسطة الحجم، أخرج من جيبه علبة سجائره "الملفوفة" وسحب منها سيجارة غليظة أشعلها وجلس ينفث دخانًا كالضباب منتظرًا شيماء بشغفٍ، ودارت برأسه ذكريات لقائها الأول، وما عرفه عنها بعد هذا اللقاء الدرامي فقد كانت فتاة صغيرة فاتنة الجمال نزحت من قريتها لتلتحق بكلية الصيدلة فأقامت في



إحدى دور الطالبات، وبدون خبرة وقعت في براثن صديقات سوء غرَّها مظهرهن وانبهرت بطريقة حياتهن المنفتحة المُتفتحة فظنت أن مظاهر الرقي والتحضر تتجلى في محاكاتهن، فاندمجت معهن وصارت تُمعن في تقليدهن - بلا وعي - إخفاءً لمظهرها الريفي البسيط ومواراةً لعاداتٍ وتقاليد أصيلة نقية ظنتها تخلفًا وتقهقرًا وسوءة وجبَ مواراتها فما لبثت إلا وانزلقت إلى حياتهن اللاهية دون أن تقف على جل مخاطرها إذ لم تكن تملك من خبرة عاصمة سوى تلك التربية الريفية البدائية الساذجة، فانجرفت رويدًا إلى أن وجدت نفسها بين مخالب وحش لعينٍ اسمه "الإدمان".

قابلها رشدي في ذلك الحي الشعبي الذي يقطنه ويمارس عليه سلطانه ونفوذه وسطوته، رآها هائمة تبحث عن ذلك القميء المدعو/ صبحي الذي كان يمارس نشاطه في الاتجار بمخدر الهيروين في أزقة الحي وحاراته، وما إن وقع بصره عليها حتى استلب وجدانه حسن جمالها وفتنة قوامها، كان رشدي قد

أصدر فرمانًا سابقًا بطرد صبحي من الحي لمراوغته في سداد الإتاوة المفروضه عليه إضافة إلى شكاوى الناس المتكررة منه بسوء سلوكه مع أبناء وبنات الحي. فرغم أنه يحترف مهنة البلطجة - التي كوّن من خلالها ثروةً كبيرةً، كان لا يقسو على الفقراء والمساكين والمعدومين من أهل الحي بل كان حريصًا على أن يكون لهم ملاذًا وسندًا، ليكونوا له ظهيرًا شعبيًا فكان يمارس مهمة "كبير الحتة" يساعده في ذلك وفرة ماله ورجاله وعتاده ورهبه اسمه "المعلم رشدي اللومنجي".

ترك صبحي الحي وانصرف انصياعًا لأوامر المعلم رشدي مخلفًا وراءه نفرًا من تابعيه ظلوا يمارسون في الخفاء هذه التجارة اللعينة. فلما لم تجد شيماء "صبحي" دلّها بعض المدمنين المنتشرين في الحي إلى تابعه "إبراهيم خمسينة" ذلك الرعديد الذي كان يحتمي في ممارسة نشاطه القذر بالعمل كمرشد لضابط مباحث القسم.

فما إن استدلت عليه شيماء وابتاعت منه لفافة من ذلك المخدر اللعين حتى انقضَّ عليها رجال الشرطة وقبضوا عليها تاركين "إبراهيم خمسينة" يعيث في الأرض فسادًا وإفسادًا.

تم القبض عليها في مشهدٍ مُؤثر رآه رشدي فاستغله مستترًا وراء شهامة ومروءة كاذبين فأرسل بعض رجاله لمساعدتها وقام بتوكيل محامٍ شهير للدفاع عنها.

مكثت شيماء بالحبس لمدة شهرين حتى أُخليَ سبيلها بضمان مالي سدده رشدي، ثم قُدِّمت للمحاكمة واستطاعت بمعاونة المحامي الذي وكله للدفاع عنها أن تظفر بالبراءة.. ولكن تلك البراءة لم تشفع لها في النجاة من عقوبة الفصل من الجامعة، لم تجد شيماء مأوىً لها ولا ملاذًا إلا رشدي الذي أدخلها إلى مصحة لعلاجها من الإدمان، وما إن شُفيت أو تماثلت أثث لها هذه الشقة المطلة على البحر لتعيش فيها يتكفّلُها ويغدق عليها ليصبح سندها الوحيد بعد أن صارت وحيدة منبوذة فاتخذها لنفسه خليلة.

أفاق رشدي على صوت خطوات شيماء وهي تتهادى دانية منه وانحنت بليونة أنثوية طاغية لتضع بعض الأطباق على المنضدة، ثم سألته بصوت خفيض ممزوج بقليل من الميوعة:

- تشرب حاجة؟

ابتسم رشدي ابتسامة عريضة اظهرت اعوجاج أسنانه الداكنة ونظر إليها منبهرًا بقوامها الممشوق الذي يزيده إثارة ذاك الرداء الوردي الشفاف الذي ينسدل على جسدها متموجًا فوق صدر ناهد لا يقوى على ستر نفوره ثم يفيض على خصر ناحل ممدود ليتخبط من بعد في وجلٍ حول أرداف بارزة في غير خجل، رجراجة على مهلٍ، وينحسر عن ساقين وكأنهما مرمر منحوت بالغَ فنانٌ حاذقٌ في إبداعهما.

قال رشدي بصوت عالٍ:

– يا صلاة النبي.. يا جامد انت يا جامد.. يخرب بيت حلاوتك.



نظرت إليه شيماء مبتسمة فكشفت – من بين شفتين قرمزيتين مكتنزتين بلا إفراط - عن أسنان صغيرة بيضاء متراصة لامعة ووجهٍ أبيض تخالطه حمرة وعينان مسحوبتان من أطرافهما، تشع - من خلال أهدابٍ كحيلة - حدقتان لامعتان بلون عسلي فاتح ممزوج بصفرة شاحبة.

جلست شيماء - بعد أن أحضرت بعض الأطباق ووضعت فيها الحلوى وكأسين فارغين وزجاجة "نبيذ فرنسي" - إلى جواره تحاول أن تواري ما بداخلها من اشتياق وحنين لحياتها الأولى مع أُمها بالقرية آمنة مطمئنة فقيرة سعيدة. نظرت إلى البحر وقد افترشت أشعة الشمس الوليدة لتوها قوس السماء وسطح الماء معًا. فامتزجت امتزاجًا بديعًا زرقة السماء الصافية مع زرقة البحر الصامت.

توقف نظر شيماء عند البحر طويلًا – فهو صديقها الذي يؤنس وحدتها، فكم أمضت أمامه الساعات الطوال تُحدِّثه بصمتٍ وتنظر إليه نظراتٍ هامسة، فهي والبحر صنوان – كلاهما جميل الصفحة هادئ المظهر،

نقي السريرة، وكلاهما يطوي تحت صفحته الجميلة الهادئة أسرارًا دفينة وأحزانًا عميقة ودوامات مُغرقة.

قطع عليها صمتها وتأملها صوته الخشن وهو يقول لها "اشربي كأسك".. فردّت عليه بهدوء:

- مش عايزه أشرب على الصبح كده.

فوافقها وأرسل يده حول خصرها فطوقها وضمها إليه وجلس يحتسي الكأس تلو الكأس ويلتهم منها جزءًا بعد كل رشفة ويشعل سجارة مكتنزة بعد أخرى ويثرثر كعادته عن بعض مفارقات مغامراته الإجرامية وبعض نوادر تابعيه من الأشقياء وعن بعض ذكرياته في السجون التي التحق بها؛ فقد كان يفخر دائمًا أنه لم يترك سجنًا ولا ليمانًا في مصر إلا وكانت له فيه ذكرى ومقام. ولذلك فقد كُنى بـ "رشدي اللومانجي" لأنه كان نزيلًا في كل ليمانات مصر من أقصاها إلى أدناها.

قاطعته فجأة قائلة:



- رشدي أنا عايزة أشوف أمي..

نظر إليها باستغراب: أمك.. أمك مين؟

- أمي الحاجة "وجيدة" وأختي "مها" وحشوني جدًا وحلمت بيهم قبل الفجر حلم وحش وعايزة أتطمن عليهم.

- غريبة أنا أول مرة اسمعك تجيبي سيرتهم.

- هو أنا عشان ما باجبش سيرتهم أبقَى نسيتهم!

- طيب وحاتروحيلّها إزاي دي وحاتقوليلها إيه؟ كنتي فين المدة دي كلها؟ وإيه عرفك إنها لسه عايشة دي عمرها ما سألت عليكي؟

- أنا اللي قطعت.. وهما يامه دوروا عليّا وراحوا سألوا عني في الكلية وكانت نجوى بتجيبلي الأخبار من الكلية ومن بيت الطالبات، وانت عارف معارف نجوى كتير وكانوا بيسألوها عليّا وبيقولولها إن أمها وخالها دايخين عليها بس أنا كنت مِحرَّجة عليها تعّرفهُم

مكاني، وانت عارف السبب، ماكنتش أقدر أوريهم وشي بعد اللي حصل.

ضحك قائلًا:

– طب ودلوقتي حاتوريهم وشك إزاي؟ وحاتقوليلهم إيه؟ وعايشة فين؟ ومع مين؟ وكنتي فين المدة دي كلها؟ نصيحة منِّي.. إنسيهم، وأنا ممكن أبعت حد من الرجالة يروح عندك البلد يسأل عليهم من بعيد كده ويجي يطمنك لو عايزة.

- رشدي، ممكن أسألك سؤال؟

- أؤمر يا جميل.

- إنت صحيح بتحبني؟

- سؤال غريب! أومال أنا عامل معاكي كل ده ليه؟ عشان بكرهك؟



- لأ يعني بتحبني وبتثق فيَّا واللي عملته زمان، يعني الشم وكده مش مأثر على حبك ليا وثقتك فيّا.

- لأ أنا عارف إنها كانت ظروف وخلصت وانتي دلوقتي واحدة تانية.

- رشدي انت ممكن تتجوزني؟!

سكت رشدي مليًا وقد فاجأه الطلب، ثم قال:

- إيه الطلب الغريب ده؟ بطَّلي تهيؤات وارضي بعيشتك وماتنسيش يا روح أمك اللي عملته معاكي! فاكرة ولَّا أنكد عليكي وأفكرك؟ ماتنسيش نفسك يابت. قالها بحدة شعرت حينها أن سكينًا قد وخزتها في قلبها فلم تجد نفسها إلا وقد أجهشت بالبكاء.

وفى تلك اللحظة رن موبايل رشدي فظهر على شاشة الهاتف المحمول اسم "دعبس".

سارع رشدي بالرد على الهاتف، فهو مساعده وذراعه الأيمن وشريكه في كل أعمال البلطجة والسطو على



الأراضي والعقارات.

- خير يا زفت فيه إيه على الصبح؟

- نعم! هي عيّلت ولّا إيه؟ هي الحتة مالهاش كبير يا دعبس؟ وإيه اللي حدَف الواد النجس ده علينا؟

- آه قول كده ما هو انت عامل زي البط جايب القرف في رجليك.. اتصرف يا دعبس وما توجعش دماغي، ده عيل هايف خلّي الرجالة تديلُه علقه حلوة هو والعيال اللي معاه.. بس إسمع مش عايز لا دم ولا ضرب نار، وعايز لما أوصل يكون الشارع هادي ومفيش مشاكل أنا مش ناقص بلاوي اليومين دول إحنا داخلين على عملية كبيرة ومش عايز شوشرة ولا مشاكل ومش عايز الحكومة تشم خبر عن المشكلة اللي عندك خلصها بطريقتك.. سلام.

أغلق الهاتف غاضبًا.. ونظر إلى شيماء صائحًا:

- أهو شفتي اليوم اللي اصطبحت فيه بوشك باين من أوله.. أنا ماشي ولما آجي بالليل مش عايزك تفتحي



المواضيع الخايبة دي تاني.

انصرف رشدي بعد أن أغلق باب الشقة بعنفٍ وراءه مخلفًا شيماء في حزنها وحيدة شريدة ضعيفة بائسة.

استقل رشدي سيارته الضخمة ذات الدفع الرباعي وقادها مسرعًا متجهًا إلى منطقة نادي الصيد – وهي منطقة عشوائية أُقيمت على الأراضي الزراعية التي كانت تحيط بنادي الصيد الواقع بأطراف حي محرم بك العريق – حيث نشأته وإقامته ومركز نفوذه - ليستطلع حجم المشكلة التي أبلغه بها مساعده دعبس تليفونيًا، يبدو أن المشكلة كبيرة، فقد اقتحم المكان مُسلحًا وفي معيّته أكثر من ثلاثين صبيًا صغيرًا شاهرين أسلحتهم المدعو "حودة المجري" المقيم بمنطقة الحضرة القبلية والذي يتزعم عصابة كبيرة العدد من أطفال وصبية الشوارع المنتشرين في القطارات والشوارع والأزقة يمارسون كل الأعمال غير المشروعة بداية من المسح على زجاج السيارات بكل إشارات المرور وبيع المناديل ونشل المارة في الأماكن المزدحمة مرورًا بنشاط تجارة المخدرات والدعارة



والفجور وانتهاءً بسرقة المساكن، أتى هذا "المجري" مطالبًا برأس دعبس شخصيًا بزعم أن الأخير قد انتهك غلامًا من التابعين له.

يعرف رشدي أن هذا "المجري" شديد الخطورة وهو في غضبه لا يتورع عن فعل أي شيء دون أدنى حساب للنتائج. ويعرف أن من شأن تركه يقتص من دعبس في عُقر داره أن يفقد هو نفوذه في منطقته وتهتز صورته ويفقد سطوته الإجرامية وسيطرته على معاونيه – وفي المقابل فإن مواجهة هذا المجري وصحبته أمرٌ شديدُ الخطورة قد يتخلف عنه عدة قتلى وجرحى مما سيجر عليه وعلى رجاله مخاطرَ تدخُّل رجال الشرطة والقبض على رجاله وحبسهم وربما يمتد الأمر إليه كالعادة ويتم اعتقاله – والوقت غير مناسب الآن للمكوث في المعتقل مدة غير محددة ولا محسوبة لاسيما وأنه مُقبل على عملية جديدة قد تدر عليه ملايين الجنيهات، فقد اتفق لتوه مع أحد كبار مقاولي الإسكندرية ذائعي الصيت على قيامه بطرد بعض قاطني عقارٍ كبيرٍ في منطقة راقية



بالإسكندرية كان المقاول قد اشترى العقار بعشرة ملايين جنيه وقد عزم على هدمه وإقامة صرحٍ سكني وإداري ومول تجاري على كامل مساحة الأرض المقام عليها العقار والتي تربو على الخمسة آلاف متر مربع إلَّا أن بعض قاطني العقار يرفضون إخلاءه ويرفضون كل العروض التي عرضها المقاول عليهم سواء كان تعويضًا ماديًا أو إعطاءهم عقود تمليك لشقق بديلة في العقار الجديد بعد تشييده، مما جعل المقاول يلجأ إلى رشدي للتصرف مع هؤلاء المستأجرين لإخلائهم، وقد تم الاتفاق بينهما على أن يُحرِّر المقاول عقد بيع "صورى" لكامل العقار لرشدي على أن يستخدم طُرقَه الإجرامية في الضغط على المستأجرين ليرضَّخوا في النهاية ويتم إخلاء العقار بالمقابل الذي يحدِّده لهم رشدي "باعتباره المالك الجديد" وقد تم الاتفاق على مبلغ عشرة ملايين جنيه في مقابل أن يُسلِّمه رشدي الأرض فضاء بعد أن يقوم بإخلاء المستأجرين وهدم العقار حتى سطح الأرض. هي عملية يحترفها رشدي ويعرف تمامًا كيف يقوم بتنفيذها، فيكفي أن يُقيم رجاله في العقار يجاورون هؤلاء المستأجرين

ويمارسون معهم كافة أنواع المضايقات التي من شأنها أن تجبرهم على ترك الوحدات التي يشغلونها نجاةً بأنفسهم وأولادهم من البطش والتنكيل والتحرش الذي يُمارَس عليهم بما في ذلك تعطيل المرافق وقطع المياه والكهرباء وتخريب العقار وهدم بعض أجزائه الرئيسية كالسلم والمصعد وغير ذلك.

أخذ رشدي يفكر في كل هذا ويحاول أن يقدح زناد فكره علّه يجد مخرجًا من هذه المشكلة التي جلبها عليه دعبس "اللّه يلعنه" فكم من مرة جلب عليه المشاكل بغبائه وسوء تصرفاته وشذوذ سلوكه ولكنه للأسف الشديد لا يستطيع أن يتخلص منه فهو بشكله المروِّع المخيف وقلبه الميت وقوة سيطرته وسطوته على باقي رجال العصابة لا يقوى على التخلي عنه ولا يستطيع العمل بدونه.

الحل الأمثل لهذه المشكلة هو أن تتدخل الشرطة ويتم القبض على "حوده المجري" وصبيته المدججين بكافة أنواع الأسلحة قبل وصوله إلى المنطقة – إلا أنه يعرف جيدًا أن الشرطة لن تتدخل، فهي في مثل هذه



الحالات تترك الخارجين على القانون وشأنهم في اعتداء بعضهم على بعض ولا تتدخل إلا بعد أن تنتهي المعركة وما يتخلف عنها من قتلى وجرحى ليتم القبض على بعض أفرادٍ من الطرفين وإرسالهم إلى النيابة وحبسهم وبذلك يتم الخلاص من الطرفين معًا.

ولكن الفكرة جديرة بالمحاولة.. أخرج رشدي هاتفه المحمول وطلب رئيس مباحث القسم فهو بالطبع يعرفه جيدًا وبينهما أعمال مشتركة، فكم من مرة لجأ إليه رئيس المباحث ليعاونه على بعض الأشقياء الخطرين أو للتوسط بين فريقين متنازعين لحل المشكلة وحقن الدماء، كما أنه يلجأ إليه في موسم الانتخابات لمعاونة مرشح الحزب الوطني وإمداده بالرجال المسلحين ليقفوا معه في مواجهة خصومهم والتصدي لتجمعاتهم وافتعال المعارك معهم ومنعهم من الوصول إلى صناديق الاقتراع ومحاصرة اللجان، حتى يتمكن رئيس المباحث ومعاونوه من ملء تلك الصناديق ببطاقات الاقتراع المزورة.



لا بأس في أن يطلبه ويحاول إقناعه بالقبض على ذلك "المجري" خلاصًا من هذه المشكلة.

- ألو أيوه يا معالي الباشا أنا رشدي.

- اللومنجي يا باشا.

- الحمد لله، موجود يا باشا تحت أمرك.

- يا باشا أنا باطلبك عشان أخْلِي مسؤليتي عن اللي حايحصل دلوقتي في نادي الصيد.

- الولّه اللي اسمه "حودة المجري" بتاع الحضرة.

- أيوه هو يا باشا جه المنطقة ومعاه شوية عيال مُسلحين وداخلين على الناس ضرب وشتيمة وقلة أدب ولو حد اتهور حاتحصل مصيبة وضرب نار وحايروح فيها ناس غلابة مالهمش ذنب.

- لا يا باشا أنا في مشوار في برج العرب والناس كلموني في التليفون وقالولي إن الناس في الحتة

خايفة وبتصوت.

- أكيد طبعًا وصلك الكلام.

- دعبس آه. لا ما أعرفش.

- يعني سيادتك وصلك الكلام.

- لا يا باشا أنا بعيد ماليش دعوة بس أنا بقولك عشان عارف المصايب اللي حتحصل.

- وأنا بقول يعني الواد ده لو شاف أي حد من البهوات المعاونين والمخبرين وكام أمين بالعربية البوكس حايبلّغ فرّار ونتقى شره.

- لا يا باشا العفو محدش يقدر يعلمك شغلك.

- ما انت عارف دعبس يا باشا طول عمره عيِّل زبالة ووسخ وديله نجس.

- لا والله يا باشا أنا مقاطعه ومتّقي شره.

- بس يا باشا دعبس مش ساهل والواد الهايف ده مش حايقدر عليه وحتروح فيها رقاب والدم حايكتر وأنا اللي حاشيلها.

- خلاص يا باشا أنا مش حاروح هناك بس ربنا يستر شكرًا يا باشا مع ألف سلامة.

أدرك رشدي أن رئيس المباحث لا يريد أن يتدخل إلا بعد أن تقع الواقعة عله يتخلص من كليهما دعبس والمجري أو من أحدهما وبعض رجال هذا وصِبية ذاك.

وقف رشدي إلى جانب الطريق بسيارته لا يعرف ماذا يفعل؛ فقد حذَّره رئيس المباحث من التواجد بالمنطقة وهو يعرف أنه إن ذهب سيتحمل وحده التبعة والمسؤلية الرئيسية عن نتائج المعركة التي سيروح ضحيتها حتمًا بعض الأشخاص.

وفي تلك اللحظة رن هاتف رشدي.. إنه "حسن تيوان" أحد رجال عصابته وقد اشتهر بينهم بلقب تيوان لأنه



كان يطلق لحيته ويظهر التدين على غير الحقيقة، فلمعت في رأسه فكرة.

- ألو أيوه يا حسن.

- أيوه عارف دعبس قالِّي.

- لا يا حسن مش عايز ضرب نار خالص.

- يلعن أبوك على أبو دعبس على أبو اليوم اللي اشتغلتم معايا فيه.

بقولك إيه خلّي دعبس يِكّنْ في أي مكان وما يظهرش خالص وخلي الرجالة كُلّها تستعد ويعملوا دايرة مفتوحة على الولّه حودة والعيال اللي معاه من بعيد لبعيد وخلي الأسلحة باينة بس محدش يتهور ويضرب طلقة.

وروح للشيخ "سعيد الزيني" ماهو حبيبك، حاتلاقيه في الجامع دلوقتي وقوله يامولانا الراجل ده جاي وناوي شر، ورجالة دعبس ناويين شر برضو ومفيش

غيرك اللي ممكن تتدخل وتمنع المصيبة قبل ما تحصل والناس كلها بتحبك وأكيد حيسمعوا كلامك.

- حاول يا حسن تسخنه وتخليه يحاول يلم الموضوع، بس ادخل له لوحدك، وقوله إن انا اللي بعتك.. يالّا نفِّذ وطمني.

كان رشدي على يقين أن الشيخ سعيد الزيني سيستجيب وسيحسن التصرف، هو إمام وخطيب مسجد رياض الصالحين وهو شيخ سلفي يحبه الناس ويطيعونه وله أتباع ومريدون كُثر وهو أيضًا يعمل مقاولًا قام ببناء عدة عقارات بالمنطقة وخارجها وكان يستعين برشدي في حماية العقارات التي يبنيها دون تراخيص والأراضي التي يشتريها بعقود غير مسجلة، وكم من مرة تصدَّى رشدي لمحاولات السطو على هذه الأراضي أو تلك العقارات ولم يكن يأخذ مقابلًا منه عن تلك الحماية التي يوفرها له.. وفي المقابل كان الشيخ سعيد وأتباعه من المشايخ يتحدثون إلى الناس عن رشدي بحديثٍ حَسَنٍ ساهم في زيادة شعبيته بين أهل الحي سيَّما وأنه كان يواظب على نحر الذبائح في كل



المناسبات وتوزيعها على أهل المنطقة ببذخ واضح حتى يذيع صيته بينهم - كانت هذه الشعبية هي جزءٌ من أدوات رشدي فهو يستجلب بها طاعة الناس – فطاعة الناس تستجلب رهبًا أو طمعًا أو بكليهما.

****

دخل حسن الناضورجي إلى مسجد الشيخ سعيد الزيني مسرعًا يبحث عن الشيخ بين الجالسين لدى محراب المسجد فوجده جالسًا وحوله بعض أتباعه ومريديه من مشايخ السلفية فألقى عليه السلام مبديًا إمارات الاحترام الممزوجة بعلامات الفزع قائلًا بصوت متهدج:

- بالله عليك يا مولانا أنقذنا.. أهل الحتة كلهم طمعانين في شهامتك ورجولتك.. إنقذهم واحقن الدم يا مولانا.

رد عليه الشيخ بصوت جهوري:



- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. إهدا يا ابني.. فيه إيه؟

- فيه واحد صايع من الحضرة إسمه "حودة المجري" جاي يهجم على الحتة ومعاه شوية عيال صُغيرين مسلحين وحالفين يدبحوا "دعبس" والناس خايفة من اللي حايحصل..

- طب وأنا مالي يا ابني بالحكاية دي.. اتنين مجرمين بيتخانقوا مع بعض إيه اللي يدخلني أنا في وسطهم..!

- يا مولانا انت كبيرنا والناس كلها بتحبك وبتخشاك ومحدش يقدر يكسَّرْلَك كلمة.. والموضوع مش خناقه بين اتنين، ده كل واحد فيهم معاه ناس مسلَّحة ولو بدأت الخناقة مش حتفرَّق وحايروح فيها ناس كتير مالهمش ذنب، ضرب النار حايبقى من كل ناحية ومش حاينقّي. وانت برضو شيخنا المفروض تتصرف، وحقن الدم واجب شرعي مش انت اللي كنت بتقول كده في خطبة الجمعة.. ده المعلم رشدي كلمني وقالّي روح للشيخ سعيد هو الوحيد اللي حايقدر يخلص



الموضوع، وهو جاي في السكة، وأنا خايف الدنيا تولع ما يقدرش يطفيها لوحده.. بالله عليك تتصرف يا شيخ..

أطرق الشيخ سعيد برهة وأخذ يفكر فيما يقوله حسن.

وبعد مشاورة خافتة مع نفرٍ من مريديه، خرج ومن معه إلى باب المسجد يستطلع ما يحدث. أشار له حسن على "حودة المجري" ومن معه وأشار له أيضًا على المسلحين الكامنين بالطرقات والشرفات وأسطح المنازل من أتباع رشدي ودعبس وكل يحمل سلاحًا ناريًا ظاهرًا.

طلب الشيخ سعيد من حسن أن يهاتف رشدي ليبلغه أن يطلب من رجاله أن يطيعوا الشيخ سعيد فيما سيطلبه منهم.. ففعل حسن ووافقه رشدي وطلب إمهاله خمس دقائق ليبلغ رجاله بالأمر.

وبعد الدقائق الخمس أمسك الشيخ سعيد بمايكروفون المسجد وخرج إلى الباب الخارجي معتليًا مصطبة



تجاور مدخل المسجد على غير العادة قائلًا:

- بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين رسول السلام والرحمة المهداة إلى العالمين. ثم أما بعد. أيها الناس، يا أهل نادي الصيد الكرام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

كان صوت الشيخ جهيرًا مزلزلًا رج أركان المكان بفعل مكبرات الصوت الكثيرة والمنتشرة في أرجائه فبدأ الناس يتكأكئون حول المكان منصتين في وجل، فليس هذا موعد صلاة ولا خطبة ولا درس، ولم يعتادوا من الشيخ أن يبرح المسجد مخاطبًا الناس عبر الميكروفون. انتظر الشيخ قليلًا حتى بدأ الناس يتوافدون أمام المسجد استطلاعًا للأمر.

ثم استطرد قائلًا:

- أيها الأحبة، أرى الفتنةَ باديةً تطل برأسها الكريهة بينكم، وأكاد أرقب شرارتها الأولى تشتعل، فاحذروا



فهي إن اشتعلت لا تُبقِي ولا تزر.

الفتنةُ نائمةٌ لعن اللّه من أيقظها.. لعن اللّه من أيقظها.. لعن اللّه من أيقظها.

يا أهل نادي الصيد الكرام، ألم تسمعوا قولَ الحقِ سبحانه وتعالى إذ قال "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" صدق اللّه العظيم. وهو الحق الذي قال لكم "واعتصموا بحبل اللّه جميعًا ولا تفرقوا" وهو القائل سبحانه وتعالى "وإنْ طائفتَانِ مِنَ المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما". صدق اللّه العظيم

واللّه ما وقفت بينكم اليوم إلا لأدعو لكم بالخير وأُصلح بينكم لنُخمد معًا الفتنة ونحقن الدماء.

ماذا دهاكم وقد أشهرتم أسلحةً قاتلة في وجوه بعضكم البعض، أفَحُكْم الجاهلية تبغون؟

لا ليس منا من يحتكم إلى السيف، بل نحتكم إلى كتاب اللّه وسنته.



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خُطبة الوداع آخر نصائحه لكم "أيها الناس إنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام".

وقال صلى الله عليه وسلم: "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمنٍ بغير حق".

وقال صلوات الله عليه وسلم: "من أعان على دمِ إمرىء بشطر كلمة كُتب بين عينيه يوم القيامةِ (أيسٌ من رحمة الله) صدق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

- يا أهل نادي الصيد الكرام أنتم أكرم وأرشد من أن ترفعوا أسلحتكم في وجه رجل جاء يشكو أحدكم ويطلب القِصاص منه، لأن القِصاص حق وطالب الحق لا يقاوم بالسلاح.. هلا سمعتم منه؟ فإن كان صاحب حق استجبتم له بشرع الله وأحكام كتابه المبين، وإن لم يكن فردّوه بالتي هي أحسن، وأحسنوا إن الله يأمر بالعدل والإحسان.



يا أهل نادي الصيد، مَن كان يحمل منكم سلاحًا فليعتزلنا وينصرف هو وشره بعيدًا عنا، إن كان يُرضيكم أن تحتكموا إلى كتاب الله وسنة رسوله دعوني أفحص المشكلة بعناية لأصل فيها لكلمة الحق من عند الحق سبحانه وتعالى، أقول قَوْلي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- كان الناس قد تجمهروا على صوت الشيخ وتجمعوا أمام المسجد وأتى كل أتباع الشيخ يحيطون المسجد والمنطقة المحيطة بالمسجد وتجمَّع – كعادتهم في كل تجمهر - بعضٌ من أعضاءِ جماعة الإخوان المسلمين ووزعوا أنفسهم بين المتجمهرين.

وما إن أنهى الشيخ حديثه حتى انصرف أتباع رشدي المدجَّجين بالسلاح تنفيذًا لتعليماته وبدأ أعضاء جماعة الإخوان في الهتاف "الاسلام هو الحل".. "شرع الله عز وجل".. "قادم قادم يا إسلام، حاكم حاكم بالقران".. "إسلامية إسلامية.. لا شرقيه ولا غربية".



وجد المدعو/ حودة المجري نفسه محاطًا بطوفانٍ من البشر والمشايخ لا قِبلَ له بهم سيما وقد اختفى خصومه الحقيقيون أتباع دعبس الذي ما جاء إلا لطلب رأسه فلم يجد من بُدٍ إلا أن يستجيب لدعوة هذا الشيخ فاتجه إليه قائلًا بصوت مرتفع:

- عدَّاك العيب يا عم الشيخ أنا بقَّى عايز حقي بشرع ربنا.

- إيه حكم الشرع في الراجل اللي اتحرش بعيل؟

أُحكم يا عم الشيخ وأنا حانفذ حُكمك حالًا في دعبس، بس ابعت جيبه.. والّا انت ناوي تِحْمِي واحد زي ده؟

ردَّ الشيخ مسرعًا وهو يدنو من حودة المجري:

- إذًا أنت تحتكم إلى شرع الله وترتضي حكم الإسلام.. نعمَ الرأي يا أخ حودة نعم القرار وتأكد أننا في الحق لا نخشى إلا الله، وأننا لا نتبع إلا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم... قول: (عليه الصلاة والسلام).



ردَّد المجري بصوت خفيض "عليه الصلاة والسلام" سرعان ما انعقدت دائرة من أتباع الشيخ جلبوا لها المقاعد من المقاهي المجاورة وأجلسوا الشيخ في الصدارة وأجلسوا حودة على مقعد أمام الشيخ. لم يجد حودة المجري نفسه سوى مُجبر على تنفيذ ما يرونه من اختيار مكان مجلسة وإجلاسه على مقعد محدد وحتى حين أمره الشيخ بأن يضع سلاحه جانبًا أطاعه دون تردد ولا تفكير وكأنه مسلوب الإرادة.

انعقدت الجلسة بالساحة الممدودة أمام المسجد وبدأ المجتمعون الملتفون كدائرة حول الجلسة يهدِّئون ويخفضون أصواتهم ليعطوا للشيخ فرصة الحديث.. وفي تلك الأثناء حضر شيخ وقور يرتدي جلبابًا ليس على غرار جلباب الشيخ سعيد وأتباعه فهو جلباب ملون بلون فاتح يميل إلى الاخضرار قليلًا ولا يضع شالًا أبيضَ على رأسه مثلهم ولحيته قصيرة مهذبة في عناية، وما إن ألقى السلام على الحاضرين حتى أفسحوا له المكان بترحابٍ وتوقيرٍ واضحٍ، ثم نهض الشيخ سعيد يرد السلام ببشاشة.



- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، اتفضل يا حاج محمد احضرنا نسترشد بعلمك.

ووضع أتباع الشيخ مقعدًا بسرعة إلى جوار الشيخ سعيد وجلس الحاج محمد وعلى وجهه ابتسامة لا تفارقه.

إنه الحاج محمد أمين عضو مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان والمسئول عن شرق الإسكندرية. وهو رجل يشهد له الجميع بوضوح تدينه وحسن تعامله على الناس وبشاشة وجهه.

بدأ الشيخ سعيد موجهًا حديثه إلى الحاج محمد قائلًا:

- الرجل ده يا حاج مشيرًا إلى "حودة المجري" - كما سمعت من الإخوة - جه من منطقة الحضرة ومعه شباب صغير السن رافعين السلاح وعايزين ياخدوا تارهم من واحد ساكن هنا في منطقتنا اسمه دعبس.. وبيدّعوا إنه اعتدى جنسيًا على عيِّل منهم، وفي المقابل اتجمّع أصحاب دعبس رافعين السلاح برضو



لصد اعتداء الأخ حودة، وأخيرًا اقتنع الأخ حودة - جزاه الله خيرًا - بالاحتكام إلى شرع الله في حل المشكلة، ده موجز القصة. إيه رأيك يا حاج وانت أكبرنا سنًا وأكثرنا حكمة؟

زادت ابتسامة الحاج محمد عرضًا، وقال بصوتٍ خفيضٍ وقورٍ موجهًا حديثه إلى الشيخ سعيد:

- يا مولانا والله ما فيه أكفأ منك ولا أخبر منك بشئون الفقه وأنا جنبك تلميذ يريد أن يستزيد من علمك وحنكة تصرفك، اتفضل شوف المسألة واحكم فيها بحكم الشرع وإنا إليك لَمُنصِتون.

وهنا سمع الجميع صوت جلبة وصياح آتيًا من أول الشارع، فوجدوا سيارة ضخمة آتية مسرعة ويجري من حولها بعض الشباب يصيحون: وسع وسع المعلم رشدي وصل.

وقفت سيارة رشدي اللومنجي إلى جوار الجلسة وهبط منها متشحًا - على كتفه - بسلاحٍ ناري ضخم

واقتحم الجلسة صائحًا:

- إيه اللي بيحصل ده؟ إزاي ولد زي ده يقعد كده بعد العَملَة السودة اللي عملْهَا؟ يهجم على الحتة ومعاه شوية عيال ويرفع سلاح! ليه؟ هي الحتة مالهاش كبيرا! يا شيخ سعيد الواد ده مش حايرّوح حي ولازم يبقى عبرة، ولّا هي الحتة مافيهاش رجالة؟

انتفض المجري من جلسته باحثًا عن سلاحه فلم يجده.

وهنا صاح الشيخ سعيد:

- جرى إيه يا رشدي إيه الدَّخلة دي، ما تقول سلامُ عليكم يا أخي، وبعدين الراجل ده قاعد عندي وأنا اللي طلبت منه يقعد، وجاي يشتكي وطالب حكمي بشرع اللّه.. هو أنا مش مالي عينك ولا إيه يا رشدي؟

ردَّ رشدي:



- إنت عارف غلاوتك عندنا يا شيخ سعيد، بس الواد ده مايستحقش القعدة دي.. ولو له حق يجي ياخده منّي أنا.. لو يقدر..

صاح حودة: ها هأ.. إيه ده يا عم الشيخ إنتوا عاملين لي كمين ولا إيه؟ فين سلاحي؟

ثم وجَّه حديثه إلى رشدي:

– وبعدين أنا ماجتش جنبك يا معلم رشدي، فيه واحد من رجالتك اعتدى على شرفي.. عايزني أعمل إيه؟ ولو انت مكاني حاتعمل إيه؟

صاح رشدي:

- وَلَا.. إنت عارف إن أنا مش ممكن أبقى مكانك، أنا ما بسرحش عيال يا روح أمك.. إنت نسيت نفسك ولَّا إيه؟

هنا صاح الشيخ سعيد قائلًا:



- لو سمحت يا رشدي إنت كده بتتعدى عليَّا شخصيًا.. مايصحش كده.. الراجل في حِمانا دلوقتي وأنا عطيته الأمان ووعدته إني أجيب له حقه، لو كان له حق. إبعد سلاحك واقعد نسمع منه، ولو عندك رد إبقى رد.

– لا يا شيخ أنا مش حاقعد، وحَسَّيبه دلوقتي عشان خاطرك لكن الناس كُلها لازم تعرف إن أنا والحتة كلها لنا حق عند الواد ده على الدَّخْلَة اللي دخلها وخوّف الناس وعمل فيها أبو الرجالة. وأنا ماباسبش حقي يا عم الشيخ ومش عايز حد يجيبهولي أنا باعرف أخده كويس وأنا قلتها كلمة الواد ده مش حايصبح عليه صبح.

وقبل ما أمشي عايز أعرفك إن الواد ده اللي انت مقعده قدامك بيسرَّح عيال وبيعاشرهم من وهُمَّا أطفال عشان يكسر عينهم، عارف يعني إيه يا عم الشيخ ولا أشرح لك أكتر، إنت راجل طيب وبتاع ربنا ماتعرفش الناس الوسخة دي، واوعى تصدقه لأنه كداب ووسخ، أنا خلصت كلامي والسلام عليكم جميعًا إلا الولّه النجس ده.



انصرف رشدي بعد أن نجح في أخذ زمام الأمور وظهر بمظهر البطل حامي حمى الحي دون أن يخسر شيئًا أو تسيل دماء.

ولكنه أدرك من واقع هذه التجربة أن القدرة على التأثير في مشاعر الناس – لاسِيَّما الدينية- هي سلاح أقوى من كل الأسلحة فالسلطة الدينية هي أقدم السلطات وأقواها أثرًا، وأنه لم يعد وحده القادر بسلاحه وعتاده ورجاله على السيطرة على المنطقة بل هناك من ينازعه تلك السيطرة، ليس بسلطان المال والسلاح بل بسلطان أشد وأقوى.

عاد الشيخ سعيد يمارس مهنته التي يجيدها في استخدام الآراء الفقهية الشاردة ليلبسها ثوب القاعدة الدينية الآمرة واستكمل جلسته بسؤال إلى المدعو حودة المجري:

- قل لنا يا أخ حودة عمل إيه اللي اسمه دعبس والعياذ بالله.



- أنا يا مولانا عندي شوية عيال غلابة مالهُمش غيري لمّيتهم من الشوارع وعلّمت لكل واحد منهم شغلانة حلال ياكل منها عيش بدل ما يمدّ إيده ولّا يسرق، أنا كده غلطان؟

- لا طبعًا يا أخ حودة جزاك الله خيرًا.

- بس عشان رشدي بيقول أنا بسرّح عيال.

- خلاص مالكش دعوة برشدي هو مش موجود دلوقتي.

- أقسم بالله أنا سَكتّ بس احترامًا لوجودك لكن أنا بعون الله كان ممكن أقلبها مجزرة.

- جزاك الله خيرًا. كمّل يا أخ حودة وربنا مايجبش مجازر.

- بس جه الوسخ اللي اسمه دعبس مسك عيل منهم عنده 12 سنة وأخده في عربية سكة حديد مهجورة على السكة وفعل فيه بالعافية.. ومش مرة واحدة، لأ



أكتر من مرة والواد يا عيني خايف منه – لغاية ما طفح الكيل فهرب – وأنا مش عارف هرب ليه؟ مع إني باعامله أحسن معاملة – أحلى أكل وأحلى شرب وأحلى مصروف.. بعّت العيال يدوروا عليه لحد ما لقوه في "أبو قير" فجابوهولي، سألته انت هربت ليه يا ابني؟ فحكالي.. فغِلِي الدم في نفوخي وجريت على المكان اللي فيه الزفت ده عشان آخد بتار الولّه، عشان ما تتكسرش عينه بين باقي العيال ويعرف يعيش بينهم رافع راسه.

- أنا غلطان يا عم الشيخ؟

هو مش اللي يعمل كده يبقى زي قوم لوط اللي ربنا خسف بيهم سابع أرض، قولّي بقى يا مولانا حكم الشرع إيه في اللي زي ده. عشان وعزة جلال الله لأنفِّذ حكم ربنا فيه بنفسي.

- طب الأول عايز أسألك شوية أسئلة.. إنت شُفت واقعة اللواط بنفسك؟

- هاهأ.. لا طبعًا، وأنا لو كنت شُفته كان زمانه لسه عايش؟

- طب كام واحد شاف الواقعة دي؟

- هي الحكاية دي ممكن تتعمل قُدَّام حد يا شيخ!

- يعني مافيش شهود؟

- لا طبعًا..

- أومال انت عرفت إزاي؟

- الواد هو اللي قال.

- وانت إيه اللي مخليك تصدق الولد ده؟

- مافيش حد من العيال دي يقدر يكدب عليَّا.

- هي إيه طبيعة العلاقة بينك وبين الأولاد دول؟

- هاهأ.. يعني إيه طبيعة العلاقة، دول عيال بيشتغلوا عندي وأنا اللي مسئول عنهم.



- ممكن أعرف بيشتغلوا إيه عندك بالظبط؟

- هو فيه إيه يا عم الشيخ؟ إيه دخل ده باللي إحنا فيه؟ إنت حاتعملّي فيها وكيل نيابة ولا ضابط مباحث! هاهأ – إنت شيخ، شغلتك نسألك إيه حكم الشرع في كذا تقولنا، مش تقف تحقق معايا و سين و جيم هو فيه إيه يابا خلصني وجيب معايا من الآخر في اليوم اللي باين عليه مش حايفوت ده.

صاح أحد الحضور في وجه حودة المجري:

- كلم الشيخ عدل واحترم نفسك.

نهض حودة قائلًا:

- يا عم الشيخ سلامو عليكوا أنا ماشي ماتلزمنيش القعدة دي أنا عرفت اللي فيها.

فين يابا سلاحي كنت حاطه جنبي.. ثم أخذ ينادي على بعض الصبية الذين كانوا برفقته فلم يجد لهم أثرًا.



- هاهأ.. إنتوا وديتوا العيال فين؟ وفين السلاح؟

لا الموضوع كده كبير والمشكلة بقى الشيخ طرف فيها وأنا حقي مش بسيّبه أنا مش عويل- هاهأ - كان لازم يا أخ منك له تسألوا عليّا وتشوفوا إنتوا بتتعاملوا مع مين؟ عمومًا أنا ماشي دلوقتي ولما أرجع نبقى نصفي المشكلة دي ونعرف حكم الشرع يا دقانيش.

همَّ حودة بالانصراف، بعد أن أدرك أنه وقع في مكيدة دبرها له هؤلاء المشايخ وكبيرهم الداهية الذي استطاع أن يحشد الناس حوله فحاصروه فأصبح لا يقوى على استخدام السلاح أو استعراض القوة أمام هذه الجماهير الحاشدة التي استنفرها بشدة ذلك الحديث المتطاول. إلا أنهم امتثلوا لإشارة من يد الشيخ فهدأوا.

وقبل أن يهم حودة بالانصراف وقف الشيخ سعيد وربَّت على كتفه قائلًا:



- لأ يا أخ حودة إنت فاهم غلط.. أنا كنت بسألك عشان أقدر أقولك على الحكم الصحيح، وبعدين سلاحك في الحفظ والصون حاتخده وانت ماشي، والولاد اللي كانوا معاك اللي منهم مسلَّح مشّناه معزز مكرم، واللي مامعهوش سلاح سمحناله يستنى. وأظن الكلام ده عملناه برضو مع رجالة اللي اسمه دعبس وعملناه كمان مع رشدي وانت شاهد.. يعني مش انت المقصود بالذات. وعمومًا أنا حقولك قبل ما تمشي حُكم الشرع سواء في سلوك "دعبس" أو في سلوكك اللي انت عملته النهارده.

جلس الشيخ وأجلسوا حودة أمامه وبدأ الشيخ حديثه وقد حرص على أن يتحدث بالفصحى قائلًا:

- "أما عن الفعلة النكراء التي تدَّعى أن دعبس فعلها ففيها نقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. بسم الله الرحمن الرحيم قال سبحانه وتعالى في سورة النور: "والزانية والزاني فاجلدوا كُلَّ واحدٍ مِنْهُمَا مَائةَ جلدةٍ".. صدق الله العظيم



وقد اتفق العلماء على أنَّ حدَّ "الجَلْد" يكون على الأعزب، أما المتزوج فحدُّه "الرَّجم"، وفقًا لآية الرجم التي كانت من القرآن فنُسخت وهي "والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة".

وإذا اعتبرنا حُكم اللواط هو حكم الزنا قياسًا وفقًا لرأي بعض العلماء فهو يستلزم توافر شروط إقامة حد الزنا وعلى رأس هذه الشروط أن يشهد واقعة الزنا أربعة شهود. رجال عدول، فلا يؤخذ بشهادة النساء أو الغلمان أو الفسقة".

عرفت يا أخ حودة أنا كنت بأسألك ليه؟ مش عشان أستجوبك لا سمح الله وإنما لأتحقق من توافر شروط إقامة الحد. وطبعًا إنت ما عندكش أربع شهود يُشهد لهم بالتقوى والعدل شافوا الواقعة دي. وحتى لو سايرنا رأي من يرى من العلماء أن حد اللواط ليس هو حد الزنا لأن الله سبحانه وتعالى لم يطلق على اللواط زنا بل وصفه بلفظ فاحشة وهو يختلف عن الزنا لاختلاف علة التحريم، وأن عقوبة اللواط هي التعزير فقط.



وهو ما ذهب إليه بعض الفقهاء مثل أبى حنيفه النعمان والشافعي في أحد قوليه إلى وجوب تعزير مرتكب هذه الفاحشة.

ولكن حتى عقوبة التعزير تحتاج إلى شاهدين عادِلَيْن غير فاسقين، وأنا شايف إنك لا تملك شهودًا على ما تدَّعيه وإن استحضرت شهودًا فهم إما غلمان أو فاسقون. لا تجوز شهادتهم وعشان كده مانقدرش شرعًا إقامة الحد على "دعبس" ولا تعزيزه.

أما عما اقترفته أنت من حملك للسلاح وترويع الناس وقطعك للطريق وتهديدك الآمنين واستغلال الصبية والقذف في حق آخر باللواط دون أن تملك على ذلك دليلًا فهو ما يستوجب إقامة حدى الحرابة والقذف عليك.

هنا وقف حودة سريعًا صائحًا:

- تصدق بالله الحاجة الوحيدة اللي فهمتها من كلامك إنك شيخ (معر...)

وقبل أن ينطق بالحرف الأخير من الكلمة انهالت صفعة شديدة على وجهه من أحد مريدي الشيخ، ثم لم يجد نفسه إلا محمولًا على أكتافهم ليلقوا به أعلى كومة من القمامة على ناصية الشارع، ثم ألقوا إليه بسلاحه دون خزينة ولا طلقات وأمروه بالانصراف بعد أن أوسعوه ركلًا وصفعًا فانصرف مهرولًا.

انتبه الجمع لصوت أذان العصر ينطلق من مكبرات الصوت المنتشرة أعلى المسجد وعلى بعض الأبنية المجاورة بصوت الشيخ مراد الذي يُقلِّد طريقة أذان مؤذِّني مسجد الرسول بالمدينة المنورة مع كثيرٍ من أوجه النشاذ لم يلحظوها، وبعد برهة تداخلت مكبرات الصوت من كل المساجد والزوايا المنتشرة أسفل أغلب البنايات الجديدة بالمنطقة فشكلت في مجموعها طنينًا مزعجًا لأصوات نابحة غير متجانسة، كل ينعق في واديه.

أقام الشيخ مراد الصلاة وقام الشيخ سعيد بتقديم الحاج محمد أمين ليؤمَّهم في الصلاة..



وبعد الصلاة اجتمع تحت المنبر كل من الحاج محمد أمين والشيخ سعيد الزيني ورهطٌ من مشايخ السلفية..

أخذ الحاج محمد يثني على الشيخ سعيد بما أفتى به، وعلى حُسن تصرفه قائلًا:

- أدهشني يا شيخ سعيد أنك أفتيتَ بوجوب التعزير في جناية اللواط وأخفيت تمامًا الرأي الذي يقول بوجوب القتل رغم أنك في الأحوال الأخرى - أكيد - كنت ستفتي بالقتل.

- نعم يا حاج؛ لأني شفت إن المجرم ده عايزني أُفتي بكده عشان تبقى زريعة لقتل "دعبس" لمجرد شبهة مش ثابتة ولا مؤكَّدة، ويمكن يكون ادعى أصلًا الواقعة عشان يقتله أو ممكن يكون الولد كذب عشان يبرر له هروبه منه.

- تمام.. نِعمَ الفتوى ونعم التصرف، ولكن لا شكَّ أنك اتأثرت في فتواك باللي قاله الأخ رشدي اللومانجي عن

الولد المجرم ده.

- مش بالظبط لكن أنا شُفت بعيني الهلع اللي سببه المجرم ده بالمنطقة، ما أقدرش أنكر إن اللي قاله عنه رشدي لاقى منّي قبولاً، رشدي في العادة مش بيكدب رغم إنه شَقِي ومسجل خطر لكن فيه بعض الصفات الطيبة اللي مش بتتوافر في كتير من اللي بيدّعوا الشرف والفضيلة.

****

دقّ جرس الباب فقامت شيماء من جلستها في ردهة الشقة متثاقلة تجر قدميها وكأنها مشدودة إلى أثقال تنوء عن جذبها، وبالكاد وصلت إلى باب الشقة ففتحته بعد أن استطلعت من الشاشة المعلّقة عليه عن الطارق..

- أهلًا يا نجوى اتفضلي.

دخلت نجوى، وما إن وقع بصرها على شيماء حتى هالها ذلك الذبول الذي كان باديًا على وجهها مطلًا من



عينيها.

- مالك يا شيماء يا حبيبتي؟ خير فيه إيه؟ شكلك ماله عامل كده ليه؟ إنتي عيانة؟

ثم نظرت إلى عينيها قائلة:

- إنت كنتي بتعيطي ولّا إيه؟

أخذتها في حضنها وقبّلت وجنتيها وجلستا متقابلتين متقاربتين.

- مالك يا شيماء فيه إيه؟ إحكيلي..

- مافيش يا نجوى..

- وأنا مش عرفاكي يا شيما.. قوليلي يا حبيبتي إنتي حاتخبي عليّا! ده أنا أختك..

- أيوه طبعًا يا نجوى هو أنا ليا حد غيرك، ده أنا بقيت مقطوعة من شجرة، لولا إنتي كان زماني طقيت من جنابي.



- إحكي يا حبيبتي فضفضي.. إيه متخانقة مع رشدي؟

- يعني ... مش خناقة.. عادي.

تنهدت شيماء وكأنَّ بركانًا من الأسى يضج في صدرها المكبوت وفرَّت دموعها من محبسها فانهمرت على وجنتين كالورود الذابلة.

انتقلت نجوى إلى جوارها مباشرةً وضمتها إلى صدرها بحنوٍ صادقٍ وكأنها أم تضم صغيرها الباكي.

- بس يا حبيبتي وحّدي الله كده، مالك أنا أول مرة أشوفك بالشكل ده! مين اللي مزعلك قوي كده؟

- الزمن اللي حوجّني وذلّني بعد ما ظلمت نفسي بإيدي.. أنا خلاص مابقتش مستحملة العيشة اللي أنا عيشاها.

- مالها عيشتك يا شيماء ده إنتي مش ناقصك حاجة، ده إنتي لو طلبتي لبن العصفور رشدي حايجبهولك.



- أمي وحشتني وأختي وحشتني والكُلية والناس وزمايلي وحياتي الحقيقة وحشوني، خلاص مش قادرة أستمر مع راجل حولني لجارية، أنا من كتر الألم اللي جوايا والحسرة على نفسي خايفة أرجع للإدمان تاني، ساعات باقعد أشرب الزفت اللي بيشربه وأدخَّن سجاير ملفوفة من اللي بيسيبها هنا لغاية ما يُغمى عليَّا عشان ما أفكرش.

إمبارح حلمت إن أمي ماتت موتة وحشة خالص. نفسي أشوفها وأبوس إيديها ورجليها وأقعد في حضنها وأعيط، البُكا في حضن الأم يا نجوى له طعم حلو، بُكا يطمن ويريح.

- يا حبيبتي كل ده جواكي صلي على النبي أُمّال.. قومي إغسلي وشك وأنا إن شاء اللّه حادبر سفرية لغاية بلدكم وحاجيبلك أخبار أمك وأختك وحاطمنك عليهم.

- صحيح يا نجوى ممكن تعملي كده؟ ياريت.



- طب قومي كده استهدي بالله واغسلي وشك وسرَّحي شعرك وتعالي نقعد في البلكونة شويه.. ماعندكيش غدا يا بت، أنا ميتة من الجوع.

اتجهت شيماء إلى المطبخ بينما اتجهت نجوى إلى الشرفة ففتحتها على مصراعيها وتقدمت إلى سياجها الأمامي لتلقي بنظرها إلى البحر لتتشخص أمامها الإسكندرية بذراعيها الممتدة تحتضن زرقة مياهه وتعانقه بينما تسكب الشمس الذاهبة أشعتها على سطح الماء المرتجف لتعكس وميضًا غزيرًا كلؤلؤٍ منثورٍ فوق زرقة البحر الزاهية في مشهد لا يمله الناظرون.

كانت نجوى سمراء يتخذ لون بشرتها وسيطًا بين اللون الخمرى واللون الأسمر فيزيدها نضرة وسحرًا، ذات قوام ممشوق سمهرى مشدود، وخصر منحوت ممدود، طويلة القامة بلا إسراف، يتدلى إلى قرب خصرها شعر أسود مموج وكأنه مجدول بغير جادل، كأن الشاعر كان يقصدها حين أنشد:

سمراءُ كالغصنِ الرطيب قوامُها.. تُسبى الأنامَ بفاترِ الأحداقِ.

ترمى بقوسِ حواجبٍ من لحظها.. نبلًا يصيب مَقاتلَ العشاقِ.

عادت بنجوى ذكرى علاقتها بشيماء، كيف كانت فتاة ريفية بريئة نزحت من قريتها إلى كلية الصيدلة تحلم بمستقبل زاهر، تعرفت إليها من خلال مطعم الجامعة الذي كانا يشتركان سويًا في تناول وجباته المخفضة المخصصة للطلاب المغتربين والفقراء المعافين من المصروفات، كانت هي الأقرب إلى المطعم حيث كان يقع بالمجمع النظري القريب من مبنى كليتها، ولأن المسافة بين كلية الصيدلة والمجمع النظرى بعيدة نسبيًا، فقد اعتادت على أن تحجز لها مكانًا بجوارها وتنتظرها يوميًا حتى تأتي لتتشاركا طعام الغداء سويًا.

في البداية لم يكن يشوب سلوك "شيماء صابر" شائبة إلا علاقتها بـ "مي" الطالبة معها بكلية الآداب؛ فـ(مي)



ذات سلوك غامض مشبوه تتشبه كثيرًا في ملابسها وطريقة حديثها بالرجال رغم أنوثتها الطاغية.. توطدت علاقة شيماء بمي بدرجة كبيرة، وكان من الواضح أن مي تسيطر عليها كلية.. لقد حاولت في عدة مناسبات أن تحذرها من تلك الصداقة وهذه التبعية دون جدوى فقد انساقت وراءها واندمجت مع شِلّتها يتسكعون في الطرقات والمقاهي يتبادلون تدخين الترجيلة ثم أشياء أخرى حتى انزلقت إلى حقل الإدمان الذي أفضى إلى تلك المصيبة التي ألمّت بها والتي جعلت الجميع يفر منها وينكر صداقتها حتى "مي" نفسها اختفت عدة أشهر بعدها، فلم تستطع بعد أن تنكّر لها الجميع إلا أن تقف إلى جوارها وتساندها بكل ما تستطيع واستمرت العلاقة بينهما قائمة حتى الآن.

خرجت نجوى من شرودها على صوت شيماء وهي تضع بعض الأطباق على منضدة الشرفة قائلة:

- عملت أكل خفيف؛ مكرونة إسباجتي وفراخ بانيه وطبق سلطة، كفايه ولّا أجيب حاجة تاني؟

ردت نجوى على الفور وهي تجلس مُمسِكَةً بالشوكة لتدسها في طبق المكرونة.

– لا كده حلو قوي تسلم إيدك اقعدي كُلي..

جلست شيماء تأكل مجاملةً لنجوى دون شهية، بينما انهمكت نجوى تأكل بنهمٍ يدل على الجوع والشهية المفتوحة.

أنهت نجوى طبقَها ونظرت إلى شيماء فوجدتها تلوك طعامها ببطءٍ شَديدٍ بينما عيناها ذاهبتان صوب ذلك الركن الذي تلتقي فيه وتتلامس زُرقَةُ السماء الباهتة مع زرقة البحر الداكنة في الأفق البعيد الممتد.. ابتسمت نجوى وهي تقول إنتي عارفة يا شيماء منظر الغروب ده وشرود عنيكي الحلوة في السما بيفكرني بإيه.

- بتقولي إيه؟

- لا ده إنتي مش هنا خالص، بقولك المنظر الجميل ده بيفكرني بقصيدة المساء للشاعر إيليا أبو ماضي..

فاكراها..

- أيوه طبعًا سمعتها منك كتير، قصيدة جميلة.. سمعيهالي يا نجوى فكَّريني بالأيام الصافية البريئة.

إسمعي يا ستي:

- القصيدة طويلة جدًا أنا حاقولك آخر فقره فيها، كأن الشاعر كاتبها لك مخصوص:

مات النهارُ ابن الصباحِ فلا تقولى كيف مات؟

إنَّ التأملَ في الحياةِ يُزيدُ أوجاعَ الحياة

فدّعى الكآبة والأسى واسترجِعي مرحَ الفتاة

قد كان وجهُك في الضَحى مثل الضَحى متهللًا

فيه البشاشةُ والبهاء

ليكن كذلك في المساء



ابتسمت شيماء وأبدت إعجابها بطريقة إلقاء نجوى للشعر

كانت نجوى مُولعة بالشعر منذ صغرها، وربما يكون اهتمامها بالشعر وحفظها لأمّهات قصائد الشعر العربي هو ما حدا بها لأن تلتحق بكلية الآداب قسم اللغة العربية.

قالت شيماء لنجوى متسائلة:

- إلّا قوليلي يا نجوى إنتي بعد ما اتخرجتي إشتغلتي مُدرِّسة لغة عربية، ما استمرتيش ليه في التدريس؟ مع إن المدرسين دلوقتي بيكسبوا قوي.

ضحكت نجوى ضحكة عالية

- مُدرسة إيه يا بت!.. ده أنا اشتغلت مُدرسة عربي في مَدرسة ابتدائي.. كل اللي كنت باعلّمه للعيال في سنه "خمسة" إن عادل يركل الكرة يعني عادل فاعل والكرة مفعول به، والعيال طور الله في برسيمه هُمَّا مش مركزين في العربي أصلًا عشان المدرسة لغات.



– ما المدارس الخاصة كلها لغات دلوقتي "موضة يعني".

اللي يضَحّك بقى، أنا استحملت وقُلت أكمّل وبكرة أبقى مُدرسة إعدادي، وإن شاء الله بَعد عمر طويل أبقى مُدرسة ثانوي وأشتهر وأدّي دُروس خصوصية لطلبة الثانوية العامة – ويمكن ربنا يكرمني وأفتح سِنتر للدروس الخصوصية، وتعّوم بقى وتحلّي وانا في سن الخمسين كده.. مش مهم، المهم طول العمر يبلّغ الأمل.. قولي أنا رضيت بالهم والهم ماراضاش بيّا، رفدوني بعد شهرين!.. ليه بقى!

قولي إنتي ليه؟

عشان ضعيفة في مادتي؟ اللي هي اللغة العربية..

يعني على رأي فيلم نجيب الريحاني "مش ضليعة في قواعد اللغةِ العربية".

لا والله ضليعة وكُله بس الأزمة إني مش ضليعة في قواعد اللغة الإنجليزية.. آه والله.. قالوا إزاي تبقَى

مُدرسة في مدرسة إنجليزي وانتي ما بتعرفيش إنجليزي.

قولتلهم بس أنا مدرسة عربي والعربي بيدرِّسوه بالعربي، قالولي ولَو برضو لازم تعرفى إنجليزي أومال حاتتفاهمي مع العيال إزاي؟.. مع إن المدرسة في بحري والعيال كلهم من السيالة يعني مش من لندن.. قاموا رفدوني.. قُلت بركة يا جامع دول كلهم 500 ملطوش كانوا ذالين أهلي بيهم.

ضحكت شيماء وضحكت نجوى حتى سمعتا جرس الباب.

استطلعت شيماء عن الطارق، فوجدته مصطفى صديق رشدي وكاتم أسراره الوحيد المسموح له بزيارة شيماء سواء في وجود رشدي أو عدم وجوده.

فتحت شيماء الباب:

- أهلًا يا مصطفى، إزيك وازي عيالك؟

- بخير يا دكتورة الحمد لله.

- إيه اللي انت شايّله ده؟

- دي حاجات بالصلاة على النبي باعتها المعلم، شوية كابوريا واستاكوزا وبلح بحر وجندوفلي والسلطات من عند الحاج "العِدّل" كانوا طازة بيلعبوا ولسه طالعين من البحر.. وشوية فاكهة وكام إزازة كده بالصلاة على النبي.. المعلم بيسلم عليكي وبيقولك هو حايفوت عليكي بالليل فحضّري نفسك لأنه روَّح ينام وناوي يجي يسهر معاكي.

وضع الأشياء على المنضدة المقابلة لمدخل الشقة، ثم أمسك بباب الشقة وهمَّ بإغلاقه وقبل أن ينصرف قال:

- مش عايزة حاجة يا دكتورة أجيبهالك من تحت؟

- لا شكرًا يا مصطفى.

- يعني مش ناقصك أي حاجة؟

- لا شكرًا..

- طب سلامو عليكوا.

أغلق الباب وانصرف.

دخلت شيماء وقد فارقتها الابتسامة مرة أخرى

ففاجأتها نجوى بقولها بنبرة جادة:

- بصي يا شيماء، أنا عايزاكي تتعاملي مع رشدي على إنه مرحلة في حياتك وحاتخلص.. هي الحياة كده مراحل وكل مرحلة لازم نعيشها بحلوها ومُرها عشان نِطلع للمرحلة اللي بعدها.. وماتنسيش إن رشدي أنقذك من مرحلة سيئة من حياتك، ورغم سُوؤه مش حيكون أسوأ من المرحلة اللي قبله، والمرحلة الجاية حاتكون أحسن إن شاء الله.. مافيش حاجة بتستّمر.. حاسيبك أنا بقى وقبل ما أمشي إديني اسم بلدكم إيه بالضبط.. ربنا يسهل وألاقيها على الخريطة وما يكونوش لغوها..



ضحكت نجوى فأضحكت شيماء وتصافحتا وانصرفت نجوى تاركة شيماء تُجهز لسهرة المعلم.

****

كانت سهرة طويلة قضاها رشدي مع شيماء استمرت حتى الصباح، شرب فيها كل أنواع المسكرات والمخدرات حتى تلعثمت كلماته ولم تقوَ قدماه على حمله. فقرر البقاء في شقة شيماء، وكانت من المرات القلائل التي يظل فيها رشدي مع شيماء بعد قضائه سهرته ولا ينصرف. افترش رشدي السرير وغطّ في نومٍ عميقٍ طويل، واستلقت شيماء هي الأخرى بجواره وغلبها النعاس.

أفاقت شيماء من نومها فوجدت رشدي ما زال غائرًا في عميق نومه فنظرت إلى الساعة ففوجئت بأن الساعة قد شارفت على الثالثة مساءً!

نهضت شيماء من نومها مسرعة، وحاولت أن توقظ رشدي فنهض متثاقلًا وظل ممددًا على السرير حتى تعُد شيماء طعام "الفطور" .

هنا سمعا طرقات شديدة متلاحقة على باب الشقة أفزعت رشدي.. هي طرقات مألوفة له.. هي كطرقات الشرطة. ولكن لماذا وكيف؟؛ فهو لم يفعل شيئًا مؤخرًا يستوجب تدخل الشرطة، كما أن تلك الشقة لا يعرف أنها تخصه سوى نفر قليل، ولا أحد يعرف أنه قضى ليلته فيها! لم تسعفه ازدياد وتيرة الطرقات وقوتها على الاستمرار في التفكير فنهض مسرعًا لينظر إلى الكاميرا الكاشفة عن الطارق فلم يجدها كاشفه عن شيءٍ وكأن أحدًا قد قام بتغطيتها..

قال رشدي: مين؟

- إفتح يا رشدي احنا مباحث.

عرفَ رشدي الصوت إنه عبد الغفار بك رئيس مباحث محرم بك.

ماذا أتى به إلى هنا؟ نحن بقسم الجمرك؟ قالها رشدي لنفسه مندهشًا.



فتح رشدي.. وما كاد حتى ملأت قوات الشرطة ردهة الشقة الفسيحة يتقدمهم عبد الغفار بك رئيس مباحث قسم محرم بك وبصحبته "هيثم بك" معاون مباحث الجمرك وأيضًا شريف بك رئيس مباحث باب شرقي وقوة كبيرة من رجال الشرطة.

تسمرت شيماء في مكانها مذهولةً خائفةً مذعورةً، حتى صاح بها رشدي: "خشي جوه" فامتثلت وتوارت خلف باب الحجرة.

- خير يا بهوات فيه إيه؟

ردَّ عليه رئيس المباحث:

- خير إن شاء الله.. إحنا من الصبح بندور عليك وانت مستخبي هنا؟ إنت فاكر إن إحنا مش عارفين الخُن ده يا رشدي؟

ثم قام بتحسس ملابسه بحثًا عن أسلحة، فلما لم يجد قال:



- إلبس هدومك وتعالى معانا.

- ليه بس؟ أعرف فيه إيه؟

- حاتعرف في القسم.. شوية أسئلة وتروّح إن شاء الله.

في تلك اللحظة كان رجال الشرطة من المخبرين السريين قد عاثوا في الشقة تفتيشًا، ثم مالبثوا أن قدموا لرئيس المباحث بعضَ قطع الحشيش والسجائر الملفوفة وشرائط الترامادول التي عثروا عليها بالشقة، وقال أقدمهم:

- مالقيناش أسلحة يا باشا.

- طيب شوفوا كيس وحطوا الحاجات دي فيه.. يلّا يا رشدي إنزل معانا كده بهدوء مش عايزين شوشرة.

قالها رئيس مباحث قسم الجمرك بلهجة آمرةٍ حادةٍ.

هبط الجميع درج السلم يتوسطهم رشدي في استكانة حتى وصلوا إلى أسفل المسكن وركبوا جميعًا عدة ميكروباصات كانت في انتظارهم وانطلقوا.

وصل الرَّكبُ إلى مديرية الأمن ثم صعدوا إلى قسم جرائم النفس.. حيث وضعوا رشدي في حجرة مكتب متواضعة الأثاث وأغلقوها عليه..

****

جلست شيماء على مقعد في ركن البيت ترتجف مذعورةً لا تعرف ما يجري؟ أو ماذا تفعل؟ لم يُسعفها تفكيرها سوى أن تتصل بمصطفى صديق رشدي فهو الوحيد الذي تعرفه من ذويه.

- ألو.. إلحقني يا مصطفى البوليس قبض على رشدي.

قالت هذه العبارة ولم تتمالك نفسها؛ فقد دخلت في نوبة عنيفة من البكاء فأغلقت الهاتف وهي لا تدري على من تبكي؟ هل حزنًا على رشدي؟ أم حزنًا على



حالها بدونه؟ أم إن الموقف قد أعادها لتلك الذكرى المريرة.. يوم القبض عليها؟

دق جرس الباب ففتحته مسرعة فإذ بمصطفى يدخل إلى داخل الشقة لبضعة أمتار وعلى وجهه ترتسم علامات الحزن والهلع معًا.. وبادرها بالسؤال:

- إمتى حصل الكلام ده؟

- من ساعة تقريبًا.

- مسكوا معاه حاجة؟

- حاجة زي إيه؟

- مخدرات أو سلاح؟

- لا ماشفتش أنا دخلت جوه ما طلعتش إلا بعد ما مشيوا.

- يعني ما تعرفيش مسكوه ليه؟



- لأ هو أنت ما تعرفش؟

- لأ بس الغريب إنهم في نفس الوقت تقريبًا قبضوا على دعبس وخَمس رجالة كمان من رجالته. ومحدش عارف قبضوا عليهم ليه؟ مافيش أي عمليات جديدة تمت من 3 شهور والعملية اللي فاتت خلصت بسلام وماحصلش فيها دم ولا حد مات ولا حد اتعور.

- عمومًا اطمنى إن شاء الله خير. أنا حاتصل بالأستاذ كمال سعيد المحامي وهو حايعرف إيه الموضوع.

أخرج مصطفى هاتفه..

- ألو أيوه يا كمال باشا إزَّي حضرتك. أنا مصطفى.. مصطفى رسلان صاحب رشدي اللومنجي..

الله يسلمك.. أنا عايز ابلغك إن البوليس قبض على رشدي من ساعة تقريبًا وقبضوا كمان على دعبس.

أيوه دعبس ده إسم شهرته إسمه الحقيقى منصور.



لا مش عارفُه بالكامل.

لا قبضوا على كل واحد لوحده.

لا مش عارف.. طب استنى كده دقيقة.

وجّه مصطفى حديثه إلى شيماء

– ماتعرفيش مين اللي قبض عليه؟

- لا سمعت رشدي وهو بيقول لهم 3 أقسام مختلفة متجمعين عشاني ليه فيه إيه؟ وقال اسم عبد الغفار بك.

- ألو أيوه يا باشا بيقولوا ضباط 3 أقسام ومنهم رئيس مباحث محرم بك من بيته تبع قسم الجمرك، بس هو سكنه الأساسي تبع قسم محرم بك.

طب ياباشا لو عرفت حاجة إتصل بيّا وأنا حاجيلك على طول وطلباتك كلها مجابة، إنت عارف المعلم



رشدي بيحترم سيادتك أدّ إيه وما يتأخرش عليك، بسلامة الله، ربنا يستر ويسلم يارب.

- سألت شيماء. مش ده المحامي اللي رشدي وكَلُه عشان يترافع عني في قضيتي؟

- أيوه هو.

- ده راجل محترم وممتاز ده جابلي براءة من أول جلسة، يارب تكون بسيطة.

- طب أنا نازل دلوقتي ولو عُوزتي أي حاجة اتصلي بيّا وكل طلباتك مُجابة من خير رشدي ماتنعيش أي هم..

أخرج مصطفى مظروفًا صغيرًا وضعه على المنضدة، قائلًا: خلي الظرف ده معاكي مؤقتًا لغاية ما نشوف الحكاية إيه ربنا يستر.. استرها يارب.

قال ذلك وهو ينصرف ويغلق الباب وراءه.



جلست شيماء في حجرة نومها وحيدةً كعادتها تتناوب عليها أفكار شاردة غير مستقرة.

وبعد ساعة أو يزيد رنَّ هاتفها المحمول ليبلغها مصطفى أن المحامي أبلغه أن هناك جريمة قتل بشعة قد وقعت بمنطقة الحضرة، وأن أصابع الاتهام تُشير إلى تورط رشدي ورجاله في الجريمة وأنه - أي المحامي- سيتابع الإجراءات وسيقوم بما يستوجب في هذه الحالات.

انتهت مكالمة مصطفى سريعًا وترك شيماء غارقةً في ظنونها وهمومها ووحدتها وحيرتها.

****



وفي تلك الأثناء أُقتيدَ رشدي إلى مكتب رئيس قسم مكافحة جرائم النفس وأصبحا وجهًا لوجه، بصوت عميق مشروخ بادره رئيس المكتب قائلًا:

- أهلًا يا رشدي لك وحشة يا راجل.

نظر رشدي إلى الجالس خلف هذا المكتب الأنيق طويلًا وقد عرفه، إنه العميد/ خالد زمزم كان من ضباط المباحث المشهور عنهم الحدة والعنف، وكان سببًا لاتهام رشدي في عدة جنايات من قبل وكان يقوم باحتجازه واعتقاله لشهور طوال بعد القضاء ببراءته من هذه القضايا، فهو لا يعترف بأحكام القضاء إن قضت بالبراءة، ويستخدم سُلطته الخاصة في معاقبته عن طريق الاعتقال.

عرف رشدي بخبرته السابقة أنه يواجه مشكلة كبيرة، ولكنه لا يعرف ما هي وما حجمُها.

- أهلًا يا خالد باشا. قالها بصوت مخنوقٍ مذبوحٍ ثم استطرد:



- أنا عايز أعرف يا باشا أنا هنا ليه؟.. إنت عارف يا باشا إن أنا بقالي سنتين ماعنديش محضر واحد في أي قسم.

- طبعًا يا رشدى.. وعشان كده إحنا بعتنالك عشان نحتفل بيك ونديلك جايزة.. قالها بتهكم واضح أثار حفيظة رشدي فصاح بصوت يمتلئ بنبرات التحدي:

- هات معايّا من الآخر يا خالد بك، إنت عايز منّي إيه بالضبط؟، لو فيه تُهمة عندك قولّي عليها ولو مافيش سيبني أروَّح.

ضحك العميد خالد ضحكةً عاليةً مُفتَعَلةً:

- لأ خوفتني يا لومنجي هو انت يا روح أمَّك فاكر إنك حاتشوف الأسفلت تاني!.. بُص يالا إنت عارفني كويس، إتكلم دوغري وقولّي انت قتلت حودة والعيال اللي معاه ليه؟ ومين كان معاك؟ وفين السلاح؟

وقع الخبر على رشدي كالصاعقة..



- حودة مين؟

- حودة المجري يا روح أمك انت حاتستعبط؟

إنت اتخانقت معاه امبارح وقُلت قدَّام الناس كلها إنك مش حتسيبه وحاتأخد حقك وحق المنطقة كلها منه. وانك حاتجيب حقك منه بإيدك وانه مش حايطلع عليه صبح.. مش كده؟

- أيوه حصل بس أنا ماجتش جنبه، والكلام ده كان امبارح العصر وأنا سبته مع المشايخ وروَّحت، وبالليل كنت سهران في البيت التاني اللي قبضوا عليَّا فيه.

- طب ودعبس وبقية الصيع بتوعك كانوا فين؟

- دعبس أنا إمبارح بعد المشكلة اللي عملها مع حودة بعتله وقولتله إن قُدَّامه 48 ساعة ويسيب المنطقة كلها ومابقاش فيه أكل عيش بينا بعد اللي عمله.

- آه يعني طردته بسبب حودة. عايز تقول إن هو اللي عملها وانت ماتعرفش.



- يا باشا أنا ما أعرفش حاجة عن الموضوع، وما أقدرش أقول هو اللي عملها ولّا لأ.. ده شغلكم إنتم لكن اللي أنا أعرفه إني ماليش دعوة بالموضوع.

- آه يعني مش عايز تيجي في السالك معايا وناوي تتعبني.

- يا باشا والله العظيم أنا ما أعرف حاجة، ولا ليّا دعوه بالموضوع ده أصلًا.. وبعدين حاقتله ليه؟ ما الموضوع انتهى والمشايخ قاموا معاه بالواجب وكرشوه من الحتة وخلاص، إيه اللي حايخليني أحطه في دماغي؟ ده عيل هايف مايسواش وأنا مش حادخَّل نفسي السجن في واحد زي ده.. طب ممكن أعرف هو اتقتل إمتى وإزاي؟

- اتقتل ما بين الساعة 11 مساءً والساعة 2 صباحًا تقريبًا.

أما إزاي اتقتل؟ فإنت أدرى..



أخرج الضابط صورة فوتوغرافية من بين الأوراق المتناثرة على مكتبه وقدَّمَها إلى رشدي الذي نظر إليها فوجد "حودة" معلقًا على عامود من أعمدة محطة القطار المهجورة بمنطقة الحضرة تتدلى رأسه على صدره وتظهر عليها آثار الذبح والدماء تُغطي جسده، وقد بُترت إحدى قدميه ويديه. نظر رشدي إلى بشاعة الصورة بامتعاض قائلًا:

- يا ساتر يارب..

يا باشا دي مش طريقتي، أنا حتى لو عايز أخلص منه حابعتله أي راجل بطلقة واحدة ونخلص مش حاعمل كل ده..! يا باشا الراجل ده حد موِّته بانتقام، وده شغل العيال اللي بيسَّرحهم عشان العيال دي مذلولة منه طول عمرهم، وشايلين منه ونفسهم يخلصوا من ظُلمه.

- العيال! طب إيه رأيك إن العيال لقيناهم محروقين كلهم وجثثهم متفحمة في عربية القطر المهجورة اللي



على السكة الحديد جنب العمود اللي متعلق فيه حودة. 8 جثث متفحمة.

- يعني همه العيال اللي بيسرحهم حودة التمانية دول بس! تلاقي عيال تانية منهم جمَّعوا نفسهم وعملوا عملتهم وحرقوا العيال اللي كانوا معاه ساعتها عشان ما يفتنوش عليهم.. يا باشا انت ظابط قديم، مش ممكن الطريقة دي تكون بتاعتي أو بتاعة حد من رجالتي.

- إنت معاك طبنجة إيه يا رشدي؟

- ممعيش سلاح يا باشا.

- بقولك إيه إنت حاتشتغلني؟ إيه السلاح اللي على طول شايله في جنبك.. مش طبنجة "زيج زاور" دهبي..

- أيوه يا باشا.

- فين هي؟ شايلها فين؟



- لا مش عارف يا باشا.. ممعيش سلاح.

- طب بلاش الطبنجة.. تقدر تجبلى الخزنه بتاعتها؟

فجأة تذكَّر رشدي أنه بعد أن ترك حودة للمشايخ أمس وانصرف إلى مسكنه وعند تفقده للطبنجة لم يجد خزينة الطلقات الخاصة بها، وأدرك أنها سقطت منه في مكانٍ ما وأرسل أحد تابعيه ليبحث عنها في الأماكن التي مرَّ أو وقف بها، واستسلم بعد ذلك للنوم ولم يتابع.

- تقريبًا ضاعت يا باشا.

- أنا بقى لقيتها.. مد يده وأخرج من درج مكتبه خزينة سلاح وقدمها إلى رشدي: مش هي دي برضو؟

- ما أعرفش يا باشا، أهي شبهها، هي الخزنة عليها أرقام يعني، أهي كل الخزن زي بعضها.

- ماشي يا رشدي أنا مش حاشتغل معاك زي زمان، لا فلَكَة ولا تعليق ولا كهربا إنت كبرت على الحاجات دي

وأنا برضو كبرت عليها، أنا حاستعمل معاك الورقة والقلم.. وكله بالقانون..

ضغط على زر الجرس فدخل أربعة رجال أمسكوا بتلابيب رشدي وانصرفوا به.

في اليوم التالي وجد رشدي نفسه مقتادًا إلى نيابة باب شرقي بالإسكندرية، تقابل في الممر المؤدي إلى مكتب وكيل النائب العام مع كُلٍّ من دعبس وأربعة من رجاله.

ووجد شقيقه حلمي وصديقه مصطفى بانتظاره ومعهم بعض المأكولات، واطمأن على أن الأستاذ/ كمال سيحضر التحقيقات معه بنفسه.

جلس رشدي القرفصاء بجوار مكتب المحقق حتى يبدأ التحقيق وأخذ يقلب الأمور على جوانبها، أيكون دعبس هو الفاعل انتقامًا من حودة وقد تسبب له في هذه المشاكل وتلك الفضيحة ثم وضع خزينة السلاح بجوار الجثة انتقامًا منه لأنه قام بطرده؟ يجوز..



فدعبس شخصية موتورة انتقامية شريرة لا يتورع عن فعل هذا.

تم التحقيق مع رشدي وقد واجهه المحقق بالاتهام المسند إليه. وهو القتل العمد مع سبق الإصرار المقترن بجريمتيّ القتل العمد ووضع النار وحيازة سلاح ناري وسلاح أبيض سيف وحيازة مُخدِّر بقصد التعاطي.. وواجهه بالأدلة القائمة ضده المتمثلة في تحريات رئيس المباحث وضبط خزينة السلاح في مكان الواقعة وشهادة بعض الشهود الذين قرروا أن رشدي قد استوعد المجني عليه بالانتقام منه، كما واجهه بواقعة ضبط المخدر بمسكنه.

أنكر رشدي جميع الاتهامات وأنكر صلته بالمضبوطات جميعها وكذلك فعل دعبس ومن معه من المتهمين.

قررت النيابة حبس المتهمين جميعًا أربعة أيام على ذمة التحقيقات مع مراعاة تجديد حبسهم في الميعاد.



الغريب أن النيابة حين سألت رشدي عن مكان تواجده أثناء ارتكاب الجريمة أجاب أنه كان نائمًا في مسكنه بمحرم بك، وحين سألته عما إذا كان لديه شهود نفي لم يستشهد بشيماء!

في اليوم التالي كانت الجرائد قد نشرت الحادث البشع مع صور القبض على رشدي ورفقائه..

****

كانت الساعة التاسعة صباحًا حين دق جرس الباب فأسرعت شيماء وفتحته لتجد أمامها نجوى وفي يدها جريدة الصباح فارتمت على صدرها مرتجفة دون أن تنطق، دخلت نجوى وأجلست شيماء على أريكة الشرفة ثم دلفت إلى المطبخ مسرعةً فأعدت طعام الإفطار مع كوبٍ من اللبن الدافئ.. وجلست إلى جوار شيماء تطعمها بيدها ثم استفسرت منها عما حدث فحكت لها شيماء ما تعرفه، فأطلعتها نجوى على ما سطرته الجريدة ورغم بشاعة ما رأته وقرأته إلا أن يقينها قد استقر على أن رشدي مظلومٌ لم يقترف تلك



الجريمة فقد كان معها في وقتٍ سابقٍ على ارتكابها وحتى يوم القبض عليه. فقامت مسرعة لترتدي ملابسها. فاستوقفتها نجوى قائلة:

- إنتي حاتلبسي وتروحي فين على الصبح؟

- أنا لازم أروح النيابة أشهد إن رشدي كان معايا طول الليل وكان نايم جنبي لغاية لما البوليس جه وقبض عليه.

- آه واجب فعلًا.. -قالتها نجوى بتهكم واضح-.. ولمَّا يسألوكي هو كان عندك بمناسبة إيه؟ حاتقوليلهم إيه؟ عايش معايا كده سبيل! إنتي عايزة تثبتي الخيبة اللي إنتي فيها في ورق رسمي عشان تبقى وصمة ما تعرفيش تخلصي منها ولا تنكريها طول حياتك!

- مش مهم يا نجوى ده واجب ودي شهادة لوجه الله حتنجي شخص مظلوم.. أنا لازم أقف جنبه وهو مظلوم، مش حانسى إنه وقف جنبي وأنا مش مظلومة.



- جميل جدًا.. يعني النيابة حتصدق واحدة ماتأخذنيش يعني، مش فوق مستوى الشبهات كان لها قضية إدمان وعايشة مع بلطجي من غير جواز.. ما أقصدش طبعًا أهينك، لكن الحكومة حتنظرلك النظرة دي ومش ممكن تصدقك.

- مش مهم أنا أعمل اللي عليَّا وخلاص.. أخلص ضميري من ربنا وأرد له جزء من اللي عمله معايا.

- طيب ماشي بس الأول إسألي المحامى بتاعه أو اسأليه هو شخصيًا لو كانت شهادتك حاتفيده ولَّا لأ.

- آه أكيد عندك حق.

أمسكت بهاتفها واتصلت بمصطفى..

- ألو أيوه يا مصطفى، إيه الأخبار طمني؟

إيه؟ أخد أربع أيام – أكيد ده الطبيعي، ده اللي بيعدي دلوقتي قُدام النيابة بياخد أربع أيام، لمَّا السجون مابقتش مكفيه الناس.



طب بقولك إيه يا مصطفى أنا عايزة أروح أشهد إن رشدي كان عندي الوقت اللي حصلت فيه الجريمة، أعمل أيه ؟

إيه؟ إنت حاتشوفه النهارده.. زيارة يعني.. ينفع آجي معاك؟.. ما ينفعش ليه؟.. طب ماشي بعد ما تقابله اتصل بيا.. حاستنَّى تليفونك.

ظلت نجوى تحاول أن تثني شيماء عن فكرة تطوعها للشهادة مع رشدي خوفًا عليها من توثيق الواقع المشين الذي ظلت تحلم - من واقع حبها لشيماء – أن يكون مرحلة مؤقتة في حياتها لن تلبث أن تمر دون أن تترك أثرًا مُعوقًا لحياتها المقبلة التي تأمل أن تكون مشرقةً وسعيدةً. فنجوى شخصية حالمة تؤمن بأن الواقع مهما كان مؤلمًا أو مُشينًا، هو مرحلة لا تستمر، وأن المستقبل دائمًا أجمل طالما تحلى الإنسان بالأمل في الغد، وربما هذا التفاؤل الذي كان يُميِّز شخصية نجوى هو ما جعلها تتحمل واقعها البائس فقد كانت وحيدةً تعول أُمها بعد أن تركهما والدها لينزح عن الإسكندرية ويتزوج بأخرى وينساهما تمامًا.. تحمَّلت



الواقع دون يأس، كانت تعمل أثناء الدراسة في مكتبة لِبَيع الكتب والأدوات الدراسية أمام الجامعة، وحتى بعد تخرُّجها عملت مدرسة بعضًا من الوقت ثم ها هي تعمل الآن مديرة مكتب شركة مقاولات كان رشدي قد توسط وسعى لدى الحاج حسين الحمزاوي صاحب الشركة ليمنحها هذا المنصب براتب يكفيها بالكاد لمواجهة علاج والدتها التي تحتاج إلى غسيل للكلى مرتين كل أسبوع.. كل هذا العناء لم يؤثر على إيمان نجوى بأن تلك المرحلة ستمضي وتفضي إلى مرحلة أكثر إشراقًا.. فليس بعد الليل إلا بزوغ الشمس.

عبثًا ضاعت محاولات نجوى في إثناء شيماء عن الشهادة مع رشدي، فقد كانت شيماء تشعر في قرارة نفسها أن رشدي رغم قسوته وإجرامه المعروف قد أنقذها من غياهب ماضٍ مظلم أشد سوادًا من حاضرها معه، ونشأتها الريفية الأصيلة تحتم عليها أن ترد له المعروف الذي كبَّلها به فظلت أسيرة رشدي وأسيرة معروفه، ربما كانت كوامنها النفسية تُحفزها نحو سداد الدين لتسترد حريتها بلا ديون وبلا استسلام للأسر.



أبلغها مصطفى بعد زيارته لرشدي أنه لا يريد أن يستشهد بها حفاظًا عليها من انتقام سعاد زوجته وأم أولاده، وكذلك صونًا لها من أي فضائح خاصة وأن مُحاميه قد طمأنه على سلامة موقفه في القضية وأنه سيُقضي ببراءته أمام المحكمة دون أن يحتاج إلى شهادتها.

ارتاحت شيماء نوعًا ما لما أبلغها به مصطفى، وظلت قابعةً في مسكنها يتناوب في مصارعتها الفراغ والمجهول والانتظار.

مرت الأيام ثقيلة رتيبة باردة رغم حرارة جو الصيف، خانقة رغم رحابة البحر وامتداده أمام الشرفة التي أضحت مستقرًا شبه دائم لشيماء فليس لها من صديق وطيد سواه هو "البحر"، ونجوى أيضًا صديقة مخلصة.

****

ما زال رشدي سجينًا يتجدد حبسه في كل مرة يُعرض فيها على المحكمة للنظر في أمر حبسه – فقد تحولت



هذه الجلسات إلى روتين مُمِلٍّ، فعدد القضايا أصبح مخيفًا يستعصي أمامه تحقيق العدالة.

ظلَّ رشدي ورفقاؤه وراء القبضان لمدة زادت على التسعة أشهر دون سبب واضح فأدلة الاتهام كانت واهية.

****

بعد عدة أشهر من حبس رشدي فوجئت شيماء بمصطفى يقرعُ عليها بابها رغم أنها اعتادت أن تطمئن منه على رشدي تليفونيًا، إلا أنه آثر هذه المرة على أن يزورها بغتةً.. ففتحت له الباب في توجس قائلة:

- أهلاً يا مصطفى، خير رشدي حصله حاجة؟

ابتسم مصطفى ابتسامة عريضة.. قائلًا: خير إن شاء الله يا شيماء.. أنا مابجيش بالصلاة على النبى غير في الخير.

- اتفضل إدخل.



- لأ مايصحش أنا عايزك في كلمتين كده على الواقف.

- قول يا مصطفى فيه إيه؟

- النهاردة المعلم رشدي كان في المحكمة عشان تجديد الحبس زي كل مرة، واحنا بننتهز الفرصة عشان نقعد معاه قبل الجلسة شوية، وهو الجلسة اللي فاتت كان طلب منِّي أجيب له بالصلاة على النبي دفتر الشيكات بتاعه من المكتب فجبتهوله.

مضى على شوية شيكات بالصلاة على النبي لزوم المرتبات والمصاريف بتاعة الرجالة وفلوس لناس كانوا سيبنهاله عربون شغل وحاجات من دي.. ومضى على شيك وحطه في ظرف وقالّي سلملي على شيماء كتير ووصلها الشيك ده بنفسك، وبيقولك اعملي حساب بإسمك في البنك بالصلاة على النبي وحطي فلوس الشيك ده فيه واصرفي منه لغاية لمَّا يطلع، ولو حصلُه أي حاجة وربنا ما أرادش إنه يطلع تبقى الفلوس دي بالصلاة على النبي بتاعتك اتصرفي فيها، وخلي بالك من نفسك.



فوجئت شيماء بهذا التصرف رغم أن مصطفى كان مواظبًا على الحضور كل شهر وترك مظروف يحتوي على مبلغ مالي يكفيها.. لم تعلق كثيرًا، أخذت المظروف من مصطفى وشكرته وطلبت إليه أن يدبر لها زيارة لرشدي سواء بالسجن أو بالمحكمة. أثناء جلسات المحاكمة.. وعدها مصطفى بنقل هذه الرغبة إلى رشدي وانصرف.

فتحت شيماء ذلك المظروف عقب انصراف مصطفى لتجد فيه شيكًا باسمها بمبلغ مليون جنيه.. صدمتها المفاجأة، هذا المبلغ كبير جدًا ما الذي يفعله رشدي؟ وماذا يقصد؟ ولماذا هذا الكرم الزائد؟.. لم تدرِ ماذا تفعل إزاء هذا المبلغ.. فقد انتابها شعور غريب.. هي ليست سعيدة، ولكنها راضية، لأول مرة تشعر بالاطمئنان يتسرب إلى قلبها، اتصلت من فورها بصديقتها الوحيدة فاستدعتها كي تستأنس برأيها، ولما حضرت نجوى كان لها تعليق مختلف إذ قالت لشيماء:



- وانتي مستغربة ليه؟ أنا شايفة إنه تصرف طبيعي من رشدي.. رشدي اتعود إنه يأخد بالفلوس اللي مايقدرش ياخده بالبلطجة.. وهو خاف إن غيابه عنك يخليكي تفكري إنك تتحرري من أسره وتفكي نفسك من الحبال اللي رابطك بيها، حبال المنقذ والسند، فحب يربطك زياده بجميل تاني كبير، وهو عارفك إنك أصيلة وبتبقي أسيرة الجمايل ومش نكّارة للخير وبيأسرك المعروف، فحب يأسرك لحد لما يطلع.. وخدي بالك إنه قال إن الفلوس دي حاتفضل أمانه عندك لغاية لمّا يطلع، يعني مش حاتقدري تعملي بيهم حاجة غير للضرورة القصوى، يعني لا حتشترى بيهم حاجة ولا تقدري تعملي مشروع مثلًا ولا تشغليهم يادوب حاتحرسيهم لغاية لما يطلع من السجن على مهله.

- لأ يا نجوى مش للدرجة دي، رشدي مهما كان عنده شهامة وراجل يُعتمَد عليه وهو أكيد عمل كده عشان مش عايز يحوجني لحد وهو محبوس، وبعدين المبلغ



كبير قوي يا نجوى مش بتاع واحد عايز يأسر واحدة بجميل أو معروف.

- هاها كبير بالنسبة لك يا خايبة، المليون ده شوية فكة من الفلوس المتلتلة اللي عملها رشدي من البلطجة وسرقة الأراضي والتهريب، ده كفايه الأراضي الزراعية اللي في خورشيد وخط الطابية اللي أخدها من صحابها بالعافية وبورّها وباعها أراضي بناء.. والنبي إنتي خايبة ومش عارفة حاجة..

- بس أنا برضو حاشيل الفلوس في البنك ومش حاصرف غير من الفوايد بتاعتهم ولما يطلع حارجعهم له وإن شاء الله ياخذ براءة وما يطوّلش في الحبس.

- إنتي حرة.. بس أنا حاسة إن ربنا بيرتبلك لمرحلة جديدة من حياتك وإن رشدي حايبقى ماضي، ومستقبلك من غيره حاينور وحيبقى أحسن إن شاء اللّٰه.

****



بعد عدة أسابيع اتصل مصطفى بشيماء ليبلغها أن القضية قد تحدد لها جلسة للمحاكمة النهائية أمام محكمة الجنايات الأسبوع القادم.. استبشرت شيماء خيرًا وأبدت لمصطفى رغبتها في حضور تلك الجلسة فأكّد لها أن تلك أيضًا رغبة رشدي، فقد كلفه بإبلاغها بأن تحضر الجلسة هي وصديقتها نجوى حتى لا تكون بمفردها ولأنه يستبشر بها، ولكنه اشترط أن ترتديا ملابس المحجبات وأن تجلسا في آخر القاعة دون أن يشعر بهما أحد، وأعطى لها موعد الجلسة يوم الأحد القادم ووعدها بالمرور عليها أسفل المسكن في تمام الساعة الثامنة والنصف صباحًا ليصطحبها وصديقتها إلى المحكمة. وافقت شيماء مستبشرة، وأبلغت نجوى وأعدت كلتاهما الملابس المحتشمة والحجاب كما أوصى رشدي. وفي يوم الجلسة الموعودة اصطحبهما مصطفى إلى حيث قاعة المحكمة "وتصرف" مع حارس الجلسة ليسمح لهما بالدخول، وأجلسهما تنتبذان من القاعة مكانًا قصيًا.



وبعد حين من الوقت، بدأ المتهمون في دخول القفص فأبصرت رشدي يرتدي ملابسَ بيضاء ناصة مقيدًا بقيد حديدي متصلًا بآخرين.

جلس رشدي بالقفص وأخذت عيناه تدور بين الجالسين حتى وقعت على شيماء، فابتسم ابتسامة خفيفة وأومأ لها إيماءة بسيطة برأسه فبادلته الابتسام والإيماء.

امتلأت القاعة عن آخرها بالجمهور، كان يميز منهم بعض الملتحين ذوي الجلابيب البيضاء.

صرخ حاجب الجلسة بصوت أجش وهو يضرب بيده على منصة القضاة: "طفوا السجاير.. واللي معاه موبايل يقفله". فعرف الجميع أن الجلسة قد أوشكت على الانعقاد.

في هذه اللحظة دخل المحامون ليحتلوا أماكنهم في المقاعد الأولى للقاعة..



عرفت شيماء منهم الأستاذ كمال المحامي الذي ترافع عنها في قضيتها وتذكَّرَتْهُ وهو يصول ويجول في القاعة بصوته الواثق القوي وعباراته الرنانة واسلوبه الأخّاذ الذي انتزع به إعجاب كل الحاضرين بالقاعة سواء الجمهور أو المتهمين.. أدركت أن الأستاذ كمال هو الذي سيدافع عن رشدي فاستبشرت واطمأنت.

نادى حاجب المحكمة بصوته الجهوري.. "محكمة" ..

وفتح باب المداولة ليخرج القضاة منه إلى حيث المنصة ووقف جميع الحضور حتى احتل القضاة الثلاثة أماكنهم يرتدون أوشحة خضراء اللون وفي معيتهم شاب يرتدي وشاحًا أحمر جلس بمفرده بعيدًا نسبيًا عن أماكن القضاة الثلاثة. جلس القضاة فجلس الحاضرون وقال رئيسهم الذي يجلس بالمنتصف "فُتحت الجلسة" ..

همست نجوى في أذن شيماء: مَن الذي يرتدي الوشاح الأحمر.



- ده وكيل النيابة.

طلب رئيس المحكمة من الحاجب أن ينادي على القضية الأولى فنادى قائلًا:

- رشدي محمد حسين عبد العال

- منصور علي حسن الجمال

- علي محمود العيسوي علي

- محمود أمين محمود سلامة

- مينا جرجس يونان حنا

- حسن سعيد حسين منصور

وقف الجميع بردائهم الأبيض تتجه أبصارهم نحو المنصة.

وتم إثبات حضور المتهمين، وأن لكل منهم محاميًا موكلاً يحضر معه



وجّه السيد رئيس المحكمة كلامه إلى الدفاع قائلًا:

- جاهزين يا أساتذة ولّا لكُم طلبات؟

ردَّ الجميع: جاهزين للمرافعة معالي الرئيس.

نظر رئيس المحكمة إلى الشاب الجالس أقصى يمين المنصة قائلًا: طلبات النيابة؟

نهض الشاب قائلًا:

- النيابة تطالب بتطبيق مواد الاتهام وتوقيع أقصى العقوبة وفقًا لما جاء بأمر الإحالة وقائمة أدلة الثبوت.

أمر رئيس المحكمة سكرتير الجلسة بقراءة نص الاتهام.

فنهض الأخير ممسكًا ببعض الأوراق يتلو منها قائلًا:

- المتهمون جميعًا، لأنهم في يوم الأربعاء الموافق 30 يوليو سنة 2008 بدائرة قسم سيدي جابر محافظة الإسكندرية.

أولًا: قتلوا المجني عليه محمود نسيم عبد الباقي وشهرته "حودة المجري" عمدًا مع سبق الإصرار والترصد بأن عقدوا العزم وبيتوا النية على قتله وأعدوا لذلك أسلحة بيضاء (سيوف) وسلاحًا ناريًا "طبنجة" وتربصوا بالمجني عليه في المكان الذي اعتاد أن يتواجد به وهو عربة السكة الحديد المهجورة التي كان يتخذها وكرًا لأعماله الإجرامية، وما إن ظفروا به حتى اقتادوه إلى خارجها وانهالوا عليه طعنًا فأحدثوا به الإصابات الموصوفة بتقرير الصفة التشريحية والتي أودت بحياته وقد اقترنت هذه الجريمة بجريمة القتل العمد موضوع التهمة "ثانيًا".

ثانيًا: إنهم في ذات الزمان والمكان قتلوا عمدًا كل من أحمد محمود سعد ومحمد عيسى خليل وعبد الله سعيد عبد الله، ورشدى إبراهيم شفيق، وسعيد مهنى عمر ، وعادل بولص حنا، وحامد السيد سعيد، وأحمد خليفة سعد الله أثناء تواجدهم بعربة السكة الحديد المهجورة صحبة المجني عليه الأول محمود نسيم عبد الباقي بأن احتجزوهم داخل تلك العربة وأغلقوا عليهم



الأبواب وسدوا المنافذ وأشعلوا النيران بالعربة مما أدى إلى اختناق بعضهم واحتراق البعض الآخر على نحو ما جاء بتقرير الصفة التشريحية مما أدى إلى وفاتهم جميعًا.

ثالثًا: المتهمون جميعًا وضعوا النار عمدًا بمكان مأهولٍ مما أدّى إلى وفاة ثمانية أشخاص بأن أعدوا زجاجات مملوءة بمواد معجلة للاشتعال "بنزين" ووضعوا بها فتيلًا قاموا بإشعاله وقذفوا به عربة السكة الحديد المحتجز بها المجني عليهم سالفي الذِّكر فأشعلوا بها النيران.

رابعًا: المتهم الأول.

حاز بقصد التعاطي جوهرين مخدرين "حشيش" و "ترامادول" في غير الأحوال المصرَّح بها قانونًا.

خامسًا: المتهم الثاني أحرز سلاحًا ناريًا غير مششخن "بندقية خرطوش" في غير الأحوال المصرح بها قانونًا.

بعد أن تلا سكرتير الجلسة الاتهامات قام رئيس المحكمة بسؤال كُلِّ متهم على حدة عن هذه الاتهامات فأنكرها بلفظ واحد "ماحصلش".

همست نجوى في أذن شيماء: كل دي جرايم عملوها، شكل القاضي كده حيدِّيهم كلهم إعدام.

"إسمعي وانتي ساكتة.. بعد الشر". بهذا همست شيماء .

بدأت مرافعات الدفاع بمرافعة الأستاذ كمال الذي راح يفند الأدلة مؤكدًا أن الاتهامَ المسند إلى المتهمين جميعًا لا يستند إلى أدلةٍ دامغة بل خلت التحقيقات على رحابتها من دليل يربط بين المتهمين وبين الجريمة سوى تحريات الشرطة وشهادة شهود لا تزيد عن كونها إشارةً إلى أن المتهم الأول كان غاضبًا من المجني عليه وأنه هدده بالانتقام منه.

وراح يعرض في أسلوب بلاغي رائع ما اعتور التحقيقات من قصور، وكانت نجوى تصغى إلى المرافعة بانهماكٍ شديدٍ وإعجابٍ أشدّ لدرجة أنها لم



تشعر ولم تسمع شيماء وهي تهمس في أذنيها أكثر من مرة بتعليقات عن المرافعة وعن رشدي ونظراته.. تملَّكها أسلوب الأستاذ كمال فسلبَ وجدانها وجميع حواسها ليضمها إليه، إلى أسلوبه وإلى صوته، إلى حركاته وسكناته، امتلكها إعجابٌ شديدٌ به وراحت تنصت له وهو يقول عن تحريات الشرطة: إنها سيادة الرئيس "أي التحريات" محض رأيٍ لمجريها، فهي خبر يحتملُ الصدق كما يحتملُ الكذب، فلا هي مستقاة من شاهد رأى ولا من شاهد سمع، بل منقولة عن شائعاتٍ سرت وأقاويل نُثرت هنا وهناك. فكيف نعتمد في إدانة متهم على مجرد شائعات تلوكها ألسنة العامة والدهماء فينقلها عنهم الضابط المتحري ويسميها تحريات.. لو كانت نقلًا عن شاهد رؤيا لكان الأحرى به أن يقدم لنا الشاهد ليشهد تحت القسم أما وقد أحجم فليس له من حقٍ أمامكم إلا أن تُحجموا عن الاعتماد على قوله الواهي.. ما قاله الضابط المتحري يصدق عليه قول الشاعر

تخرُّصًا وأحاديثًا ملفقة.. ليست بنبعٍ إذا عُدت ولا غُرب



كلما انتقل الأستاذ كمال من نقطة إلى نقطة ومن حديث إلى حديث كانت درجات إعجاب نجوى تنتقل من أدنى إلى أقصى.

ثم راح يفند أقوال الشهود الذين سمعوا تهديد رشدي للمجني عليه بأن تساءل: لو كل إنسانٍ هدَّدَ آخر مضى في تنفيذ تهديده لقتل كل الآباء أبناءهم.. مَن مِنَّا لم يتوعده أبوه في صِباه بالقتل ومَن منا لم يقل لابنه: لأقتلنك قتلًا لو لم تأكل طعامك حتى آخره.

ابتسم رئيس المحكمة وابتسمت نجوى فرحةً لابتسامته.. ثم عرج إلى الاتهام الأخير بحيازة رشدي للمخدر المضبوط بقصد التعاطي.. وهو الدفاع الذي أثار انتباه شيماء بشدة.

فبعد أن فنَّد هذا الاتهام من الناحية القانونية حيث دفع ببطلان تفتيش المسكن وقال في ذلك أن النيابة قد أصدرت أمرًا بضبط وإحضار رشدي ولكنها لم تأذن بتفتيش مسكنه وإذا افترضنا جدلًا أن المسكن الذي ادعى ضابط الواقعة بأنه ضبط رشدي فيه هو مسكنه؛



فلم يكن من حقه أن يقتحم المسكن أو يعبث بمكنون أسراره لأن أمر الضبط والإحضار خاص بالشخص ولا يمتد إلى مسكنه فحُرمة المساكن تفوق حرُمة الأشخاص ولا يجوز تفتيش المسكن إلا بإذن مُسبَّبٍ من النيابة العامة.

ثم قال ما عكَّر صفو شيماء من ناحية رشدي إذ قرر:

- ولكن من قال إن ذلك المسكن يخص رشدي؟.. رشدي حين سُئِلَ قرر أنه ليس له إلا مسكنًا واحدًا هو الثابت ببطاقة هويته وهو المسكن الكائن بقسم محرم بك.. أما ذلك المسكن الذي ادعى الضابط بأنه عثر على المضبوطات فيه فهو لا يخص رشدي وليس له به أي علاقة، وعلى ذلك فأي مضبوطات ضبطت فيه لا يمكن أن يسأل عنها رشدي؛ فهذا المسكن له حائز آخر لا شك ولو تحرت النيابة الحقيقة لوقفت على مالك الشقة أو حائزها وكان عليها أن تفعل ذلك لتواجه حائز المسكن بعلاقته بالمخدر.

فإذا كان الثابت أن الضابط -وقد قام بتفتيش رشدي- لم يعثر معه على مخدر فلا يجوز أن يكون مسئوُلًا عن مخدر وُجِدَ بين أرجاء مسكن لا علاقة له به، أولَى بالعدالة أن تسأل صاحب المسكن أو حائزه بدلاً من أن تسأل ضيفًا ربما تواجَدَ عرضًا بذلك المسكن.

ثم صاح قائلًا: أيبوء ضيف عابر بما احتواه مسكن مضيفه؟!

نهضت شيماء عند هذا الحد من المرافعة وانصرفت من القاعة ولم تلتفت لمحاولات نجوى إقناعها بالمكوث حتى نهاية المرافعة.

أشاحت بيدها وانصرفت خارجةً من القاعة ومن المحكمة عائدة إلى مسكنها سيرًا على الأقدام فلم يكن يبعد عن المحكمة بمسافة طويلة.

سارت شيماء في عودتها على الرصيف المجاور للبحر والأفكار تدور برأسها. ألهذا السبب لم يستشهد بها رشدي ورفض شهادتها حتى لا تربطه بالمخدر؟ لم



يكن امتناعه عن مثولها للشهادة خوفًا عليها ولا حرصًا على سُمعَتها بل حرصًا على مصلحته وإلقاءً لتبعة الاتهام على غيره حتى ولو كانت هي.

أعياها تزاحم الأفكار فجلست على أحد المقاعد الموضوعة على الرصيف المواجِه للبحر وأسلمت نظرها لزرقة المياه الساكنة ترقُب صيادًا يجلس أمامها على حافة المياه وقد انتقى طُعمًا مناسبًا، ثم أدخل به الشص ليوارى حِدَّته، ثم ألقاه اليم وجلس في صبر ينتظر، ثم ما لبث أن جذب الخيط بحذرٍ حتى أخرج سمكة صغيرة تتدلى في الهواء بعد أن عُلقت بحد الشص متأرجحة تأرجح المحكوم عليه بالإعدام حين يتدلى على عود المشنقة في رمقه الأخير.. تأثرت شيماء بهذا المشهد حتى تسربت من عينيها قطرات دمع حارقة، فرغم أنها تشاهد هذا المشهد من شُرفتها أثناء الليل وأطراف النهار حتى ألفته، ولكن هذه المرة كان له وقعٌ مختلف وكأنها تراه لأول مرة، تعاطفت مع السمكة واستشعرت آلامها وحسرتها فتصارعت داخلها



الاسئلة هل هذا الصياد حين اعتنى بإنتقاء الطُعم كان يبتغي إطعام السمكة الجائعة؟

أكان يهدف حين جذبها من اليم برفقٍ إنقاذها من الغرق؟ لا بل كانت تلك الرحمة الظاهرة وسيلة لاقتناصها وامتلاكها والاستئثار بها.. هكذا فعل رشدي معها.

هو لم يُنقذها من السجن ولا من براثنِ الإدمان ليساعدها بدافع الرحمة أو الشفقة بل لاصطيادها واقتناصها والاستئثار بها لنفسه ومتعته ومصلحته، فقد حوَّلَها إلى آمة تعيش له وتمتثل لأوامره ونوازعه وشهواته ورغباته دون أن يكون لها حق الاعتراض.. فعل ذلك فقط ليمتلكها.. هو لم يستشهد بها ليس خوفًا عليها بل لتحقيق مصلحته في الدفاع عن نفسه. أدركت شيماء أن رشدي كائن بلا مشاعر وهو لا يُقدم على تصرف إلا ليحقق لنفسه من ورائه منفعة أو متعة أو مغنمًا فقط.. كم كانت حمقاء إذ ظلت أسيرة ما فعله رشدي وظنته معروفًا بذله من واقع تعاطفه معها وإنسانيته وحبه لها.. كم كانت ساذجة!



أما نجوى فقد ظلت قابعة في مكانها بالمحكمة لم تعبأ بانصراف شيماء إذ كانت توّاقة إلى استكمال سماع مرافعة الأستاذ كمال.. كانت تعرف أنها مشدودة إلى متابعة مرافعته بطريقة مبالغ فيها ولم تدرِ لهذا سببًا ولكنها استسلمت لهذا الشعور استسلامًا كاملًا وظلت جالسةً بلا حراك تتابع في إعجاب، حتى أنهى الأستاذ مرافعته بطلب براءة موكله من جميع الاتهامات.. واستأذن من المحكمة في الانصراف وخرج من القاعة فخرجت وراءه مسرعة لتجده واقفًا في ردهة المحكمة وقد التف حوله بعض المحامين والمتقاضين يبدون إعجابهم بمرافعته ويصافحونه وقد أشعل سيجارته ينفث فيها ويرد على الناس بابتسامة هادئة.. وقفت أمامه تتفرس في وجهه وهيئته وأناقته فأيقنت أن إعجابها كان به كرجل وليس بمرافعته كمهني محترف فحسب. دنت منه بلا تردد وبادرته بقولها:

- أحسنت الاستشهاد بشعر أبي تمام يا أستاذ كمال.

نظر إليها وقد اتسعت ابتسامته كثيرًا، فمدّت يدها تصافحه وتُعرفه بنفسها.

- نجوى أمين ليسانس آداب لغة عربية.

- أهلًا وسهلًا..

- أنا عمري ما حسيت بمعنى بيت الشعر اللي استشهدت بيه في مرافعتك لرائعة أبي تمام "السيفُ أصدقُ إنباءً من الكتبِ".. زي ما حسيت بمعناه وحضرتك بتوصف به التحريات.

تخرصًا وأحاديث ملفقةً.. ليست بنبعٍ إذا عدت ولا غُربِ.

حديثها لفت نظر الأستاذ كمال بشدة، فبدا عليه الاهتمام فأيقنت أنها توصلت لمأربها سريعًا.

أخذ كمال يجاذبها أطراف الحديث حول اللغة العربية وعشقه لها واستخدامه لمفرداتها كأداة توصيل جيدة لما يقصده من معانٍ وهي أيضًا أداة تأثير تُسحر

السامع وتأسره. وأن ثقافةَ أيٍّ مُجتَمِعٍ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمدى انضباط مفرداته اللغوية ودرجة استيعابه لهذه المفردات.

ظل حديثهما يدور حول هذا الموضوع حتى سألها عن عملها.. واندهش حين عرف أنها تعمل في شركة مقاولات، فأخذ يقص عليها ما يُعانيه من المحامين الجُدد في مكتبه بخصوص أخطائهم الفادحة في اللغة سواء من حيث قواعد النحو والصرف أو التراكيب اللغوية والأسلوب انتهاءً بالأخطاء الإملائية البسيطة.. وأن تصويب تلك الأخطاء يستغرق منه وقتًا طويلًا يمضيه في مراجعة المذكرات وعرائض الدعاوى وكافة الأوراق القضائية التي يُكلّفون بإعدادها.. ثم عرض عليها أن تعمل بمكتبه كمراجعة لغوية حتى ولو لمدة ساعتين يوميًا بعد أن تُنهي عملها الصباحي في الشركة التي تعمل بها.. فوعدته بأن تفكر في العرض فأعطى لها بطاقة تعارفه وفيها الاسم وعنوان المكتب والتليفونات ثم أخرج قلمه وكتب على البطاقة رقمه



الخاص.. ثم صافحها وتمنى أن توافق على عرضه وانصرف.

أخرجت نجوى هاتفها لتسأل عن شيماء:

- ألو، أيوه يا بنتي إنتي فين؟ طب خليكي مكانك أنا جيالك حالًا.

انصرفت نجوى من المحكمة متوجهة إلى مكان جلوس شيماء، لم تكن تشعر أنها تسير على قدمين بل سارت وكأنها تُحلِّق، تحولت إلى فراشةٍ تقفز في الهواء.. أخذت تُسائل نفسها عن هذا الشعور الذي يسري في كيانها وكأن نسمات ربيعٍ بدلًا من الدماء تجري في عروقها!.. لماذا يخفق هذا القلب بقوة وكأنه أسيرُ سياجٍ أضلع ضيقة يتوق إلى التحرر منها والتحليق بعيدًا.. لقد كان لهذا اللقاء السريع مع ذلك الرجل البديع الأنيق وقع سحرٍ مسَّ كيانَها.. خلعت عنها ذلك الغطاء الخانق الذي كانت قد وضعته على رأسها قبل دخولها إلى المحكمة فانسدل شعرها طليقًا وانسلَّت نسمات الهواء بين خصلاته ليزيدها شعورًا



بالسعادة والأنوثة والحرية وتساءلت: لماذا يخنقن النساء أنفسهن بهذا الغطاء وكأنهن يتوارين خجلًا من أنوثتهن التي فطرهن الله عليها؟ أهو بحق فريضة دينية أم زِيٌّ قَبَليٌّ؟!

سرعان ما وصلت إلى شيماء فجلست إلى جوارها تلقف أنفاسها وكأنها خارجة لتوها من سباق للعدو.. نظرت إلى شيماء وبادرتها:

- إيه يا شيماء إنتي مشيتي ليه فجأة كده؟.. ما كملتيش المرافعة ليه؟.. ده إنتي فاتك نُص عمرك، ده الأستاذ كمال أبدع النهارده. أكيد الحكم هيكون براءة.

لم تُرد شيماء بل ظلت تنظر إلى نجوى باندهاشٍ، أخذت نجوى تكمل حديثها عن مرافعة الأستاذ كمال وتصف قوة شخصيته وحلاوة أسلوبه وسحر خطابه، وكانت تعيد مقاطعًا من المرافعة.

توقفت فجأة فقد شعرت أنها أسهبت في الحديث دون أي تعليق من شيماء.. فأعادت عليها السؤال:

- إيه ما قلتليش إنتي مشيتي ليه؟

تحدثت شيماء بصوت يخنقه الأسى عما انتابها حين سمعت من المحامي أن رشدي حين أنكر وجوده في مسكنها لحظة القبض عليه كان يقصد التنصل من المخدرات التي عثرت عليها الشرطة بالمسكن.. وأنه لهذا السبب رفض الاستشهاد بها بل لم يكن لديه مانع من إلقاء تبعة الاتهام عليها وهو ما ألمح إليه محاميه بالمرافعة. وقصَّت عليها ما شعرت به وما انتهى إليه تحليلها لتصرفات رشدي معها منذ أن ظنت أنه وقف معها إشفاقًا وعطفًا إلا أنها كانت واهمة؛ فهو لم يكن سوى ذلك الصياد الذي يُطعم فريسته حتى يتمكن من أسرها.

قالت نجوى:

- أكيد يا شيماء إنتي عندك حق، اللي زي رشدي ده عمره ما يعمل حاجة لله.. الناس دي يا شيماء لا بتعرف تحب ولا بتعرف ربنا حتى.. عايزة إيه من واحد أكل عيشه من البلطجة وأذية الناس وظلمهم..

فوقي لنفسك وشوفي مصلحتك لا انتي شبهه ولا هو شبهك، وعمر ما طريقك حايبقى طريقه زي ما قولتلك مِية مرة.. رشدي ده مرحلة في حياتك لازم تنتهي وأظن إن الوقت جه عشان تخلصي منه.. كفايه لحد كده ..

نهضت نجوى وأمسكت بيد شيماء وقالت:

- قومي بينا نقعد في حتة كويسة نشرب حاجة تعالى ندخل الجراند كافيه نقعد شوية نتكلم، أنا عايزه أتكلم معاكي ضرورى وأفضفضلك على اللي حصلي.

نهضت شيماء وسارت مع نجوى بعد أن خلعت طرحتها وكأنها تخلع عنها عناءَ يوم عسير وجلستا على أريكة وثيرة داخل ذلك المقهى الأنيق.

طلبت نجوى من النادل أن يجهز لها "شيشة" ومشروب ليمون بالنعناع، وطلبت شيماء قهوة بدون سكر.



قالت شيماء: شيشه يا نجوى.. أنا عمري ما شُفتك بتشربي شيشة..

ردت نجوى ضاحكة:

- أنا النهارده عايزة أشرب حشيش مش بس شيشة.. أنا عايزه أعمل أي حاجة وكل حاجة، حاسة إني فرحانة وزعلانة وخايفة ومتطمنة.. كل المشاعر عملت كوكتيل جوايا.

- إيه يا بت إنتي من ساعة ما شُفتك وانتي مش على بعضك فيه إيه حصل في المحكمة؟

- حصل..! ده حصل وحصل وحصل. بس أنا عايزه أسألك سؤال إنتي طبعًا تعرفي الأستاذ كمال.. هو متجوز؟ أصل أنا ما شفتش في إيده أي دبلة رغم إن سنه عدى الأربعين تقريبًا، مش معقول ما اتجوزش لغاية دلوقتي.

- وانتي مالك متجوز ولاَّ لأ.. فيه إيه بقى؟ إحكي لي واحدة واحدة كده.



قصَّت نجوى ما حدث بينها وبين كمال وكم هي معجبة به وبشخصيته وتراه مثلًا في الرجال وتشعر بأن هناك شيئًا خفيًا ربطها به وتتمنى أن ترتبط به فعلًا.

- اللي أعرفه إنه كان متجوز وطلّق مراته من زمان ومعاه ولد عايش معاه، وجدته هي اللي بتراعيه.. بس ما أعرفش إن كان اتجوز تاني ولا لسه.. -ثم ضحكت وقالت- إهدى يا بت شويه أنا عمري ما شُفتك خفيفة كده، ده إنتي طول عمرك عاقلة ومش حاطه دماغك في الرجالة حتى من أيام الجامعة عمرك ما اهتميتي بشاب زي البنات.

- أنا يا حبيبتي ماقابلتش في حياتي غير صنفين من الرجالة، إما شباب تافه وهايف عايز يتسلى وبس، وإما رجالة طمعانين في أنوثتي وعايزين يستغلوا ظروفي وينهشوا جسمي زي الحاج زفت اللي باشتغل عنده، وطول عمري باعرف أصدُهم وأوقّفهم عند حدهم، مرة بالذوق ومرة بالحِدة ومرة بالهداوه، أهو ممشيّة حالي ومحافظة على نفسي وعلى كرامتي.



قالت شيماء ضاحكة:

- أنا عارفة يا بت طول عمرك راجل.

- لا.. أصل الحكاية بالنسبة لي حكاية كرامة، البنت اللي بتطمَّع الرجالة فيها بنت بتتنازل عن كرامتها وأنا يا شيماء طول عمري ما حيلتيش غير كرامتي.

- طب وإيه اللي جرى لك المرة دي؟

- المرّة دي أنا حاسة إن ده الراجل اللي أنا باحلم بيه.

- خلّي بالك ممكن ما يكونش حاسس بيكي خالص وانتي لفّتي نظره بس من ناحية تخصصك في اللغة وعايز يستفيد منك في عمله.. اللي أعرفه عنه إنه عملي جدًا ومافيش أي حاجة تهمه ولا تلفت نظره غير شغله وبس، وده اللي خلَّى مراته تتطلّق منه.

- عمومًا أنا بفكر في العرض بتاعه وحاروح أجرب الشغل معاه وأهي فرصة أبقى قريبة منه وأشوف



حايحصل إيه يا إما اللقاء يكون منه الداء أو لقاء يكون فيه دواء. على رأي أمير الشعراء..

أخذت نجوى تنفث شيشتها بينما احتست شيماء عدة أكواب من القهوة..

- ممكن الحكم يكون طلع دلوقتي الساعة 2:30 حانعرف إزاي؟

- يا ترى إنتي عايزاه ياخد براءة ولا يتسجن؟

- لأ طبعًا أكيد مش باتمنى له الشر.. بس خايفة.. بعد ما يطلع براءة أنا حاعمل إيه؟ أنا مش ممكن حاستمر معاه كده زي ما كُنا.. أنا تعبت وزهقت من العيشة دي وقرفت من نفسي.

- هو لو اتحبس تبقى فرصة كويسة تاخدي الفلوس وتبدئي حياتك بعيد عنه.. مش هو قال لو اتحبست خدي الفلوس وعيشي حياتك، بس بصراحة كمال أكد لي إنه حاياخد براءة؛ لأن القضية فاضية ومفهاش



دليل.. وحتى لو أخد براءة.. قوليله خلاص إنت من سكة وأنا من سكة، حايعملك إيه يعني؟

- إنتي عبيطة يا نجوى؟ إنتي مش عارفة رشدي، ده ممكن يقتلني أو يشوهني، ده قتَّال قُتلة، هو اللي زي ده ممكن يسيبني بالساهل كده، ده حاطط في دماغه إنه شاريني وان أنا ملكه مش ملك نفسي، والله يا نجوى أنا حاسة إن رشدي ده قدري اللي مش ممكن حاخلص منه.

- ماتقوليش كده، خليها على الله وهو حايحلها من عنده.

- بقولك إيه أنا حاتصل بكمال أعرف منه إذا كان الحكم طلع ولَّا لأ ..

ألو "أستاذ كمال"، أنا نجوى أمين بتاعة اللغة العربية.. أهلًا بيك.. أنا آسفة على إزعاجك بس وحياتك أنا باتصل عشان أعرف الحكم إيه في القضية اللي كنت بتترافع فيها؟



- إيه ده.. لسه لغايه دلوقتي! هي الأحكام بتتأخر كده!.. في المداولة.. يعني إيه مداوله؟.. آه.. طب ممكن لو طلع الحكم أعرفه من حضرتك.. الله يخليك متشكرة جدًا.. مع ألف سلامة حاستنى تليفونك.

قالت نجوى مخاطبة شيماء:

- خلاص أول ما الحكم حايطلع حايكلمني.. بيقول فاضل شويه.. بقولك إيه إنتي ماجُعتيش؟ ما تيجي ناكل، أنا ميتة من الجوع، تيجي نطلع الفيش ماركت ناكل سمك.. أنا عمري ما أكلت فيه إيه رأيك؟ أنا عزماكي يلّا بينا.

- لا أنا ماليش نفس للأكل ممكن تطلبي هنا اللي إنتي عاوزاه أنا مش عايزه آكل..

- ياساتر يا رب شكلك يسد النفس ماتفكّيها وتخليها على الله.

اكتفت نجوى ببعض ساندوتشات الجمبري، وبينما كانت تلتهمها دق جرس هاتفها فإذ هو الأستاذ كمال

يبلغها بالحكم.. لقد قُضي ببراءة رشدي من جميع الاتهامات وكذلك كل المتهمين عدا منصور الجمال وشهرته دعبس فقد قُضي بحبسه لمدة سنة واحدة عن تهمة حيازته لسلاح ناري دون ترخيص.

تلقت شيماء نبأ الحكم بابتسامة لا يُستبان منها أهي دلالة على الفرح أم على اصطناعه، بينما فرت من عينيها دمعتان..

نظرت إليها نجوى متسائلة:

- أنا مش عارفة دي دموع الفرح ولا دموع الحزن؟!

تركت شيماء المكان إلى منزلها وتابعتها نجوى وجلستا تتدبران الأمر، فقد عزمت شيماء على عدم مواصلة حياتها بهذه الطريقة وأنها يجب أن تترك رشدي، ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟

انتهت شيماء إلى أن قرار ابتعادها عن ذلك الرجل هو القرار الوحيد الصائب الذي يجب اتخاذه كي تستطيع أن تمضي قُدمًا في حياتها مهما كانت النتائج والآثار.



شجعتها نجوى على اتخاذ هذا القرار بطبيعة الحال فقد كانت تدرك أن الطريق الخاطئ لن يفضي إلا إلى نهاية مخزية، وأنه لا يصح في النهاية إلا الأمر الصحيح ومن يتسبل الفضائل لا يعبأ برد فعل الرذائل.

انصرفت نجوى وقد أخذت على نفسها عهدًا أن تُعينَ شيماء على تنفيذ قرارها بكل ما تملكه وتستطيعه.

****



عاد رشدي ورفقاؤه إلى السجن بعد أن ظفروا بالبراءة ريثما تصل خطابات الإفراج من النيابة، وأخذ الجميع يحتفل بالحكم أثناء ارتداء ملابسهم المدنية وتسليم ملابس السجن وقاموا بتوديع زملائهم المسجونين..

انفرد رشدي بدعبس يحاول أن يواسيه ويشد من أزره ويخفف عنه وطأة الحكم قائلًا له:

- معلش يا دعبس كلها كام شهر وتحصَّلنا.. الحكم كله سنة وانت قضيت منه تسع شهور احتياطي يعني لو حتقضيها كاملة يبقى فاضلك 3 شهور بالكتير.. يعدوا هوا إن شاء الله واللي انت حاتعوزه بره أو جوه ماتحملهوش هم أنت عارف غلاوتك عندي..

- تعيش يا كبير ما تحملش همي، الحمد لله اللي جت على أدّ كده مبروك عليك انت والرجالة.

- والله أنا خايف يا دعبس إن الفرحة ماتكملش وأطلع من هنا على المعتقل.. أنا قلبي حاسس إن خالد زمزم حايعملها معايا ويبعتني على وادي النطرون..

- تِف من بقك يا عم ما تقولش كده.. هو انت عملت إيه؟ ما هو عارف إنه حبسك ظلم وإنك مالكش في القضية دي.. كمان حايعتقلك! لا يا معلّمي مش حايحصل إن شاء اللّه وبعدين ما أنت أمن الدولة في جيبك ومافيش جواب اعتقال بيمشي إلا لما أمن الدولة تمضي عليه.

ضحك رشدي قائلًا:

- يا عم دول مالهمش حبيب.. فِكرك يعني عشان أحمد بك الطرابيشي كل شويه يكلمني ويطلب منِّي طلبات، أجيبله أخبار المشايخ ولا أساعدْ في الانتخابات يبقى حبيبي.. لا يا عم فيه ألف واحد غيري بيخدم، ما جتش عليّا..

(تنهَّد رشدي) خليها على اللّه اللي في نصيبنا حايصيبنا سيبك من الموضوع ده.. أنا عايزك تكلمني بصراحة يا دعبس، أهي كل حاجة راحت لحالها.. إنت أخدت الرجالة وطلعت الطلعة دي.. قتلت حودة والعيال من ورايا؟



- يا عمنا ما أنا قلت لك مِيِة مرة ماليش فيها، طب هو أنا لو أخدت حد من الرجالة ماكنتش حاتعرف يعني؟ ولاَّ هُمَّا حايقدروا يخبوا عليك.. يا رشدي لازم تصدقني أنا والله العظيم ماجيت جنب الولَا ده ولا العيال بتوعه وماليش دعوة بالموضوع من أساسه.

- حاجة تحير.. أومال مين يعني؟

- ده عيل وسخ وعنده عداوات مع طوب الأرض ممكن حد من البحيرة، ما العيال بتاعته كانت بتسرق هناك وممكن يكونوا عملوا عَملة سودة هناك، وانت عارفهم هناك مابيسبوش تارهُم، ولاَّ يكونوا العيال نفسهم حبوا ينتقموا منه.. سكت برهة ثم قال:

- إنت عايز الحق يا رشدي أنا شاكك في المشايخ.

- إيه يا راجل اللي بتقوله إنت حاتهيس.. بطَّل تخاريف..

وهنا نادى شاويش العنبر على أسماء المفرج عنهم للنزول إلى ضابط مباحث السجن لاتخاذ إجراءات



الإفراج.

فسلَّم رشدي ورفقاؤه على دعبس وباقي زملاء العنبر وانصرفوا.

****

استقل جميع المفرج عنهم سيارة السجن التي طوَّفت بهم على أقسام المدينة لتُسلِّم كل طائفةٍ منهم إلى قسم الشرطة التابعين له، حتى استقرت أمام قسم محرم بك فهبط رشدي ورفقاؤه وسِيقُوا إلى الحجز المجاور لوحدة البحث الجنائي حتى يتم عرضهم على رئيس المباحث لفحصهم ومراجعة أوراق الإفراج والبحث عما إذا كان أيهم مطلوب في قضية أخرى من عدمه.

وفي المساء وقف الجميع في طابور أمام حجرة رئيس المباحث ليُعرضوا عليه فرادى.. أخلى سبيل الجميع عدا رشدي، فقد أمرَ السيد رئيس المباحث بإعادته إلى الحجز لأنه مطلوب مثوله صباحًا أمام وحدة مباحث جرائم النفس بمديرية الأمن.



هنا أدرك رشدي أن ما كان يخشاه أضحى واقعًا..

وفي الصباح أُقتيد رشدي إلى مديرية أمن الإسكندرية في مبناها الجديد الفخم بمنطقة سموحة.

وأمام العميد خالد زمزم وقف رشدي قائلًا:

- أنا عارف يا باشا أنا جاي ليه.

- طب كويس يا رشدي حاتقصر عليًا السكة.

- بس أنا عندي كلمتين عايز أقولهم.

- قول يا سيدي سمعني.

- إنت حبستني ظلم على قضية ماليش فيها وانت عارف كده كويس.. إتحبست بحِتّة ورقة كتبت فيها سيادتك دلت التحريات على أن رشدي هو القاتل.. حتة الورقة دي كلفتني تسع شهور حبس ومُحاكمة ومحاميين.. وفي الآخر طلعت براءة، وانت عارف من الأول إني حاخد براءة.

ودلوقتي أنا عارف إنك حاتعتقلني، برضو بحِتّة ورقة تكتب فيها سوابقي وتقول إني لسه ليا نشاط خطر على المجتمع، وممكن تكلفني حتة الورقة دي سنه أو سنتين أو أكتر في المعتقل لا أشوف دنيا ولا أشوف نور.. الظلم حرام يا باشا.

ضحك العميد ضحكة ساخرة وصفق بيده عدة مرات وقال:

– برافو.. مرافعة كويسة.. خبرة برضو.

- بُص يا رشدي أنا حارد على كل حاجة إنت قُلتها.

- أولًا حتة الورقة اللي بتتكلم عليها دي اسمها محضر التحريات، ودي ورقة رسمية، وأنا مُكلف من الدولة إن أكتب فيها رأيي والمحكمة حُرة تاخد بيه أو ماتاخدش، لكن لغاية دلوقتي أنا مقتنع إنك انت أو رجالتك اللي عملتوها مع اللي - اللّه يجحمه مطرح ماراح – وانت عملت معروف إنك خلصت الناس منه، وأنا بعمل معروف برضو إني بخلّص الناس منك ومن



أمثالك. بِحِتّة الورقة اللي مش عجباك دي.. وبعدين إنت كده كُلك بالنسبة لنا حتة ورقة إسمها "صحيفة الحالة الجنائية"، نبُص لها نعرف إذا كنت مواطن شريف لك حقوق، ولّا مجرم مالكش أي حقوق عندنا. وبالنسبة للمجتمع.. إنت برضو حِتة ورقة إسمها "بطاقة" من غيرها محدش يعترف بيك، ولا يبقى لك وجود. ولو مُت مش ممكن تدفن إلا بحِتّة ورقة اسمها تصريح دفن وبعد ما تدفن حتبقى حتة ورقه اسمها شهادة وفاة، يعني أي إنسان في نظر الدولة "حتة ورقة" عرفت قيمة حتة الورقة اللي بيمضى عليها موظف حكومة؟

- أنا عايز أعرف إنت حاططني في دماغك ليه؟! اللي بتعمله معايا ده مايرضيش ربنا أبدًا.

- أهي دي قِلة أدب منك لأن أنا دماغي نضيفة مش ممكن تتحط فيها الوساخة اللي زيك. وبعدين أنا مقتنع إني لما باعتقلك بارضي ربنا وبارضي المجتمع، تعرف ليه؟ أقولك:



إنت عملت فلوس قد إيه من المخدرات والسلاح والبلطجة وظُلم الناس وسرقة أملاكهم وتشريدهم؟ ورغم كده لا انت اتعاقبت ولا حتى دفعت حق الدولة من الفلوس دي، فأنا بقى باحوّش لك جرايمك وأعاقبك عليها مرة واحدة؛ لأن القانون مش عارف ياخد حقه منك. أنا باخده بطريقتي، وبرضو بالقانون ما هو الاعتقال ده قانون إسمه قانون الطوارئ، وأديك بتتعاقب وبتغرم شوية فلوس من اللي نهبتها إشي على المحامين وإيى إتاوة للسجانة وعلى زمايلك في السجن وأهو من دقنه وافتّلُه، عرفت بقى يا معلم رشدي المسائل ماشية إزاى؟ يلّا بقى حضَّر نفسك حاتترحل على وادي النطرون كمان تلات أيام، ومن حقك تعمل تظلم كل تلاتين يوم قُدَّام المحكمة، ولو المحكمة أفرجت عنك من حقنا نتظلم، ولو اترفض التظلم نفرج عنك على الورق ونعملك قرار اعتقال جديد أظن انت خبرة وعارف الكلام ده كله.

دخل أمين شرطة ليقتاد رشدي إلى حجز المديرية تمهيدًا لترحيله إلى معتقل وادي النطرون.



****

ظلت شيماء بمسكنها لا تبرحه انتظارًا للمجهول، وأخذت ترتب للمواجهة المرتقبة بينها وبين رشدي عقب خروجه من السجن، كيف ستقابله؟ وكيف ستصارحه بأنها لا ترغب في استكمال حياتها معه؟ فكرت مرات عديدة بأن تبرح المسكن بكل بساطة إلى غير رجعة.

أن تعود إلى قريتها، وأن تتوسل لأمها وخالها بطلب المغفرة، ولكنها كانت تستبعد الفكرة سريعًا خاصةً بعد أن جاءت لها نجوى منذ شهور بأخبار أمها وشقيقتها، وكيف أن خالها قد أرغم شقيقتها على ترك المدرسة وهي في الصف الأول الثانوي وأجلسها في بيته انتظارًا "للعَدَل" بعد أن أرغمها هي وأمها على ترك منزلهما والبقاء شِبه محبوستين داخل داره لفشل الأم في تربية بناتها والتسبب في تلك الفضيحة والعار التي جلبته عليه وعلى العائلة.



كانت نجوى تلازمها باستمرارٍ لتُخفِّفَ عنها الصراع النفسي الذي يؤرقها وتشجعها على مواجهة المشكلة فليس أنجح مع المشاكل إلا المجابهة.

بعد يومين من تاريخ حكم البراءة.. اتصلت نجوى بشيماء في العاشرة مساءً على غير عادتها، وقالت لها بفرحة شديدة.

- عندي خبر بمليون جنيه

- خير..

- مليون جنيه حقيقي مش مجازي.

- قولي يا نجوى خلصيني..

- أنا لسه عارفة دلوقتي من الأستاذ/ كمال إن رشدي أُعتُقِل، ومش طالع من المعتقل، وقالي بالحرف رشدي خلاص إنسيه بقّى.

- بجد يا نجوى لا حول ولا قوة إلا بالله.



- إيه صعبان عليكي يا هبلة؟.. ده كده كُل مشاكلك اتحلّت وكسبتي كمان المليون جنيه.. لأ وعندي خبر تاني بقى بمليار جنيه مش بمليون وده خلّيه مفاجأة لغاية ما أجيلك.. إقفلي أنا جيّالك.. مسافة السكة.

****

دخل الكابتن حسن "أمين الشرطة" إلى الحجز مشيرًا إلى رشدي:

- يلّا يا معلم رشدي حضَّر نفسك، عندك عرض على أمن الدولة.

نهض رشدي متثاقلًا وأخذ يُلملم أشياءه ويضعها في حقيبة بلاستيكية، ثم استأذن أمين الشرطة في الاتصال بمصطفى فأذن له بعد أن تلقى المقابل:

- ألو أيوه يا مصطفى أنا رشدي.

الله يخليك أنا كويس.. طمني على الحاجّة واخواتى والعيال وأمهم، خد بالك منهم يا مصطفى أمانة في



رقبتك.. باقولك إيه يا مصطفى، أنا حاترَّحل دلوقتي على أمن الدولة إبقى هات لي كام غيار وكام ترينج نضيف وأكل. وكلِّم أحمد بك الطرابيشي من تحت وهو حايبعت ياخد منك الحاجة ويوصلهالي.. وماتنساش تجيب علبة جبنة بيضاء وعلبتين جبنة كيري وكيس بقسماط وكام خرطوشة سجاير.. شكرًا يا حبيبي، سلام.

انتقل رشدي للمبنى العتيق لمباحث أمن الدولة بشارع الفراعنة بالحي اللاتيني، وهو مبنى عبارة عن فيلا كانت لأحد الأجانب استولى عليها الضباط الأحرار إبان ثورة 1952 وخُصصت بعد ذلك كمقر لمباحث أمن الدولة.

بعد وصوله مباشرةً أُقتيِدَ إلى مكتب العقيد أحمد الطرابيشي المسئول عن النشاط الديني، كان رشدي يعرفه جيدًا فهو شخص هادئ الطباع يبدو دمس الأخلاق، كان يستعين برشدي أحيانًا في انتخابات مجلس الشعب أو في إمداده ببعض المعلومات عن بعض مشايخ السلفية في منطقته، وكان رشدي دائمًا



يبدي بعض التحفظات على قيامه بهذه المهمة متحججًا بأنه لا يختلط بهم ولا يعرف عنهم شيئًا.. ولم يكن ذلك الرفض يثير حفيظة العقيد أحمد ولم يكن يثنيه أيضًا عن إعادة المحاولة مع رشدي مرات أخرى فيأخذ منه معلومة هنا وأخرى هناك.

استقبل العقيد/ أحمد "رشدي" ببشاشته المعهودة ورحَّب به وأجلسه على المقعد الوثير المقابل لمكتبه وطلب له مشروبًا.. وبدأ معه حديثه مباشرة.

- إنت طبعًا مستغرب أنا عايزك ليه..

- لا أبدًا يا باشا ما أنا متعود أدخل المعتقل عن طريق أمن الدولة وأطلع برضو عن طريق أمن الدولة.

نظر العقيد أحمد إلى رشدي نظرة طويلة ثاقبة حادة وقال بصوت هادئ خفيض كمن يخشى أن يسمعه أحد.

- أنا عارف يا رشدي إنك اتحبست ظُلم، وعارف إنك مالكش في موضوع العيال اللي اتحرقت والولد اللي

انقطع واتصلب على سيمفور المحطة.

- طب يا باشا لمَّا انت عارف خلّيت ليه خالد بك يعملي القضية ويظلمني؟ ووافقت ليه على قرار اعتقالي؟

- أنا ماعرفتش إنك مظلوم إلا لما خالد عمل القضية.. هو اتسرع شويه، بس أنا كنت عارف إنك حاتأخد براءة وكنت متابع كويس، وبعدين قرار اعتقالك جاي من الأمن العام مش من عندي..

سكت العميد أحمد قليلًا ثم قال بصوت خافت:

- سيبك من ده كله يا رشدي، الحمد لله على سلامتك.. وأنا أوعدك مش حاتقعد في المعتقل كتير المرة دي.. يعني شهر ونص شهرين بالكتير وانت وجدعنتك معانا.. لو خلّصت مهمتك بسرعة حاتطلع بسرعة.

نظر رشدي مندهشًا!

- أنا مش فاهم حاجة! مُهمة إيه؟

- الأول يا رشدي إنت عارف مين اللي قتل "حودة المجري" وحرق العيال.

- لا يا باشا مش عارف؟

- مافكرتش طول الفترة اللي فاتت مين يكون عمل كده.

- أنا قُلت حاجة من إتنين يا إما دعبس يا إما العيال اللي مسرّحهم حودة حبوا ينتقموا منه.

- طب تفتكر دعبس ممكن يعمل كده من غير ما تعرف؟

- لأ طبعًا.. لو عملها كنت حاعرف.. وهو كمان حلفلي إنه ماعملهاش وهو مايقدرش يكدب عليًا، وبعدين ده مش إسلوب دعبس ولا حد من الرجالة لو كانوا عايزين يقتلوه كانوا ضربوه طلقتين وخلاص.

- تفتكر العيال بتوع حودة حايقدروا عليه وهو معاه العيال الحرس بتوعه؟ طب لو العيال عملوها مين اللي



حط خزنة الطبنجة بتاعتك هناك؟

- يا باشا إنت كده حيرتني!

- واللي ماتعرفوش إن أنا بنفسى جبت العيال بتوع حودة دول واحد واحد هنا واشتغلنا معاهم ولقيناهم مالهمش دعوة بالموضوع.

- أومال مين بس؟

- ما فكرتش يا رشدي طريقة القتل دي بتاعة مين؟

- لا يا باشا ما أعرفش.

إنت تعرف الآية اللي بتقول "بسم الله الرحمن الرحيم"

"إنما جزاء الذين يحاربون اللّه ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يُقتلّوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف".

- أيوه يعني باسمعها..



- دي يا رشدي المشايخ بيقولوا إن ربنا فرض فيها حد إسمه "حد الحرابة".. يعني اللي يمسك سلاح ويقطع طريق على المسلمين.. أو يهجم على الآمنين في مناطق سكنهم بسلاح ويروعهم زي ما عمل كده "حودة المجري" في اليوم اللي هجم فيه على حتتكم.. ده جزاءه زي ما بيفسروا المشايخ الآية إنه يتقتل أو يتصلب أو يقطعوا إيده ورجليه من خلاف يعني مثلًا يقطعوا رجله اليمين وإيده الشمال أو العكس. وده بالضبط اللي حصل في حودة.

- أيوه فعلًا أنا شُفت صورته وهو متعلّق زي المصلوب على العامود وفيه رجل وإيد مقطوعين ومدبوح كمان.

لا حول ولا قوة إلا بالله، يعني عايز تقول إن المشايخ هُما اللي عملوا كده..! تصدق وتؤمن بالله إن دعبس قالِّي كده وأنا قولتله إنت بتستهبل.. معقول! وتلاقيهم هُمّا اللي رموا خزنة الطبنجة بتاعتي كمان جنب الجثة.. ولاد الحرام عايزين يلبسوهالي. دول شياطين مش مشايخ بقى الشيخ سعيد الزيني اللي بيؤم الناس كل صلاة، وبيقولوا عليه راجل طيب يطلع منه كل

ده.. وكمان عايز يلبسني البدلة الحمرا.. إبن الحرام.. طب والله العظيم لحدبح أمه.. حتى ولو كنت في المعتقل.

فزع العقيد أحمد وقال بحِدَّة:

- لا لا يا رشدي إستهدّى بالله، الشيخ سعيد مايعرفش حاجة، هو لما قال في القعدة إن حودة يستاهل حد الحرابة الشباب الصغيرين سمعوا منه الكلام فافتكروا إنه حُكم شرعي وأمر من الشيخ لتنفيذ الحد، فاتصرفوا من نفسهم.. أنا حققت في الموضوع بنفسي.

- طب يا باشا لما انت حققت وعرفت مين اللي قتل، سبتني في السجن ليه؟ وليه ماعملتش القضية للي قتلوا؟

- ما أنا ماكانش عندي أي دليل.. وعشان كده أنا اعتقلت كل اللي أنا اتأكدت إنه شارك في الموضوع ده وكلهم دلوقتي في المعتقل.



وقف رشدي منتفضًا..

- آه وعشان كده اعتقلتوني، عشان أروح أصفيهم هناك. مش كده يا باشا..

- لا يا مفتح إوعى تيجي جنبهم، وبعدين أنا مش حاقولك أسماءهم ولا حاعرَّفك هُمَّا فين بالضبط عشان ماتعملش اللي في دماغك.. أنا عايزك في حاجة أكبر وأهم من كده..

سأل رشدي: طب والشيخ سعيد مُعتقل معاهم؟

ضحك العقيد أحمد قائلًا:

- لا لا طبعًا.. الشيخ سعيد ده راجل طيب مالهوش في العنف بالعكس ده بيساعدنا كتير.. وهو اللي جه وقالي إنه شاكك في إن بعض الشباب اللي بيجتمعوا عنده في المسجد هُمَّا اللي قتلوا حودة والعيال اللي معاه، وكان متضايق جدًا إنك محبوس ظلم وأنا اللي طمنته وقولتله إنك حاتخد براءة بإذن الله، وكان كل شويه يسأل عنك.

- يا باشا إنت لخبطّلي مُخي، وعمال تودّيني وتجيبني من الصبح ما تقولّي إيه اللي مطلوب منّي بالظبط؟

عقد العقيد أحمد الطرابيشي حاجبيه ثم نهض من خلف مكتبه وجلس على المقعد المواجه لرشدي، وأخذ يتفرس في قسمات وجهه مليًّا لدرجة أشعرت رشدي بالرهبة والخوف، فقد طلت من نظرات العقيد أحمد الثاقبة الجامدة كل المعاني التي أوجست رشدي خيفةً للدرجة التي عرف منها أنه مُقبلٌ على تجربة خطيرة، أمارات الجدية التي ارتسمت على وجه العقيد أحمد ونظراته العميقة وصوته الخافت والجلوس المباشر أمامه كل هذه العلامات تنذر بلا شك بأن هناك أمرًا خطيرًا سيتورط فيه، أو ربما يكون قد تورط فيه فعلًا.. عمومًا هو ليس له خيارٌ في الإقدام أو الإحجام.. باغته سؤال العقيد أحمد:

- رشدي، إنت بتقرا جرايد؟

انتشله السؤال من الغرق في يَمّ أفكاره.. فأجاب بعد أن افتعل سعالًا خفيفًا:

- نعم.. لأ.. آه ساعات يعني..

انتشل العقيد أحمد بعضَ صفحاتٍ منزوعة من بعض الجرائد كانت موضوعة مع باقي الأوراق المنتشرة على المكتب، ودفعها إلى رشدي وطلب منه أن يقرأ الأخبار المشار إليها بالمداد الجاف الأحمر.

تصفح رشدي قصاصات الورق وحدَّق فيها فوجد كل الأخبار المشار إليها بمداد خارجي أحمر تشير إلى تفجيرات هنا وهناك استهدفت بعض المناطق السياحية وراح ضحيتها بعض السائحين الأجانب.. وبعض أخبار القبض على خلية إرهابية هنا وخلية إرهابية هناك.

أعاد رشدي الأوراق إلى العقيد/ أحمد دون أن يعقب أو ينبث بكلمة، ولكن الأمر زاده ارتيابًا وخوفًا وارتباكًا.. فسأله العقيد أحمد: إيه رأيك؟

- رأيى في إيه يا باشا؟! وأنا مالي بالإرهاب والإرهابيين، أنا عمري في حياتي ما شُفت إرهابي ولا



قابلت إرهابي، ما تقولّي يا باشا على طول سعادتك عايزني ليه؟ أنا أعصابي باظت.

- إسمع كويس يا رشدي الكلام اللي حاقولهولك دلوقتي مايحتملش هزار.. ومش عايز أفهِمَّك إن أي تالت غيرنا حايعرف حاجة من الكلام اللي حقولهولك دلوقتي يبقى انت حكمت على نفسك بالموت، فاهم يعني إيه.. الموت بجد مش تهديد.

استطرد العقيد أحمد دون أن يعطي لرشدي أي فرصة للتعليق.

- فيه بعض الشباب المنشقين عن الإخوان المسلمين وعن الدعوة السلفية، أو اللي بيدّعوا إنهم منشقين، اعتنقوا أفكار متشددة وكوّنوا جماعات جهادية مستقلة عبارة عن خلايا عنقودية منتشرة بدأت من هنا من إسكندرية وتشعبت في حتت كتيرة، منهم ناس سافروا ليبيا وكونوا مجموعة بقيادة واحد مصري إسمه الحركي "أبو عبد الله المصري" وناس سافرت السودان وكوِّنوا مجموعات تحت أسماء كتيرة



زي لواء القدس ولواء الإسلام وصلاح الدين وغيرها.. ومجموعة استقرت في العريش ودول على اتصال بالمجموعات المتشددة في غزة..

المجموعات دي متفرقة ومايعرفوش بعض ومافيش اتصال مباشر بينهم إلا عن طريق قيادات موجودة هنا في مصر هي اللي بتحط الخطط وهي اللي بتدبر التمويل وبتسهِّل لهم الحصول على الأسلحة وتلقّي التدريبات.. المجموعة اللي في مصر إحنا عرفنا نوصل لأغلبهم واعتقلنا ناس كتير منهم وبعضهم لسه هربان سواء جوه مصر أو بره.

المشكلة إن القيادات اللي في المُعتقل دي لسه لها تأثير ونفوذ على المجموعات المسلحة المنتشرة جوه مصر وخارجها.. وهُمَّا اللي بيوجهوا المجموعات دي وبيحطوا لهم الخطط ووسائل الإتصال بالقيادات الخارجية – بيعملوا كده وهُمَّا في المعتقل واحنا مش عارفين لغاية دلوقتي نسيطر عليهم جوه.. الخطط بتتهرب من جوه لبره والتعليمات تقريبًا بتوصل على طول أول بأول.

إحنا طبعًا زارعين ناس جواهم، بس الظاهر إنهم كشفوهم مافيش حاجة بيقولوها قدامهم، والأدهى من كده إنهم بيستغلوهم عشان يبعتوا لنا معلومات مغلوطة يودونا في سكة بعيدة وهُمَّا في سكة تانية.

إحنا طريقتنا إن احنا بنجند ناس من جواهم عشان ينقلولنا الأخبار وهُمَّا بقى عندهم خبرة في كشفهم فاحنا فكَّرنا إن إحنا نحط في طريقهم واحد مايشكوش إنه له علاقة بينا ويكون فيه المواصفات اللي تغريهم إنهم يجنّدوه.. يعني نسيبهم يجندوا واحد من عندنا بدل ما نجنّد إحنا واحد من عندهم. ولو كلوا الطُعم وجنّدوه حايبقى موثوق فيه بالنسبة لهم ونقدر عن طريقه نكشف خططهم وننجح إن شاء الله في كسر شوكتهم ونبعد خطرهم عن البلد.. وعشان كده احنا اخترناك للمهمة دي.

سكت العقيد قليلًا ثم استطرد:

- رشدي الناس دي خطر جدًا على البلد، دول ناويين يولّعوها والقتل عندهم حلال، شُفت عملوا إيه في



حودة والعيال المساكين اللي معاه. هُمَّا بيعتبروا كل اللي مش منهم كافر يستحق القتل.. إحنا لو مش حانلحق نسيطر عليهم حايولّعوا فينا وفي البلد كلها، الموضوع خطير يا رشدي، وآن الأوان إنك تشتغل جد شويه عشان البلد يا رشدي مش عشاني ولا عشانك.

أنهى العقيد حديثه.. ثم انتقل مرة أخرى ليجلس على مقعد مكتبه.. ونظر إلى رشدي منتظرًا تعليقه.

إلا أن رشدي كان غارقًا في تفكيرٍ عميقٍ لم ينتبه حتى إلى أن العقيد قد انتقل من جلسته أمامه عائدًا إلى مكانه خلف مكتبه.. كان يتصبب عرقًا رغم التكييف الذي ضايقته برودته لحظة أن دخل المكتب، الآن هو لا يشعر إلا بحرارة خانقة تنبعث من داخله.. ما هذه الورطة الكارثية التي يزجه إليها ذلك الضابط.. لا.. لا.. لن يستطيع أن يفعل ما يطلبه منه.. ليست لديه القدرة.. كيف؟ أيكون عميلًا مزدوجًا يندس بين الإرهابيين ليقنعهم أنه واحد منهم بينما ينقل أخبارهم للشرطة.. حتمًا سيفشل.. حتمًا سينكشف أمره..



سيكون مصيره حينها كمصير حودة المجري؛ الذبح والتقطيع والصَّلْب..

- قلت إيه يا رشدي؟

عادها العميد مرة أخرى بصوت أكثر حدة:

- قلت إيه يا رشدي؟

هنا أفاق رشدي من شروده وهبَّ من جلسته واقفًا وصاح: لا.. لا يا باشا، أنا ما أعرفش أعمل كده ما أقدرش.. مش حانفع.. لأ شوف حد غيري.. أنا مش حانفع، أنا مُسجل يا باشا، أنا حافظ الفاتحة بالعافية، حاتكشف مش حاعرف أجاريهم.. لا يا باشا، الله يخليك إبعدني أنا عن الحكاية دي.

- إهدا يا بني آدم.. مش عايزك تجاريهم ولا عايزك تحفظ الفاتحة، لا احنا ولا هُمَّا عايزينك "شيخ" هُمَّا ما حايصدَّقوا واحد زيك مُدرِّب على السلاح وقلبه ميت وتعرف تجار السلاح والمهربين وحايحاولوا يستخدموك على عبلك كده.. كِبيرُه حايحاولوا يخلوك

تصلي وتربي دقنك ويحاولوا يقنعوك بإن الحاكم فاسد وظالم وإن الإسلام بيتحارب وإن الكفره في الداخل والخارج بيتآمروا على الإسلام وإن الجهاد فريضة على كل مسلم وإن الخلافة الإسلامية هي الطريقة الوحيدة الصحيحة للحكم. وشوية كلام كده.. إنت حاتقتنع بيه لوحدك، وهُمَّا لهم طريقتهم في الإقناع وانت معلوماتك الدينية والثقافية صفر والحمد لله، فإقناعك حيبقى سهل جدًا، ما تخافش الموضوع أسهل من كل اللي انت عامله ده، وبعدين احنا وراك وحانحميك حانسهلك كل حاجة وكلها شهر ولا شهرين وتطلع يا سيدي.

يالَّا خلاص إهدا كده.. وبكرة الصبح حايقعد معاك النقيب سراج حايجهزك ويقولك على التفاصيل.

رنَّ العقيد الجرس فدخل فردان أنهضا رشدي من جلسته واقتاداه إلى الخارج بطريقة يعتليها قليلٌ من العنف.



أدخل رشدي إلى حجرة ضيقة ببدروم المبنى العتيق ليس بها من أثاث سوى جزءٍ مُهترئ من بقايا سجادة قديمة ومنضدة بلاستيكية مركونة في زاوية الحجرة وعليها زجاجة بها مياه وكيسٌ منبوشٌ من أثر التفتيش به بعض المشويات والسلطات والخبز، أيقن رشدي من خلال اسم المطعم المدوَّن على لفافات الطعام أن مصطفى هو الذي أحضر هذا الطعام وسلمه بالمكتب الواقع على مدخل المبنى فقاموا بتوصيله بعد تفتيشه، وربما بعد تذوق أغلب محتوياته.

جلس رشدي في ركن الحجرة كالذئب الأسير لا يقوى على شيء ولا يعرف إلى أين ستقذف به الأقدار؟

وبعد أن أعياه التفكير وتقليب الأمور على كل وجوهها فلم تستقر على أي وجهٍ، غلبه النعاس.. لم يدرِ أبرهة غفا أم دهرًا إذ صحا مفزوعًا على صوت صرخة هائلة مدوية في سكون الليل وهدوء القبور الذي يحيط بذلك المكان المُلقَى بداخله، فركَ عينيه وجلس القرفصاء في الركن الرطب بذلك الجحر المسمَّى



تجاوزًا حجرة فتناهى إلى سمعه أصوات أنَّات وآهات وصرخات يتخللها صيحات:

"اللّه أكبر يا كفرة.. يا عدو اللّه.. أحدٌ أحد"

وكلما زادت الصيحات زادت الأنات وكلما زادت الآهات علت الصيحات.. أدرك رشدي أنه بالجوار المباشر لما يُسمَّى "حجرة التعذيب" التي طالما سمع عنها من المشايخ عند حديثهم عن أمن الدولة.. وهي ذاتها التي يطلق عليها ضباط مباحث أمن الدولة "حجرة التحقيق"..

انطلق من بعيد صوتُ أذان الفجر.. فسكتت الآهات والأنات والصرخات، وبدأت الحركة تدب خارج المكان، وبعد دقائق سمع صوتًا يُقيم الصلاة وآياتٍ من القرآن تُتلَى.. وبعد انتهاء الصلاة.. بدأ شبح الهدوء القاتل يخنق المكان فيكتم فيه كل نَفَس.

****



رن جرس الباب فأسرعت شيماء وفتحت الباب دون أن تستعلم عن الطارق فليس من زائرٍ لها إلا هي.

دخلت نجوى منفرجة الأسارير كعادتها متهللة أكثر كثيرًا من عادتها. فاستقبلتها شيماء بكثير من أمارات الفضول وبادرتها بمجرد دلوفها الشقة.

- خير يا بِتّ.. عملتيلي شبورة كلام في التليفون وعلّقتيني وقفلتي!.. إيه اللي حصل طمنيني؟

- طب بس أدخل وآخذ نفسي.. ما تستعجليش على رزقك.

دخلت نجوى وفتحت باب الشرفة وجلست، وإذ همَّت شيماء بالجلوس بجوارها بادرتها نجوى بصوت فرح مرتفع به لهجة آمرة.

- روحي هاتيلي حاجة ساقعة.. ولّا أقولك إعمليلي فنجان قهوة أظبَّط دماغي وأوزن الكلام.

- حاضر يا ستي لما أشوف آخرتها معاكي. قالتها شيماء وهي متجهة إلى المطبخ لتلبي طلباتها.

جلست نجوى ترتشف فنجان القهوة وأشعلت سيجارةً من تلك العلب المنتشرة في أرجاء المكان رغم أنها غير مدخنة في العادة.. وظلت شيماء قابعة على المقعد المواجه لها تتفرس في قسمات وجهها فانتقلت إليها عدوى التفاؤل والاستبشار فارتسمت على وجهها ابتسامة لا تدري لها معنى ولا سببًا..

بدأت نجوى حديثها قائلة:

- فاكرة يا شيماء أنا كام مرة أقولك إن ربنا شايلّك الخير قُدام وحايكرمك وينصرك لأنه عالم بيكي وبحالك، وبالخير اللي جُواكي وعارف إنك طيبة وعمرك ما ضرّيتي حَدْ، إنتي ضريتي نفسك من غير قصد، ورغم كل اللي عملتيه واللي كنتي فيه، كنت باقولك ربنا رب قلوب مش رب طقوس وهو أدرى الناس باللي في قلبك.



- ونِعم بالله، إخلصي يا شيخة نجوى وقوليلي بقى إيه الحكاية؟

- الحكاية يا ستي إن أنا رُحت للأستاذ كمال عشان أتفق معاه على الشغل اللي كلمني فيه، وقعدت معاه في المكتب واتكلمنا في التفاصيل، وجت سيرة قضية رشدي والمرافعة والحكم.. وكده يعني، فهو سألني إنتي مُهتمة بالقضية دي ليه؟ وإيه اللي جابك المحكمة يوم المحاكمة؟

فأنا قولتله إني أعرف رشدي عن طريق واحدة صحبتي اسمها شيماء، وقولتله أنك قريبة مرات رشدي وعشان كده وقف معاكي في المشكلة اللي حصلتلك.

فلقيته لسه فاكرك.. وسألني هي ليه مارجعتش الكلية؟ فأنا قولتله لأنها اتفصلت من الكلية بسبب القضية.. فلقيته استغرب جدًا.. ورفع سماعة التليفون وطلب من السكرتارية ملف شيماء صابر حسن.. وطلّع منه ورقة وقالي إنك عملتيله توكيل أثناء القضية بعد ما

استلمتي جواب الفصل من الكلية: وهو رفع لك قضية في مجلس الدولة لإلغاء قرار الفصل.

ردت شيماء

- أيوه أنا فاكرة بس رشدي قالّي إن القضية اترفضت.

- شُفتي بقى رشدي بتاعك ده أندل خلق الله، لا يا ستي القضية اتقبلت والمحكمة حكمت بإلغاء قرار الفصل وعودتك للكلية.. وهو بلغ رشدي فالندل قال له، لأ هي صرفت نظر عن موضوع الكلية ده وسافرت خارج مصر.

لم تصدق شيماء نفسها من هول المفاجأة.. نهضت ثم جلست ثم أمسكت بأكتاف نجوى ثم صرخت.

- بصحيح يا نجوى الكلام ده؟

- ده يا حبيبتي صورة الحكم معايا أهو، وتقدري تنفذيه وقت ما انتي عاوزة.

أمسكت شيماء بورقة الحكم وراحت تمر ببصرها على سطورها تحاول أن تسابق نظرها لتقف على نهايتها يقودها عودة الأمل وانقشاع الظلمة.. شعرت بشعور من دفنت في قبر دون أن تلفظ أنفاسها الأخيرة وظلت وهي حبيسة مدفنها متعلقةً بأملٍ بعيدٍ، هو أن يفتح قبرها شخص ما ليردها إلى الحياة.. وبعد أن طال دفنها وأطبق عليها قبرها وادلهمت ظلماته وانقطع رجاؤها.. ها هو القبر ينفتح لترى أضواء الأمل مشرقًا بعد طول إظلام وطول عناء وطول رجاء.

هلَلت.. كبَرت.. صرخت.. ضحكت.. بكت.. أحُلم هذا أم حقيقة؟.. هل ستعود.. بعد يأس.. لحياتها، لدراستها، لمستقبلها، هل ستعود بعد طول اغتراب إلى ذاتها؟

احتضنت نجوى وأمطرتها قُبَلًا ودموعًا.

قالت نجوى: لا ماتاخدِنيش في دُوكة يا حبيبتي. كسبت أنا إيه من شوية البوس دول؟ قومي البسي هدومك كده واتهيأي واعزميني على العشا بره، يلا



خلينا نحتفل رغم إني اتأخرت على ماما لكن لما تعرف حاتسامحني.

ارتدت شيماء ثوبًا ورديًا فضفاضًا وأطلقت العنان لسبائك شعرها تنثر لون الذهب على جيدها وعلى وجهها بحُريَّةٍ جامحة دون قيود.. نظرت إلى المرآة فرأت نفسها التي لم ترها منذ أعوام.. عادت نضارة بشرتها إلى المرآة دون مساحيق، وتدفقت دماؤها تصبغ شفتيها والوجنتين بحمرةٍ لا صناعة فيها ولا تلوين هي الآن نفس الفتاة التي غادرتها منذ سنتين، لقد عادت من غيابة الغربة والإهمال.

انتقيت الفتاتان مجلسًا مستديرًا يُشرف على البحر مباشرة تلفه أضواء الإسكندرية الصيفية المبهجة في مطعم "سي جل" الشهير والذي كانت تتوق نجوى لزيارته.

اختارت شيماء الطعام بنفسها احتفاءً بأسعد أيامها وتكريمًا لصديقتها المخلصة نجوى.

كانت تريد أن تضع كل أنواع الأسماك المرصوصة بعناية على سطح من مجروش الثلج في عرض أنيق..

- إعملنا شوية جندوفلي بلدي، وبلح بحر، وكام واحدة جمبري جامبو مشوي بالزبدة وكمان صينية مياس بالبطاطس وبطارخ مقلية ومكرونة سي فود، وبربون مقلي.. و...

قاطعتها نجوى: بس إيه كل ده.. إحنا اتنين بس حاناكل كل ده؟

- أنا حاسة إني جعانة ونفسي مفتوحة.. أول مرة أحس إن نفسي مفتوحة كده.

- طب كده كفاية قوي.. واهو اللي يفيض يبقى من نصيب الحاجّة..

- طالما للحاجّة بقى يبقى زود لنا الجمبري والبربون وهات واحد رز سي فود، أنا عارفة إنها بتحبه.

جلست شيماء ونجوى تتبادلان أطراف الحديث أثناء إعداد المائدة ووضع السلطات تمهيدًا لتقديم الأسماك المختارة بعد طهيها.. قالت شيماء:

- تفتكري الناس في الكلية حايقبلوني تاني؟ والله أنا مش عارفة حاوريهم وِشي إزاي بعد الفضيحة بتاعة القضية الزفت بتاعتي، الله لا يرجعها أيام.

- إنتي مش واخدة بالك إن كل اللي يعرفوكي خلاص اتخرّجوا، إنتي حاترجعي على سنة تالتة، واللي حيبقوا زمايلك شوية عيال، أيام موضوعك كانوا لسه في ثانوية عامة.

- طب حاقولهم إيه كنت فين؟

- يا سيتى قوليلهم أي حاجة، كُنت مسافرة.. كُنت عيانة.. أي حاجة.. محدش بيسأل يا شيماء ما تكبّريش الحكاية.

- طب والأساتذة.



- اللي منهم اتنقل، واللي منهم نسى، واللي منهم مش حيبقى مهتم.. يا حبيبتي إنتي مكبَّراها ليه؟ مِش الحمد لله أنك حاترجعي لدراستك تاني.. حاتعقَّدي نفسك ليه من أولّها! يا ستي مُمكن تنقلي أي جامعة تانية، طنطا ولا بنها ولا المنوفية. وممكن تدخلي جامعة خاصة ما إنتي خلاص بقيتي من أصحاب الأموال..

- أموال إيه؟

- المليون جنيه يا بت، بقوا حلالك خلاص، مش قولتلك رشدي اعتقلوه وحايخلّل جوه ويمكن ماتشفهوش تاني، وهو كان قالك لو اتحبست تبقى الفلوس من نصيبك.

- آه صحيح إيه بقى موضوع الاعتقال ده! هما اعتقلوه ليه وحايطلع إمتى؟

- كمال قالّي إنهم اعتقلوه لخطورته على الأمن العام وإن اللي زي رشدي وعنده سجل جنائي كبير وسوابق



كتيرة بيقعَّدوه في المعتقل فترة طويلة، يعني أقلها سنتين وساعات بتبقى خمسة وستة.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

- إنتي لسه صعبان عليكي! يا ستي هو واخد على كده. إنتي ناسية هو اسمه إيه "اللومنجي" يعني خريج معتقلات، دي حياته وهو اختارها وكل إنسان أسير اختياراته.

إيه رأيك أنا حاخدلك معاد بكرة مع كمال ونروح له سوا عشان يمشيلك في إجراءات تنفيذ الحكم.

- إيه الحكاية كمال كده من غير أستاذ؟ العملية بقت أحمدي والظاهر أخدنا على بعض.. إيه السنارة غمزت ولا لسه؟

- يا شيخة بسرعة كده ده أنا مابقاليش غير يومين شغَّالة في المكتب.



بس على فكرة أنا ملاحظة إنه كل شويه يبعتلي يسألني على أي حاجة هايفة ويقولي اقعدي ويقعد يدردش معايا بالنص ساعة، والنهارده قعدنا لوحدنا حوالي ساعة.. بس نصها كان عليكي وعلى القضية.

- ماشي يا عم ربنا يسهلّه.. إنتي يا نجوى إنسانة نقية ونضيفة وبنت حلال وربنا حايجعل نصيبك في الخير أنا متأكدة.

- قولي يارب.

- يارب..

****



لم يشعر رشدي بطول الطريق وهو بداخل سيارة الشرطة المغلقة عليه وعلى حارسيه منذ أن استقلها صباحًا من أمام مقر مباحث أمن الدولة بالإسكندرية مرورًا بطريق إسكندرية القاهرة حتى وصلت السيارة إلى البوابة الرئيسية لسجن وادي النطرون الواقع في منتصف المسافة بين الإسكندرية والقاهرة على الطريق الصحراوي مباشرةً.. لم يشعر بالوقت الذي استغرقته الرحلة منذ أن تحرك حتى وصل، فقد كان غارقًا في بحرٍ متلاطمٍ من الأفكار، فمنذ أن فجَّر العقيد/ أحمد قنبلته التي دوَّى انفجارها في أعماقه وهو يعيش لحظاتٍ من الهموم، ثقيلة لا تمر، وهواجس قابعة لا تفر.

مرت السيارة من خلال البوابة الرئيسية بعدها أطلَّ أحد الحراس عليه وتفقد حارسيه ثم سارت مسافة طويلة بدأ رشدي خلالها يتأهَّب لممارسة دور جديد عليه، غير مقتنع به، متوجس منه، مغلوبًا على أمره في قبوله.. لأول مرة يعتليه شعور ألا يكون له من أمره خيارٌ.. بئس ذلك الشعور.. شعور المقهور المغلوب



على أمره. أدرك أن الله غالب على أمره وأن الكأس دوَّارٌ، وعليه أن يتجرَّع مما أذاقه للمغلوبين على أمرهم تارات تلو تارات.

أخذ رشدي يسترجع تعليمات وإرشادات النقيب سراج، الذي نصحه أن يتصرف بطبيعته وأن يتجنب المعتقلين السياسيين - هكذا كان يطلق عليهم – وأن يُبسط سُلطانَه ونفوذه بدايةً على المعتقلين الجنائيين وأن مأمور الليمان سوف يضعه في عنبر جنائي قريب من عنابر السياسيين ونصحه ألا يبادر بالاختلاط بهم ولكن لا يصُد أيَّ محاولة منهم للتقرب إليه لأن الشيخ سعيد الزيني سيزور بعضهم ليوصيهم عليه.

أخيرًا وصل إلى بوابة السجن الداخلية.. وتم تسليمه إلى ضابط السجن، وبعد مراجعة بعض الأوراق استقر رشدي في حجرة واسعة مجاورة لبوابة الليمان رقم (1) فقد كان الليمان يحتوي على عدة مبانٍ منفصلة، كل مبنى مكوَّن من عدة أدوار أغلبها أسفل مستوى الأرض.

الحجرة التي استقر فيها رشدي تسمى "عنبر الإيراد" وهو المكان الذي يتجمَّع فيه المسجونون الجُدُد لاتخاذ إجراءات تسكينهم بعد توصيفهم من حيث النشاط الإجرامي أو الإرهابي الذي يمارسونه.

بدأت إجراءات الاستقبال باستلام كل ما بحوزة رشدي سواء الفرش أو الأغطية أو الملابس أو النقود أو الأطعمة لفرزه لتجنب "الممنوعات".. وهي كل الأدوات الحادة والمعلبات المغلقة أما النقود فتوضع في الأمانات لحساب المعتقل.

تم تفتيش رشدي تفتيشًا ذاتيًا بمعرفة أحد جنود السجن في حجرة التفتيش الذاتي الذي طال كل جزء في جسده خارجيًا كان أم داخليًا.. وبعد أن خلع عنه جميع ملابسه وأُدخل إلى الحمَّام فاغتسل بماء ساخن وبعدها تم تسليمه رداء السجن الأزرق وبعد أن ارتداه جلس على كرسي خشبي ليبدأ حلاق السجن في إزالة شعر رأسه بالماكينة.



تم توزيع رشدي على العنبر "ج" وهو يخص المسجلين إجراميًا فئة "أ" جرائم نفس.

وهو عنبر مُميَّزٌ لأنه يحتوي على أسرة خلافًا لأغلب العنابر التي يفترش فيها النزلاء الأرض.

العنبر يتسع لاثني وعشرين معتقلًا مقسمين إلى صفين من الأسرة المتقابلة يعلو كل سرير آخر. إلا أن إدارة الليمان قد حشرت فيه ثلاثين معتقلًا، كان رشدي مكملًا للعدد واحد وثلاثين، الأعداد الزائدة كان كل منهم يفترش مرتبة صغيرة في الفراغات الموجودة بين صفوف الأسرة. وكان النظام الذي اتّبعه المعتقلون أن أقدمهم في الاعتقال هم من يستخدمون الأسرة حتى إذا أفرج عن أحدهم انتقل إلى سريره أقدم مستخدمي الطُراحات الأرضية.. وكان نفس النظام يُتبع في استخدام الحمَّام الملحق بالعنبر والذي كان يتسع لستة مستخدمين فقط.

- بمجرد أن دخل رشدي العنبر حتى استقبله بحرارة مَن كانوا على معرفة مسبقة به سواء عن طريق زمالة



قديمة في أحد السجون أو أحد المعتقلات أو من الذين كانوا يتخذون من الإسكندرية وضواحيها مركزًا لمباشرة نشاطهم الإجرامي.. فقد كان رشدي واسع الشهرة والسطوة والنفوذ بين أقرانه من محترفي البلطجة..

قام أحد هؤلاء ويلقبونه "بالقرد" بالتنازل عن سريره إلى رشدي طائعًا مختارًا وهبط يتخذ من الأرض فراشًا لجسده النحيل.. كان أشبه بالقرود سمتًا ووصفًا.. ورغم نحوله كان أشدهم فتكًا وأحدهم طباعًا وفوق ذلك فهو أقواهم حُجة وبيانًا، فقد أمضى سنوات حبسه الثلاث الأخيرة في قراءة كتب القانون، إذ كان يدَّعى أن سبب حبسه هو ضعف وتقصير محاميه، وكانت هوايته في السجن هي الاطلاع على قضايا زملائه وكتابة مذكرات الدفاع التي يراها مناسبة لكل قضية. لدرجة أنَّ زملاءه كانوا يطلقون عليه "الأفوكاتو القرد".

وافق رشدي على هذه المنحة ممتنًا قائلًا:



- والله تمرَّت فيك العِشرة يا "على يا قرد".

- إنت تؤمر يا معلمي. إنت خيرك علينا وعلى الكل.

ثم وقف ليعلن للجميع بصوته الأجش المشروخ.

- المعلم رشدي اللومنجي برنس إسكندرية وكبيرها وكبيرنا كُلنا، وخيره على الكل، الراجل اللي وقف جنب عيالي وانا في السجن وفتح لي بيتي من غير ما يعرفني.. لمّا ولاد الحلال راحولوا وعرف إني اتحبست ظلم ما اتأخرش وفضل بيتي مفتوح من خيره لغاية ما طلعت.. تلات سنين بحالهم.. ولما طلعت وروحتله.. أول ما شافني قالّي إنت مين؟

تصدقوا؟ الراجل وقف معايا كل ده من غير مايعرفني.. قُلت له أنا يا معلم رشدي "علي القرد" اللي حافضل أسدد دينك العمر كله.

من يومها وأنا راجل من رجالته يشاورلي بصباع رجله الصغير أفديه بعمري.

أنهى علي القرد خطابه بعد أن ملأ المحيطين به رذاذًا منطلقًا من فمه كرشّاش لا يتوقف..

ردَّ رشدي ضاحكًا:

- كلامك كله وصل يا قرد.. إقفل الرشاش بقى الناس استحمت.

ضحك الجميع وبدأ كل منهم يصافح رشدي مرحبين به في ليلته الأولى بالمعتقل.

بدأ رشدي يعتاد على الرائحة التي أزكمت أنفه بمجرد دخوله إلى العنبر.. مزيج من روائح عفنة وعطنة وكريهة..

فتح رشدي الحقيبة الجلدية التي أعدَّها له مصطفى قُبيل ترحيله وأخرج منها علبتين من التبغ الفاخر وسلمها لعلي القرد ليوزع منها على الجميع كتحيةٍ أولى منه.



أشعل الجميع سجائره، واستقر رشدي جالسًا على سريره في ذلك العنبر القذر مستسلمًا لما ستسفر عنه الأحداث في أيامه المقبلة.

****

تهيأت شيماء في رداءٍ بسيطٍ مكوَّنٍ من بنطال سماوي من النوع المسمى "جينز" فوقه قميص أبيض شمرت جزءًا من أكمامه، وقيدت شعرها المرسل لتضمه في خصلة واحدة تتدلى إلى قبيل منتصف ظهرها وارتدت حذاءً رياضيًا أبيض اللون.. وانتظرت مرور نجوى عليها لتصطحبها إلى مكتب الأستاذ/ كمال سعيد المحامي تنفيذًا للموعد الذي حددته نجوى معه سلفًا للاستفسار عن إجراءات تنفيذ الحكم.

عند السادسة والنصف مساءً رنَّ هاتف شيماء معلنًا وصول نجوى أسفل المسكن فبرحته شيماء لتقفز هابطة على درج السلم في نشاط وحيوية إلى حيث تنتظر نجوى فالتقطتها وذهبتا سويًا إلى حيث مكتب الأستاذ بمحطة الرمل..



قابلها الأستاذ/ بترحابٍ وبشاشة ثم نظر إلى شيماء بابتسامته العريضة التي تكشف عن أسنانه اللامعة رغم شراهة تدخينه واحتسائه القهوة فنجان تلو فنجان، قائلًا:

- أهلًا يا مودموازيل شيماء.. بسم الله ما شاء الله إنتي بقيتي حاجة تانية عن آخر مرة شُفتك فيها.

بدا الإحراج والخجل يطلان من عيني شيماء في شيءٍ من الخزي والانكسار.

سريعًا ما لاحقها الأستاذ وكأنه شعر بما سبَّبه لها تذكيرها بالماضي من حرج.. بأن قال ضاحكًا:

- قصدي إنك احلويتي وصغرتي عن الأول وكلك شباب وحيوية ونضارة وعنيكي بتشع ذكاء خسارة إنك ماتكملّيش في الجامعة، إنتي حاتبقي أحلى دكتورة في مصر.

هنا رمقته نجوى بنظرة خاطفة لم ترد لها أن تستقر في عينيه حتى لا تنكشف غيرتها الواضحة من كلمات



الغزل والثناء التي وجهها لشيماء.

أدركت شيماء بحسها الأنثوي اليقظ ما اختلج نفس نجوى فقالت:

- شكرًا يا أستاذ.. أنا والله مش عارفة أشكرك إزاي على الحكم ده اللي ماكانش على البال ولا على الخاطر.. واضح جدًا إنك محامي شاطر وبتكسب كل قضاياك.. دي نجوى مش بتبطل كلام عنك وبتشكر فيك وفي أخلاقك ونجاحك وذوقك.

- لا أبدًا أنا تحت أمركم، ومن واجبي أساعدك يا آنسة شيماء عشان إنتي صاحبة حق.. بكرة الصبح حاتقابلى الأستاذ سامح المحامي بالشهر العقاري عشان تعملي توكيل بالتنفيذ، وإن شاء الله المكتب حيتولّى جميع إجراءات التنفيذ، وقبل بداية الدارسة حتكوني مُقيدة بالكلية.. وربنا يوفقك وتعوضي اللي فات..

وانتهت المقابلة بعد أن رفض كمال مجرد الحديث عن أي أتعاب مقابل الإجراءات مقررًا أنها هديته لها



بمناسبة عودتها إلى الدراسة.

انصرفت شيماء وحدها وتركت نجوى لاستئناف عملها بالمكتب على وعد بالاتصال بها عقب انتهاء العمل.

****

أنهى مكتب الأستاذ كمال الإجراءات سريعًا وحصل أخيرًا على قرار بإعادة قيد شيماء ضمن طلاب كلية الصيدلة جامعة الإسكندرية بالفصل الدراسي الثالث ابتداءً من العام الدراسي الحالي والذي يبدأ في أكتوبر سنة 2008.

ذهبت نجوى إلى شيماء تُبشرها ومعها قرار إعادة القيد إلا أنها لم تشعر بأن شيماء سعيدة بالدرجة التي توقعتها بل ران عليها شيء من الهم الدفين.

فسألتها:

- مالك يا شيماء شيفاكي مش فرحانة إنك راجعه الكلية.



- لا يا حبيبتي أنا سعيدة جدًا.. بس فيه حاجات كتيرة مخوفاني من بكرة.. مش عارفة حاسة بقلق وخوف.

- لا بس عشان إنتي بقالك كتير بعيدة عن جو الدراسة، لكن هو أول يوم يعدي وحاترجعي تندمجي تاني وحاتنسي كل اللي فات وحاتنجحي في دراستك وحاتستردي حياتك تاني.. أنا مش قُلتلك قبل كده إن ربنا راضي عنك.

- تفتكري ربنا ممكن يرضى عني بعد كل اللي عملته.

- ده ربنا رحيم وغفور وأحن منه مافيش، استغفري الله كده ويالّا طلّعي كُتبك القديمة وراجعي اللي درستيه قبل كده عشان تستعدي للدراسة زمانك نسيتي.

- أنا خايفة من ربنا قوي وحاسة إنه بيديني فرصة أخيرة عشان أتوب وأدخل في رحمته.

- ربنا بيقول "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله" صدق الله العظيم

إستهدي بالله واستغفري واللي جاي حايبقى أحسن والله يا شيماء أنا مش خايفة عليكي من ربنا، ده ربنا أرحم منه مافيش، أنا خايفة عليكي من نفسك، وشطحاتك ربنا يستر يالّا حاسيبك أنا بقى عشان ألحق معاد المكتب وحاحاول أخلص بدري بكرة وأفوت عليكي عشان تنزلي تشتري شوية لبس بناتي كده لزوم الكلية. الدراسة فاضل عليها شهر وبالمرة تشتري شوية أدوات كتابية وكشاكيل للمحاضرات.

يالا ارجعي عيشي بقى في جو الكلية تاني.. يا بختك يا ستي يا ريتني أرجع طالبة من تاني.

ودّعت نجوى شيماء وانصرفت إلى عملها.

****

ذهبت شيماء بصحبة نجوى تتجولان بين محلات الملابس بمحطة الرمل، ولما لم يلفت نظر شيماء أي من المعروضات التي تكتظ بها محلات الملابس بشارع سعد زغلول أو شارع الفلكي الشهيرين استقلتا سيارة أجرة إلى كارفور لتفقد محلات الملابس بسيتي سنتر..



توقفت شيماء كثيرًا أمام محل المتحجبة الذي يعرض أحدث أزياء المتحجبات.. نظرت نجوى إليها مندهشة..

- إيه يا بنتي إنتي ناوية تتحجبي ولّا إيه؟

- والله بافكر يا نجوى كفاية بقى يمكن الواحدة تقدر تكفَّر عن ذنوبها.

ضحكت نجوى قائلة:

- والله إنتي الحجاب عليكي حايبقى تحفة، الحلو حلو ولو لسه صاحي من النوم والوحش وحش ولو ذوَّقوه كل يوم.

- طب تعالي ندخل نجرب طقم كده أشوف شكلي حايبقى إيه أحسن أنا كنت حاسة إني وحشة جدًا لما حطيت الحجاب يوم جلسة رشدي.

لم تنتظر شيماء ردًا من نجوى ودخلت إلى المحل مسرعةً وأخذت تقلّب في الأزياء ثم اختارت أحد



الأطقم المعروضة المكون من حلة حريرية فضفاضة وطرحة تتناسق ألوانها مع لون الحلة..

لم تشترِ شيماء أي ملابس أخرى في هذا اليوم رغم تحفيز نجوى ومحاولات الترغيب التي بذلتها أمام بعض الملابس التي كانت تثير إعجاب شيماء قبل ذلك.

****

انقطعت نجوى عن زيارة شيماء عدة أيام لانشغالها في عملِها صباحًا بالإضافة إلى عملها المسائي بمكتب الأستاذ كمال إلا أنها لم تنقطع عن السؤالِ عنها تليفونيًا.

وفي إحدى المكالمات أبلغَتْها برغبة الأستاذ/ كمال في إقامة دعوى تعويض على الجامعة لقيامها بفصلها دون وجه حق مما أضاع عليها عامين دراسيين بالإضافة إلى الأضرار الأدبية والمعنوية.



لم تُرحِّب شيماء بالفكرة، إلا أن نجوى أخبرتْهَا أنَّ الأستاذ كمال يرى أن الفائدة الحقيقية ليست في إقامة الدعوى بل في التنازل عنها بعد ذلك.. لم تفهم شيماء المغزى من ذلك ولم تستطع نجوى أن تشرح لها وجهة نظر الأستاذ كمال تحديدًا.. ولكنها وعدتها أن تدبر لها لقاءً مَعَهُ ليشرح لها وجهة نظره بنفسه.

****

على غير العادة رن هاتف شيماء بعد ظهيرة يوم الجمعة لتجد نجوى بمرحها المعهود تسألها:

- إنتي فين وبتعملي إيه؟.. كلمتك كذا مرة ماردتيش!

- في البيت لسه داخلة لاقيتك بتتصلي، أصل كنت سايبة التليفون في البيت ونزلت أصلي الجمعة في مسجد جنب البيت.

- الله أكبر.. تقبل الله.. داحنا استشيخنا خالص أهه.

– تقبل الله مني ومنك.

- طب وراكي حاجة؟

- لأ، إنتي حاتفوتي عليا؟

- لأ، إنتي اللي حاتفوتي عليا.

- أفوت عليكي فين؟

- في نادي اليخت.

- بتعملي إيه في نادي اليخت؟

- باعمل زي الناس الكويسين ولَّا أنا ما أشبهش يعني؟

- لا يا حبيبتي إنتي أحسن واحدة في الدنيا.

- طب تعالي بسرعة.. ده خطوتين من بيتك.

- بس فهمينى آجي ليه؟ ماتيجي انتي.

- يا ستي تعالي نقعد في الجو الحلو ده شويه ونتغدا مع بعض، أنا محضرة لك مفاجأة.. ما تتأخريش.



- أوكي نص ساعة كده وجاية..

استقبلت نجوى شيماء من البوابة الخارجية للنادي، وهالها أن رأتها ترتدي زِيَّ المحجبات.. كادت لا تعرفها.

- إيه ده إنتي خلاص اتحجبتي رسمي؟

- أهو باجرَّب.

- بس واللّه زي العسل، رغم إني ماعرفتكيش في الأول؟

- أخذتها نجوى من يدها وتجاوزت بها مبنى النادي والحديقة الأمامية إلى حيث يجلس على منضدة تعلوها مظلة بيضاء الأستاذ/ كمال المحامي وتجاوره سيدة تجاوزت الستين بقليل وطفل لم يتجاوز العاشرة.

- مش قولتلك عاملالك مفاجأة..

نهض كمال مصافحًا شيماء وقام بتعريفها بالسيدة التي تجاوره والطفل:

- أمي الحاجة هاجر.. ابني مازن.

صافحتهما شيماء بشيء من الارتباك؛ فلم تكن تتوقع أن يكون كمال هو المفاجأة التي تنتظرها من نجوى.. ولم تكن تتوقع أن تكون الجلسة عائلية إلى هذا الحد.

- أهلًا وسهلًا يا فندم فرصة سعيدة.

قالتها شيماء مخاطبة الحاجّة هاجر التي ردت عليها بابتسامة:

- أهلًا بيكي يا بنتي أنا أسعد بسم الله ما شاء الله ماقولتيش يا نجوى إن صاحبتك زي القمر بالشكل ده..

- كله من ذوقك يا طنط.. إزيك يا حبيبي.. إنت في سنة كام؟

نظر إليها مازن وقال بلا اكتراث:

- جنيور فايف ثم نظر إلى نجوى قائلًا:

- بليس ميس نجوى ممكن نتمشى شويه على المارينا عايز أتصور جنب اليخت الأبيض ده.

ردَّ كمال بحنو واضح:

- إستنى يا حبيبى لما الشمس تنكِسر شويه.. إنت حتى ماجبتش الشابوه بتاعك.

ردت نجوى مسرعة:

- آه حتى تبقى زاوية الشمس في اتجاه اليخت اللي عايز تتصور قدامه عشان الصورة تطلع حلوة.

اقتنع مازن أو لم يقتنع ولكنه صمت وانهمك يعبث في جهاز التابلت أمامه.

قالت نجوى مخاطبة شيماء:

- بصي بقى يا شيماء، أنا عارفة إن وقت الأستاذ كمال في المكتب بيبقى صعب جدًا والمواعيد عندنا كلها

مشغولة، فالأستاذ كمال اقترح إن احنا نتقابل هنا عشان نتكلم في موضوع قضية التعويض اللي عايز يرفعها على الجامعة ويشرح لك وجهة نظره.

ردت شيماء:

- بس أنا كده حازعج كمال بيه وأسرته في يوم أجازته.

رد كمال:

- لا إزعاج ولا حاجة يا ستي، المحامي ماينفعش يأخذ أجازة أكيد طول ما هو ماشي ولا قاعد في أي مكان حايقابل ناس يستشيروه في مشاكلهم، وما ينفعش يقولهم أنا في أجازة، واتهيألي الأطباء برضو كده.. عمومًا كلنا اتعودنا على كده.. وعلى الأقل الكلام في القانون والقضايا والمحاكم والمشاكل في الجو الحلو ده والصحبة الحلوة العائلية دي أحسن كتير من المكتب وهمومه.



قال هذا ثم بدأ مباشرةً في شرح وجهة نظره التي مفادها "إن القائمين على الجامعة أحيانًا لا يرحبون ولا يستريحون إلى إعادة قيد الطلاب عن طريق حكم المحكمة إذ يرون في ذلك نوعًا من أنواع لَيّ الذراع مما ينعكس بلا شك على طريقة معاملة الطالب العائد بترصد أخطائه أو تضخيمها أحيانًا، ولذا فهو يرى أن يُقيم دعوى تعويض يختصم فيها الجامعة على أساس أنها أخطأت حين أصدرت قرار الفصل رغم القضاء بالبراءة من التهمة التي اتخذها قرار الفصل عمادًا له، وهو ما سيكبِّل الجامعة مبلغ التعويض المقضى به.. الأمر الذي سيرتب مسئولية على مصدري قرار الفصل التعسُّفي ويضعهم في حرج، ومن ثم فإن التنازل عن الدعوى بعد ذلك سيؤدي إلى الشعور بالامتنان الذي يزيل التوتر والعنت.. وهو المنشود."

أُعجبت شيماء بالفكرة وارتاحت لها وطلبت إليه أن يسارع بإقامة دعوى التعويض قبل بدء الدراسة حتى يتزامن التنازل عنها مع بداية الدراسة فلا تتكبل عناء التعنت في بدايه عودتها للكلية.

نقل كمال الحديث فورًا حول زِي شيماء قائلًا:

- مش تدَّخُل منِّي.. لكن إنتي اتحجبتي إمتى؟ إنتي آخر مرة كنتي عندي في المكتب كنتي لابسة لبس طبيعي.

- لسه النهارده أول يوم.

- حد أقنعك ولا انتي اقتنعتي بنفسك؟

- أنا بقالي شهر بافكر في الموضوع، وبدأت أقرا عن الحجاب وعرفت إنه فريضة.. وسمعت كتير من المشايخ في القنوات الدينية إن الحجاب فريضة على كل مسلمة، وإن ربنا مش بيقبل التوبة عن المعصية إلا بالطاعة والالتزام بالفروض وكثرة الاستغفار والإكثار من الحسنات.

لم يعقب كمال على حديثها بثمه تعقيب يوحي بالموافقة أو الرفض بل سألها:

- إنتي أصلًا من إسكندرية؟



- لا أنا من البحيرة.

- البحيرة دي من محافظات مصر الثرية بكل شيء.. منين من البحيرة؟

- من قرية تبع أبو حمص.

- كنتي في مدرسة إيه في ثانوي؟

- كنت في مدرسة اسمها هدى شعراوي الثانوية للبنات في مركز أبو حمص.

- مجموعك كان كام في الثانوية؟

- 94,5%

- حقيقي! ما شاء الله..

ثم ابتسم ابتسامة عريضة وأردف:

- تعرفي أنا كان مجموعي كام في الثانوية؟

- كنت أدبي؟

- لا أنا كنت علمي علوم زيك.. بس جبت 68% بالعافية ماكُنتش باحب أذاكر قوي.. ماكُنتش فاضي للمذاكرة.

- ليه كان وراك إيه تاني؟

- كنت باحب أقرا قراية حرة مش في المناهج، وكان عندي اهتمامات وأنشطة ثقافية وفنية.

وانتي كنتي بتقري إيه غير المنهج الدراسي؟

- أنا كنت طول السنة باذاكر.. وفى الصيف كنت بساعد والدتي في البيت وباودّي الغدا لخالي في الغيط، وقليل قوي كنت بقرا قصص، كنت باحب أجاثا كريستي.

- والدك عايش يا شيماء؟

- لا والدي مات وأنا في تانية إعدادي واللي ربّاني خالي.

- الله يرحمه، كان بيشتغل إيه؟

- كان عنده ورشة إصلاح مواتير الميه والسواقي، وماكنش عنده غيري أنا وأختي الصغيرة "مها".. ما كانش عنده ولد يشغل الورشة بعد ما مات، وعشان كده خالي هو اللي كان بيراعينا وهو عنده أرض زراعية ومستور يعني.

- ولما دخلتي الكلية وجيتي إسكندرية ماكانش ليكى أي نشاط في الجامعة أو اهتمامات سياسية أو أدبية أو رياضية أو فنية زي كتير من الطلاب.

- لأ بس كان فيه أستاذ بيدينا مادة البيولوجي وأنا في إعدادى صيدلة كنا بناخد محاضرات إعدادي صيدلة في كلية العلوم.. وكان الأستاذ ده وهو بيشرح لنا كان بيتكلم في السياسة والاقتصاد ومواضيع كتير، هو كان مثقف جدًا وكان فيه طلبة كتير مُعجبة بيه وبتحبه وأنا كنت معجبة جدًا بآرائه.. هو كان اشتراكي وبيتكلم عن العدالة الاجتماعية ودايمًا يقول إن العدل مابيجيش بالتراضي.. العدل لازم يتحقق بالقوة وإن



العمال والفلاحين والطبقة الكادحة لازم يثوروا وياخدوا حريتهم وحقهم من مصاصي الدماء، وكان يقصد أصحاب رؤوس الأموال اللي بيمصوا دم الغلابة ويغتنوا على حسابهم وياكلوا حقوقهم.

وبعدين انضميت لأسرة العدالة كان رئيسها طالب في كلية العلوم اسمه محمد ثروت زكي، وكان دايمًا يعمل لنا ندوات بيحاضر فيها أساتذة اقتصاد وعلوم سياسية وكانوا بيشرحوا نظرية ماركس وبيوزعوا كتب فيها النظريات الإشتراكية وأنا كنت مُعجبة جدًا بالاشتراكية وفضلت معاهم لغاية موضوع القضية اللي اتعملتلي ظلم دي وحضرتك جبتلي براءة.

- يعني إنتي مقتنعة إن المجتمعات عشان تتقدم لازم تمر بالصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية؟

- طبعًا أومال إزاي ممكن للعمال المغلوبين على أمرهم إنهم ياخدوا حقهم ويحكموا نفسهم بنفسهم.. طبعًا عن طريق الصراع، الحق لازم يتّاخد بالقوة.

- إنتي قريتي حاجة عن فلسفة كارل ماركس وفريد ريش انغلس في الدياليكتيكية أو المادية الجدلية.

- إيه؟ لأ ماسمعتش عنها الحقيقة.

- طب قريتي حاجة عن الفكر الإشتراكي الفرنسي أو بالأخص جان جاك روسو أو هنري سان سيمون أو شارل فورييه.

- لا برضو، أصل أنا ما اتعمقتش أوي في النظريات دي.

هي مرة واحدة كان مقرر أسرة العدالة اللي هو محمد ثروت عطاني كتاب إسمه حاجة كده ..الحزب الشيوعي تقريبًا مش فاكرة.

- بيان الحزب الشيوعي.

- أيوه تمام.. أنا قريته الحقيقة مافهمتش حاجة، أصل أنا كُنت علمي يعني مادرستش الفلسفة والحاجات دي فكنت فاهمة كده نُص نُص على قدي.



ضحك الأستاذ كمال ثم قال:

- أنا عايز أنصحك إنك زي ما إنتي حريصة على الحجاب لازم تكوني أحرص على تنفيذ أول أمر أنزله الله من السماء إلى رسوله ليبدأ به رسالة الإسلام.. "اقرأ"

انبرت نجوى لتقطع استرسال الحديث:

- إيه ده انتو اندمجتوا في السياسة خالص.. كفاية كده..

خلي بالك يا شيماء الأستاذ كمال لو فتح في العلوم السياسية والشرعية مش حايخلّص النهارده.. ومازن جاع جدًا وزمانهم حضّورا الأكل في المطعم يلا بينا عشان نتغدا.

صعد الجميع وتناولوا طعام الغداء معًا، ولاحظت شيماء أن نجوى قد اندمجت مع كمال وعائلته بطريقة ملفتة للنظر لدرجة أنها كانت مسئولة عن إطعام مازن



ابن الأستاذ كمال، وأن العلاقة بينهما قد توطدت بشكل مذهل.

احتسوا جميعهم الشاي بالنعناع ثم استأذنت شيماء في الانصراف وألقت تحيتها على الجميع وانصرفت عائدة إلى مسكنها وقد آلمها كثيرًا أنها ضيعّت صلاة العصر إذ انطلق أذان المغرب في طريقها إلى المسكن.

****



مرت الأيام ثقيلة رتيبة على رشدي داخل زنزانته العامرة بالأشقياء من كل فج وصوب، لا يفعل شيئًا في نهاره وليله المتشابهين إلا الإنصات بلا اهتمام لأحاديث فجة مكررة بين المعتقلين تدور حول موضوعات محددة لا تبرحها.. إما عن بطولات زائفة ضد الشرطة، أو عن السطوة الإجرامية التي يتمتع بها كل منهم وبها يتفاخر، وإما عن ظلم الشرطة وافتئاتها عليهم ومطاردتهم بتلفيق قضايا لم يقترفوها أو باعتقالات ظالمة لا يستحقونها.. والكل يلقي بتبعة أفعاله وخروجه عن القانون على ظلم الحكومة وعلى اللصوص الكبار الذين يحكمون البلد ومحاسبيهم، الكل كان يثرثر إلا رشدي كان في أغلب الأحيان يبقى ساكنًا ساكتًا.

لم تصله زيارة من أيٍّ من أقاربه إلا بعد أحد عشر يومًا كالنظام المتبع في الليمانات وكانت أول زيارة يتلقاها شقيقته زينب وهي الشقيقة الكبرى التي ترعى والدته المسنة وأربعة من أولادها ليس لأبيهم عمل شريف أو غير شريف فهو عاطل متبلد يعيش وأولاده على المِنَح



التي تأتيهم من رشدي.. وبصحبتها كل من شقيقه الأصغر فتحي الذي ما زال يكرر رسوبه في كلية الحقوق التي حُوِّلَ إليها بعد استنفاذه مرات الرسوب بكلية التجارة – وصديقه الوفي مصطفى..

اطمأن رشدي منهم على أحوال أسرته واطمأن من مصطفى على أحوال العمل والأمور المالية وسأله هامسًا عن شيماء فأكَّد له أنها بخير، وأنه يتصل بها تليفونيًا من آنٍ لآخر، ولم يشأ أن يخبره أنها أضحت لا تجيب على اتصالاته المتكرره.

بعد أن طمأنهم رشدي على أحواله ونقل إليهم إحساسه بأنه سيخرج قريبًا ولن يطول اعتقاله كالمرات السابقة. انتهت الزيارة وانصرف الجميع تاركين لرشدي بعض الحقائب والأكياس التي سمحت بها إدارة السجن، تحتوى على الكثير من الأطعمة والمشويات والفاكهة والكثير من الملابس الداخلية والأغطية الصوفية فالشتاء على الأبواب.

بعد الزيارة تسلل إلى نفسه شيء من الهدوء بعد أن اطمأن على أسرته، خاصةً وقد سمحت له إدارة السجن بالتريض خارج الزنزانة لمدة ساعتين يقضيها مع باقي المعتقلين إما في فناء السجن أو في ملعب كرة القدم أو أمام جهاز التليفزيون الذي كان قاصرًا على القنوات الأرضية دون الفضائية، كان ذلك يُسرّي عنه وعنهم.

بدأ الاختلاط بين المعتقلين الجنائيين والسياسيين يحدث رويدًا، كان جل هؤلاء السياسيين من التيارات الدينية المختلفة سواءً من جماعة الإخوان المسلمين وهم المعتقلون الأكثر تميزًا بين الجميع؛ فهم يسكنون معًا في زنازين أكثر راحة وإضاءة بل وبعضها مزوّدٌ بأجهزة تليفزيون أو من التيارات السلفية المتشددة مثل السلفية الجهادية والسلفية التكفيرية، كانوا أطوّافًا وجماعات تنغلق كل منها على نفسها ولا تقبل الاندماج مع الآخرين إلا على مضض وفي الضرورة القصوى وأثناء الصلاة.



أخذَ رشدي يتقرب إليهم رويدًا يجاذبهم أطراف الحديث ويسمع منهم باكترات مزعوم بعض أحاديثهم الدينية .

****

اندهش رشدي حين نُوديَ عليه للصعود إلى ساحة الزيارة إذ وجد زائره هو الشيخ سعيد الزيني بنفسه! هل تكبد كل هذه المشقة ليزوره ولماذا؟ لم يجد رشدي لتلك التساؤلات التي قفزت في ذهنه حين رأى الشيخ سعيد أي إجابات شافية حتى بادره الشيخ سعيد:

- أهلًا يا معلم رشدي، والله يا راجل لك وحشة، والحتة من غيرك مضلِّمة ومالهاش حِس وكمان مالهاش كبير.

- الله يخليك يا شيخ سعيد.. إنت تعَبت نفسك يا مولانا والله، ومش عارف أشكرك إزاي.

- لا أبدًا يا رشدي.. إنت عارف إنك غالي عندي، وأنا مش ناسي أبدًا إنك اتظلمت بسببي من غير ما أقصد



ولا أعرف والله العظيم، يمكن أحمد بك الطربيشي قالك، أنا كنت حاتجن لما عرفت إن الولاد المجانين دول عملوا كده وانت اللي اتظلمت بسبب جهلهم وجنانهم. قال الشيخ سعيد هذا الحديث بصوت خافت يكاد يكون همسًا رغم أن المكان لم يكن يضم أحدًا سواهما. وحارس يقف بعيدًا لا يسترق السمع ولا يأبه.

- معلش يا شيخ سعيد كله مقدَّر ومكتوب..

بس أنا عرفت إن العيال دول محبوسين معانا هنا، ما تقولي عليهم ينوبك ثواب يا شيخ سعيد..

- إتقي الله يا رشدي مش حاينوبني ثواب أبدًا لو أرشدتك عنهم بالعكس ده أنا حبقى ارتكبت ذنوب كتيرة.. إنساهم يا رشدي حسابهم عند ربنا.. على فكرة أنا كنت قبل ما أزورك بازور واحد من جماعتنا معتقل هنا اسمه الشيخ "فضل الروبى"، هو راجل طيب من كبار مشايخ الدعوه السلفية.. بس جه عليه الدور في الاعتقال.. أنا وصيته عليك ولو عُوزت أي حاجة روح له وكلمه أكيد حاتعرف توصله..

- معلش بقى يا رشدي أنا ماعرفتش أجيبلك إيه زيارة وأنا جاي.. فجبتلك أغلى هدية تؤنس وحدتك وتنورلك طريقك وتصبرك على الابتلاء.. كتاب اللّه.. المصحف الشريف، خُد خليه معاك وحاول تقرا فيه، وصلِّي يا رشدي.. صلي.. الصلاة نور وطمأنينة وسَكِينة.. صلِّي يا رشدي، صلي قبل الأوان ما يفوت.

تركه الشيخ سعيد وانصرف.. فأمسك رشدي بالكتاب وكلمات الشيخ ترن في أذنيه: "صلِّي قبل الأوان ما يفوت"، وتراءت له أعماله الماضية حالكة السواد فجزع منها وتذكر فجأة حديثًا لأحد المعتقلين السياسيين عن عذاب تارك الصلاة في القبر ويوم الحساب فتملكه الخوف والهلع.

هبط إلى زنزانته فاغتسل وتوضأ ووقف في وسطها يبحث عن اتجاه القِبلة فلم يستدل، فسأل مرافقيه فأشار كل منهم إلى اتجاه مختلف.. نادى رشدي من فتحات الباب على الحرس.

- يا كابتن حمدي يا حضرة الصول عزت.



- فيه إيه يا رشدي مالك عامل دوشه ليه؟ كان صوت المساعد عزت.

- والنبي يا حضرة الصول ماتعرفش القِبلة منين؟ عايز أصلي.

ضحك المساعد عزت قائلًا: تصلي! ده من إمتى يا رشدي؟.. إياك ناوي تتوب!

- عايز أصلي قبل الأوان ما يفوت.

- حاتصلي إيه دلوقتي؟ إحنا مش في وقت صلاة.. لما العصر يأذِّن حاتسمع الآدان إبقى خبط حافتحلك تصلي في الزاوية اللي في الدور جماعة..

عاد رشدي إلى مكانه ممسكًا بالمصحف وفتحه وبدأ في القراءة، سورة الفاتحة قرأها بسهولة ويُسر فهو يحفظها، أما سورة البقرة فقد ادلهمت عليه حروفها ومعانيها ولكنه أخذ يحاول.. "إن الذين كفروا سواءٌ عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم اللّٰه على



قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غِشاوة ولهم عذابٌ أليم".

استوقفته الآية، فالمعنى الذي قفز في رأسه أن الذين كفروا لا سبيل لإيمانهم مطلقًا؛ فسأل نفسه: إزاي الكفار مش ممكن يؤمنوا مهما تقولهم؟

هو مش كل اللي آمنوا كانوا كفار وسيدنا عمر كان كافر وبعدين أسلم بقى أمير المؤمنين، إزاى بقي الكفار مش ممكن يآمنوا؟؟

كانت المعانى تختلط في رأسه والألفاظ تستعصي عليه فزاده ذلك اللبس والالتباس والحيرة والعجز عن الفهم إصرارًا على أن يفهم ما استعصى عليه فهمه، ولكن كيف السبيل لمن أعجزه عدم إلمامه بمفردات ومعاني اللغة عن الولوج إلى كتاب اللهِ إلا أن يلجأ إلى "أهل الذكر" من المشايخ يتلقى عنهم شريعتهم التي يظن ويظنون أنها شريعة اللهِ.



تسرب إلى الزنزانة صوت أذان العصر فأسرع رشدي إلى بابها يطرقه بكلتا يديه صائحًا.. الصلاة يا حضرة الصول افتح الباب.. كل زملاء رشدي كانوا يراقبون بذهول واندهاش دون تعقيب.

فُتحت الزنزانة فخرج مسرعًا إلى الزاوية بآخر الممر المحاط بالزنازين وما إن وصل إليها حتى خلع زاحفه واندسَّ داخلَها وجلس بين الجالسين والراكعين والساجدين الذين أخذوا يلاحقونه بنظراتهم فشعر وكأنه طائرٌ شريدٌ ولج إلى أيكةٍ لا تخصه، بل لا تخص فصيلته.. فانكمش داخل نفسه، فلما نوديَ للصلاة اصطفَّ بين المصطفين وقد أخذه شعور بالخوف الممتزج بالرهبة المتوج بالحرج الشديد فقد بدا له الجميع وكأنهم يراقبون حركاته وسكناته ليرصدوا أخطاءه مما زاده ارتباكًا. كبَّر الإمام تكبيرةَ الإحرام فكبَّر وراءه المصلون بصوت خفيض إلا رشدي فقد علا صوته عن الجميع، ولما لاحظ ذلك خاف أن يكون قد أتى بذنبٍ عظيمٍ.. فنظر إلى الأرض وبدأ في قراءة فاتحة الكتاب همسًا.. ولما انتهى منها قرأ سورة

الإخلاص فلما انتهى رأي الأمام والمصلين من خلفه ما زالوا يتمتمون ولم ينتهوا.. فأعاد قراءة سورة الإخلاص مرات عديدة حتى كبَّر الإمام وركع فركع وراءه.. بعد أن انتهت الصلاة لم يشعر رشدي في قرارة نفسه بأنه كان بين يديِّ اللّٰه، بل كان مشغولَ الفِكر مضطربًا..

همس في أذن الجالس بجواره بعد أن أنهى صلاته قائلًا له: حرَمًا يا شيخ. ومدَّ إليه يده ليصافحه، كما اعتاد أن يفعل المصلون بعد صلاة الجمعة.. إلا أن ذلك الرجل لم يمد إليه يده بل ردها قائلًا: "هذه بدعة". لم يفهم رشدي ما قاله هذا السجين الأشعث الملتحي فانزوى إلى ركنٍ من الأركان وقد انتوى أن يصلي ركعتين تقربًا للّٰه عز وجل.. وما إن وقف ليُكبَّر تكبيرة الإحرام حتى نهره بعضُ المتواجدين ونهوه عن الصلاة بدعوى أن الصلاة بعد العصر مكروهة، فامتثل لقولهم وجلس في ركن المسجد وهو يسأل نفسه: كيف تكون الصلاة مكروهة؟



شعر رشدي بالغُربة بين هؤلاء الملتحين فتذكر قولَ الشيخ سعيد الزيني عمن يُدعى الشيخ فضل الروبي فعقد العزم على أن يسأل هؤلاء الملتحين عنه.. فنظر إلى ذلك الأشعث الذي يجاوره وهمس له:

- ماتعرفش ألاقي الشيخ فضل الروبي فين؟

نظر إليه ذلك الرجل وأشار إلى الإمام قائلًا:

- إنه هو من أمَّنا في الصلاة.

زحف رشدي إلى حيث مكان جلوس الإمام وبادره قائلًا:

- السلام عليكم يا شيخ فضل.

- وعليكم السلام ورحمة اللّٰه وبركاته.

كان الشيخ فضل رجلًا ناهز الستين من عمره ذا لحية كثيفة بيضاء تُخالطها بعض الشعيرات السوداء وأثرًا



لصبغة بلون الحناء، حفيف الشارب غليظ الشفتين طويل القامة مكتنز البنية.

- أنا المعلم رشدي اللومنجي. كان الشيخ سعيد الزيني قالي إني أكلمك..

- آه أهلاً يا ابني.. فعلًا الشيخ سعيد وصاني عليك، خير ناقصك حاجة؟

- ناقصني كتير يا عم الشيخ.

- ناقصك إيه؟ قول إن شاء الله ربنا يقدرني وأساعدك.

- ناقصني فهم يا مولانا.

- يعني إيه؟ عايز تفهم إيه؟

قص عليه رشدي محاولته لقراءة القرآن وما ادهلمَّ عليه من معانٍ في سورة البقرة.

ابتسم الشيخ ابتسامة رضا وربت على كتف رشدي قائلًا:



- ما تشغلش نفسك في الفهم دلوقتي يا ابني.. واظب على الصلاة واقرأ القرآن.. مجرد القراءة فيها ثواب عظيم، وبعد صلاة العصر كل يوم حاقعد معاك هنا شوية أحاول أفهمك.. حاتفهم ماتستعجلش، الدين يسر وليس عسر..

****

بدأت جلسات الشيخ مع رشدي بعد صلاة العصر يوميًا، وكانت إدارة السجن لا تعترض على ذلك بل على العكس حينما كانت تطول الجلسات عن الوقت المحدد لبقاء المساجين خارج الزنازين كان الكابتن حمدي، وهو أمين الشرطة المسئول عن إعادة المعتقلين إلى زنازينهم، يسمح لرشدي والشيخ فضل بمزيد من الوقت، بل كان يجلس معهما مستمعًا لتعاليم الشيخ فضل الدينية.

كانت الدروس الأولى التي تلقَّاها رشدي على يد الشيخ فضل بمعاونة بعض المعتقلين السلفين والإخوان هي أحكام التلاوة التي استطاع أن يتلقاها



بسرعة أذهلت هؤلاء المشايخ فقد أتقن تلك الأحكام من إدغام وإظهار وإخفاء وإقلاب، وكذلك حروف المد والقصر وأحكام الوقف والوصل وغير ذلك من أحكام لا تستقيم تلاوة القرآن بدونِهَا وِفقًا لما أكده الشيخ فضل.

أخذ رشدي يستوعب سريعًا ما كان يشرحه له الشيخ فضل وبعض معاونيه من الذين تناوبوا على تعليمه، وفي غضون شهرٍ تقريبًا أضحى رشدي فقيهًا في أحكام الطهارة والوضوء والصلاة وشروطها وسننها وأنواعها والزكاة وأنواعها ومقدارها والصيام والحج وكل أحكامهما والزواج والطلاق وكل ما يتعلق بهما من الناحية الشرعية.

كان رشدي منكبًا على تلقي هذه العلوم بشغفٍ لا مثيل له، وكان حين يختلي بزملائه في الزنزانة يعيد عليهم ما تعلمه حتى انجذب إليه بعضهم وبدأوا في الالتفاف حوله ينهلون منه ما تعلَّمه، بل أرادوا أن يشاركوا رشدي في شطرٍ من جلساته مع الشيخ فضل، فلما نقل رشدي تلك الرغبة إلى الشيخ لم يمانع، إلا أن إدارة

السجن منعت ذلك سريعًا بل منعت حلقات الدرس التي كان يعقدها الشيخ فضل.. وعاد رشدي إلى الزنزانة حزينًا فلم يعد يُسمح له بمجالسة الشيخ فضل أو أي من رفاقه.

****

في شهور قلائل توطدت علاقة نجوى بالأستاذ كمال، وتجاوزت سريعًا حدود العمل إلى آفاق أخرى، فقد أصبحت تتردد على بيته حتى في غير وجوده بعد أن طلب منها معاونة ابنه مازن في تحصيل دروس اللغة العربية بعد ما لاحظ أن المدرسة الإنجليزية لا تهتم باللغة العربية حتى توارت خلف اللغة الإنجليزية وأصبحت لغة ثانية وهنا الطامة الكبرى فانزواء لغة القرآن يطمس الفهم ويفتح آفاق الإفك والبهتان.

دخلت نجوى منزل الأستاذ كمال فلم تدّخر وسعًا حتى أصبحت أثيرة لدى جميع أفراده. مازن وجِدّته الحاجَّة هاجر أو "طنط هاجر" كما كانت تناديها.. وبالطبع كانت الأثيرة لدى الأستاذ كمال في مكتبه باجتهادها

الملحوظ؛ فلم تكن تُصحح مذكرات الدفاع من حيث اللغة فحسب، بل كانت تتدخل في اقتراح استبدال بعض المفردات اللغوية والأساليب الإنشائية وقد نالت أغلب اقتراحاتها في هذا الشأن رضا وإعجاب الأستاذ كمال.

رويدًا بدأت تنشأ علاقة من نوعٍ خَاصٍّ بين نجوى وكمال فقد كانت جلساتهما تطول نوعًا ما سواء في المكتب أو في المنزل يتبادلان فيها أحاديثَ متنوعة تدور حول موضوعات ثقافية واجتماعية وسياسية ولغوية وفلسفية، كانت تقوم فيها بدور السائل والمُتلقي، فقد كان كمال يتمتع بخلفية ثقافية واسعة في كافة مجالات المعرفة، فقد كان يؤمن أن نجاح المحامي لا يتوقف على درايته القانونية فحسب بل يجب أن يكون مُلمًّا بأطراف العلوم الإنسانية الأخرى وبشطر من العلوم التطبيقية العلمية.

ما زالت نجوى تتذكر الحديث الأول الذي دار بينهما في غير مجال العمل – كان عن شيماء – بعد أن استرعى انتباهها ذلك الحديث المطوّل الذي كان يميل



إلى طابع الاستجواب المتوارى الذي دار بين كمال وشيماء بنادي اليخت.

إذ كان يرى أن شيماء شخصيةٌ تابعةٌ منقادة، تميل إلى الجنوح بطبيعتها ليس للاعتدال مكان في نفسها، فهي إما أن تميل إلى أقصى اليمين أو تنجرف إلى أقصى اليسار.. ولذا فقد أخذ يُراهِن على أنها وبَعْدَ أن تجرَّعت الألم في طريق الإدمان وبعد أن أصابها الإحباط في انتمائها السياسي اليساري سوف تتجه بقوة إلى أقصى اليمين لتترك نفسها نهبًا للجماعات الدينية المتشددة.

رأت نجوى ما قاله كمال يتجسد في ذلك التطور السريع الذي ألمَّ بشيماء.. فقد ارتدت ما تسميه "الحجاب الشرعي" وأخذت تواظب على حلقات الدروس الدينية التي كانت تعقدها بانتظام الحاجّة "أم عمرو" في مسجد تابع لجماعة الإخوان المسلمين أسفل عقار قريب من مسكن شيماء.. "وأم عمرو" هذه داعية إسلامية اشتهرت بين النساء في منطقة غرب الإسكندرية، كانت من قبل "التزامها" تعمل مُطربة



معتمدة بإذاعة الإسكندرية وكانت أغانيها الشعبية منتشرة في حفلات الزواج بالمناطق الشعبية، إلى أن تزوجت من رجل الأعمال الإسكندري الحاج "طاهر السنديوني" الذي يمتلك شركة صرافة كبيرة لها فروع منتشرة بين مُحافظَتي الإسكندرية والبحيرة، فاعتزلت الغناء وعكفت على التفقه في الدين وحفظت شطرًا كبيرًا من القرآن الكريم وكثيرًا من الأحاديث النبوية، أهَّلها ذلك في النهاية لأن تكون داعية إسلامية على طريقة الإخوان المسلمين اختصت بشعبة المرأة.

كانت نجوى قد حضرت أحد لقاءات أم عمرو بعد إلحاح من شيماء فارتدت عباءة من عباءات شيماء وغطاءً للرأس وذهبت مع شيماء، وبعد أداء صلاة العصر وانصراف المصلين تجمعت النسوة في الجزء الأخير من المسجد وأُسدلت الستائر على مجلسهن وبدأت أم عمرو - أو "الأخت" أم عمرو -كما كان يطلقون عليها مريدوها- في اتخاذ مكان الصدارة من مجلس النسوة، وقد لفت نظر نجوى تلك الابتسامة التي لم تكن تفارق وجهها رغم تباين المواقف



والانفعالات وتلك المسحة الواضحة من جمال الوجه وحُسن الصوت ورخامة تلاوتها لآيات القرآن..

كان موضوع اللقاء حول حقوق الزوج على زوجته..

أسهبت أم عمرو في الحديث عن وجوب طاعة المرأة لزوجها لدرجة أشعرت نجوى أن أم عمرو تبالغ مبالغة شديدة في وجوب هذه الطاعة لدرجة قد تصل إلى حد العبودية، لم تقتنع نجوى بهذه المبالغة رغم أن أم عمرو قد ساقت بعض الأحاديث النبوية التي تدعم وجوب تلك الطاعة التامة والانسياق وراء الرجل بلا حق في الاختيار أو حتى في المناقشة أو الاعتراض مثل حديث رواه أبو داوود عن الرسول أنه قال " لو أمرت أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها"، وكذلك الحديث القائل: "إيما إمرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة" والحديث الذي يقول إن أكثر أهل النار من النساء اللاتي يكفرن العشير - أي يغضبن الزوج – وأن الرجل إذا دعا امرأته إلى فراشه فأبت لعنتها الملائكة حتى تُصبح، وأن المرأة يجب ألا



تخرج إلا بإذن زوجها حتى لو كان لزيارة أهلها أو لطلب العلم .

هنا وجهت نجوى سؤالًا لأم عمرو قائلة:

- أنا أعرف إن الإسلام ساوى بين المرأة والرجل.. والمساواة معناها إن لكل منهما ذات الحقوق وذات الواجبات وكُلما طولبت بواجب طُولِبَ الرجل بمثله، وكلما أُعطي الرجل حقًا أُعطيت المرأة حقًا مقابلًا فقد قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة "ولَهُنْ مِثْلُ الذي عليهن بالمعروف"

فكيف لا تستطيع المرأة أن تخرج من بينها إلا بإذنه؟ وهو يجوز له أن يخرج أنَّى شاء دون إذن أو حتى علم زوجته.. وكيف يكون هجر المرأة لفراش زوجها نشوزًا وإثمًا من الكبائر؟ ويكون هجر الرجل لفراش زوجته حقًا!

هنا قاطعتها الأخت أم عمرو.. ومازالت ابتسامتها المرتسمة على وجهها لم يعتَرِهَا أيُّ تغييرٍ:

- على رسلِك يا أخت... إسمك إيه؟

- نجوى.

- ما شاء الله يا أخت نجوى لغتك العربية حلوة.. إنتي بتدرسي إيه؟

- أنا ليسانس آداب لغة عربية..

- آه عشان كده، إنتي أول مرة تحضرينا؟

أومأت نجوى برأسها إيجابًا.

- الإسلام يا أخت نجوى ساوى بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، ولكن فيه بعض الحقوق تخص الرجال وحدهم بطبيعة خلقهم، وفيه بعض الحقوق تخص النساء دون الرجال بطبيعة خلقهم برضو.

يعني هل نقدر نقول إن الرجل إذا كان من حقه الزواج بأكثر من زوجة يبقى من حق المرأة إنها تتزوج بأكثر من رجل؟! لا طبعًا ده يبقى شذوذ منافي لطبيعة



المرأة ويترتب عليه اختلاط الأنساب.. مش كده برضو؟.. وحق الحمل والإرضاع والحضانة دي كلها حقوق تخص المرأة دون الرجل لكن المساواة إن زي ما فيه حقوق للرجل وحده دون المرأة، فيه حقوق برضو للمرأة وحدها دون الرجل، ودي تبقى مقابل دي، يعني طاعة الزوج واجب على المرأة يقابلها الإنفاق على الزوجة والأولاد واجب على الرجل.. لكن المساواة المطلقة دي يا أخت نجوى لو اتعملت زي ما إنتي بتقولي تبقى "بزرميط"..

هنا ضحكت النسوة المجتمعات وبدأن تنظرن لنجوى نظرات فيها من سهام السخرية والتهكم والازدراء ما أجبرت نجوى على الجلوس دون أن تستطرد في المناقشة حتى انتهى الدرس فانصرفت دونما تفكير في العودة..

أما شيماء فقد عاتبت نجوى في طريق عودتهما للمسكن عتابًا أظهرت فيه استياءها من جهل نجوى بالدين وأفكارها العَلمانية -كما قالت-.



لم تنس نجوى أن تعرض ما دار بينها وبين تلك الداعية أو الدعّية -كما أطلقت عليها- على الأستاذ كمال في أول جلسة جمعتهما بالمكتب بعد هذه المجادلة التي أشعرتها بالهزيمة إذ لم تستطع مجادلة الشيخة أم عمرو وآثرت الصمت عن مضض وليس عن اقتناع بما قالته المرأة..

ضحك كمال وهو يقول:

- إنتي اخترتي المكان الغلط والناس الغلط لمناقشة موضوع مهم زي ده.

- ده أنا كنت مكبوتة ومش قادرة أتكلم من الحركات والنظرات والغمزات واللمزات والهمهمة اللي كانت حوليّا، والغريب إن كلهم ستات وأنا بادافع عن حرية المرأة ومساوتها بالرجل!، وكلهم ولا واحدة منهم عاجبها كلامي حتى شيماء اتهمتني بالعَلمانية.

- وهي شيماء تعرف يعني إيه عَلمانية؟! دي سطحيه جدًا وماعندهاش أي مخزون ثقافي.



- مع إنها طول عمرها متفوقة في الدراسة.

- الدراسة اللي موجودة في مصر سواء من ناحية اختيار المناهج الدراسية أو إسلوب التدريس التلقيني أو طريقة الامتحان أو مستوى المدرسين مش ممكن تدينا تعليم حقيقي.. وكمان شيماء كانت يا دوب بتحفظ المنهج وتطبع اللي حفظته في ورقة الإجابة آخر السنة وما تحتفظش بأي معلومة بعد انتهاء المهمة لأنها أصلًا ماكانتش بتحاول تفهم – زيها زي أغلب المُتعلّمين في مصر – ماحدِّش منهم حاول يفكر أو يقرا كتاب مفيد وعشان كده عقولهم بتبقى أرض خصبة ومُمهَّدة لأي فكر يتزرع جواه دون قدرة على النقد والفلترة والتدبر، لأن الحاجات دي محتاجة قدرة على التفكير وخلفية ثقافية مش متوفّرة عند أغلب الشباب في مصر.

- ما هو عشان كده أنا حاولت أخلّيها تقرا كتب فيها آراء ووجهات نظر مختلفة قلت أبدأ معاها كده من الأول فقلت لها أنا حاجيب لك كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين..



قاطعها ضاحكًا: قاسم أمين؟! طبعًا قالتلك ده عاش كافر ومات كافر..

- أيوه بالظبط وده اللي خلاها تقولي يا علمانية.

- شوفى يا نجوى لازم تعرفي إن شباب مصر بيتعرَّض لموجة منظمة من غسيل المخ لزرع أفكار دينية متشددة الغرض منها تكريس السلطة الدينية وتكوين عقل جمعي يؤمن بفكرة تكوين دولة الخلافة الإسلامية.. وهو هدف سياسي مُغلف بغلاف ديني عشان أي حد يحاول يعترض أو ينقد يبقى في نظر العامة بيتعرض للثوابت الدينية ويتم عزله وعزل أفكاره عن الناس.. وعشان كده بيتهموا كل أصحاب الفكر المستنير بالكفر وبكده يتم تصفيته فكريًا وأحيانًا جسديًا وده اللي حصل مع كل المستنيرين في كل السنين اللي فاتت من ثلاثينيات القرن اللي فات لغاية دلوقتي. لدرجة إن فيه بحث نال صاحبه عنه درجة الدكتوراة لأنه كفَّر أكثر من مائتين مبدع ومفكر ومثقف في مصر ومختلف الدول العربية، وطبعًا تكفير هذه الشخصيات يعني تصريح بقتلهم لأنهم مرتدون



ورغم كده صاحب البحث التحريضي ده نال عنه أكبر درجة علمية جامعية "الدكتوراه".

هكذا كانت تمضي اللقاءات التي تجمع بين نجوى وكمال، كلها تدور حول موضوعات فقهية وفلسفية لتتلقفها نجوى بشغف واقتناع.. وإن كانت لا تخلو أحاديثهما من العروج على المسائل الشخصية حتى وقف كل منهما على شخصية الآخر وظروف حياته وميوله في شتى المناحي، بل كانت كلمات الإعجاب المتبادلة تتأرجح بينهما في ثنايا الحديث.

تُيمت نجوى بكمال واكتنز قلبها شغفًا وحبًا وإعجابًا وتيهًا بكمال، وكانت تشعر أنه يبادلها نفس الشعور ولكن بكثير من الحذر والحياء.

****



أما رشدي وبعد عزله عن الاختلاط بالمعتقلين السياسيين فقد حُرِمَ من تلك الدروس الدينية التي كان يواظب عليها وينهل منها بشغف. عزاؤه الوحيد أنه كان يجمع بعض مساجين زنزانته ويجلس أمامهم يعيد عليهم ما تعلمه ويشرحه ويسألونه فيجيبهم بأسلوب سلس يفهمونه، فقد كان يُحدِّثهم بلغتهم ويضرب لهم الأمثال من واقع حياتهم ليقرب إليهم المعاني كما فهمها مما زاد من مكانته بينهم بل ونفوذه عليهم أيضًا فكانوا يطيعون أوامره ويتبارون في خدمته، فعاش بينهم سعيدًا بِدَور الزعيم فرغم أنه كان يمارسه دومًا إلا أنه يمارسه الآن دون أن يُكلفه عناء استخدام السطوة الإجرامية أو سطوة المال.. كانت السطوة الدينية أشد أثرًا وتأثيرًا وأقل كُلفة، فهي سطوة ينصاع لها الناس بإرادتهم بل يتنافسون فيما بينهم على التفاني في الانصياع لها والطاعة راضين مختارين سعداء.. عدا "على القرد" ظل مناوءًا لأغلب ما يطرحه رشدي من أفكار ولكن رشدي لم يكن يهتم



بالرد على اعتراضات القرد مكتفيًا بالاستهزاء به قائلًا..
"قرد مركبين له مخ حمار"

تكاتف المعتقلون وضموا الأسرة إلى بعضها ليفسحوا مكانًا في زاوية الزنزانة جعلوه مُصلى لهم ومكانًا لتلقي الدروس الدينية من الشيخ رشدي الذي تغيرت هيئته بعد أن أطلق لحيته وحف شاربه وصار يؤمهم في كل صلاة.

****

انزوى رشدي كعادته بعد صلاة الفجر في زاويته يقرأ ما تيسّر من القرآن.. سكت عن التلاوة قليلًا حين استرجع لقاءه بالضابط أحمد الطربيشي في أمن الدولة وذلك الدور الذي كان يعده لأدائه "جاسوسًا على هؤلاء المشايخ".

لقد عاشرهم شهورًا فلم يجد منهم إلا رجالًا آمنوا بربهم وواظبوا على عبادته ولم يرَ في سلوكهم عنفًا ولا ما يشير إلى أنهم – كما قال – إرهابيون بل على العكس كان التسامح باديًا في سلوكهم فلم ير أيهم



متمردًا على الأوامر أو معترضًا على شيء مهما كان.. بل كانوا جميعًا هادئين قانعين قابعين مصلين مسبحين ولم يسمع منهم إلا اعتراضهم على الظلم الضارب بظلاله في البلاد والذي طال كل العباد.. ولهم في ذلك كل الحق - ألم ينله من هذا الظلم نصيب حين اتهموه ظلمًا بجريمة لم يرتكبها، وقامت النيابة بحبسه وظل محبوسًا لمجرد محضر تحريات حرره أحد الضباط دون بيِّنه.. وها هو الآن في المعتقل بلا ذنب ولا سند إلا ذات الورقة "محضر التحريات" الذي حرره ذات الضابط.. أليس كل رفقائه في الزنزانة مظلومين؟ ألم يمتد الظلم إلى كل الناس داخل السجون وخارجها؟ الاعتراض على الظلم ليس إرهابًا بل هو واجبٌ مُقدَّسٌ.. وحتى واقعة الاعتداء على ذلك الفاجر المسمى "حودة المجري" هي حق أليس ذلك الفاجر قاطع للطريق يروع الناس ويسرق أموالهم غصبًا تحت تهديد السلاح.. هو لا شكَّ من المفسدين في الأرض وجب على وليّ الأمر أن يقيم عليه حدَّ الحرابة.. ولكن لأن وليّ الأمر لا يحكم بشرع الله ولا يقيم الحدود، فلا بأس على أي مسلمٍ أن يُقيمها إن



تثبَّت من شروطها، هذا هو شرع الله كما عرفه من الشيخ فضل ومن تلك الأجزاء التي طالعها في بعض أجزاء كتاب "الفتاوى الكبرى" لابن تيمية التي أهداها إليه الشيخ فضل في سرية تامة والتي يحتفظ بها في مخبئه بين حاجياته في الزنزانة حيث يعود إليها للإجابة عن أي سؤال يعن له أو لأحد زملائه.

خرج رشدي عن شروده على صوت مزلاج باب الزنزانة وهو يدور لينفتح الباب وإذ بالأمين حمدى ينادي على رشدي..

- حضَّر نفسك يا رشدي عندك جلسة تظلُّم في محكمة جنوب.. ربع ساعة وحاجي أخدك.

هذه هي الجلسة الثالثة التي يمثل فيها رشدي أمام محكمة أمن الدولة للنظر في التظلم من قرار الاعتقال والتي يواظب محاميه على تقديمه في المواعيد المقررة كل ثلاثين يومًا من رفض آخر تظلم.



استقل رشدي سيارة الترحيلات التي لم تكن تحمل إلا أربعة معتقلين سواه.

مثُل كالعادة أمام محكمة أمن الدولة العليا بمحكمة جنوب القاهرة، التي نظرت التظلم بعد انتهائها من نظر القضايا العادية. رمق السيد رئيس المحكمة رشدي بنظرة متفحصة ثم نظر إلى صحيفة سوابقه المرفقة بملف مفتوح أمامه.

ثم قال مبتسمًا:

- إنت عندك 23 سابقة جنائية و6 قرارات اعتقال جنائي، أومال إيه اللحية اللي في وشك دي؟ ثم ضحك وأكمل: إنت تُبت يا رشدي؟ ولا انحرفت في سكه تانية؟ ربنا يهدي!

بدأ المحامي الذي أرسله الأستاذ كمال في المرافعة التي انتهت سريعًا.. ثم كان القرار سريعًا أيضًا:

رفض التظلم.



ساقَّ الحُرَّاس رشدي إلى سيارة الترحيلات دون أن ينتظر كالعادة في الحجز الخاص بالمحكمة حتى تنتهي كل القرارات ويتجمع المساجين ليستقلوا سيارة الترحيلات معًا.

بل أُقتيدَ إلى السيارة منفردًا وأُغلق عليه الباب، وما هي إلا دقائق حتى أُعيد فتح باب السيارة الخلفي وصعد إليها شخصٌ يرتدي ملابسَ عادية وأُغلق عليهما الباب مرة أخرى.. نظر إليه رشدي ففوجئ بأنه أحمد الطرابيشي ضابط أمن الدولة بنفسه.. الذي عاجله بقوله:

- إيه يا رشدي إنت نسيت اتفاقنا ولا إيه؟

- لا يا باشا.. حضرتك اللي نسيت.

- نسيت إيه يا رشدي؟

- حضرتك وعدتني إن آخرها شهر ونص شهرين بالكتير وأطلع وأنا داخل دلوقتي على أربع شهور مرمي محدش سائل فيَّا والتظلمات كلها بتترفض.



- وانت كنت قدمت السبت عشان تلاقي الحد يا رشدي؟ بعتلك مصطفى صاحبك 3 زيارات عشان تبعت معاه معلومة، مابعتش حاجة وأنا شايفك أهو الله أكبر ضربت دقن وبقيت شبههم يعني الناس أقبلوا عليك وبقيت واحد منهم، ومش عارف تبعت معلومة واحدة؟

- ما هو يا باشا مافيش حاجة ممكن أبعتها.. بيقعدوا معايا يعلمُوني الفقه والقرآن والحديث والصوم والصلاة.. ومش بيتكلموا معايا في حاجة تانية خالص.. وأنا مش عايز أسألهم في حاجة عشان مايشكوش فيّا.

- لأ الظاهر إن القعدة عجباك.. إنت حُر، خليك قاعد تتفقه في الدين لما تخلِّل جنبهم.

- طب أعمل إيه يا باشا؟! مش بيتكلموا في حاجة وأنا مش حاسس إن فيه حد منهم إرهابي.

- لا يا شيخ.. دول جنِّدوك بقى!



- جندوني إيه يا باشا؟ إنت عارفني.

- آخر كلمتين حاقولهم لك يا رشدي حاول تتقرب لاتنين منهم، واحد إسمه محمود حسن المصري وشهرته أبو مصعب، والتاني إسمه طاهر غريب الجميعي وشهرته الأبتر، حاتلاقي كف إيده الشمال مقطوع.. واحكي لهم عن شقاوتك بتاعة زمان ومهارتك في استعمال السلاح وعلاقتك ببدو الصحراء الغربية والسلوم وتهريب المخدرات والبرشام اللي كنت شغال فيه مع البدو زمان.. فاهم يا رشدي إحكي لهم بس على الحاجات دي وسيبهم هُمَّا أكيد حايحاولوا يتكلموا معاك.

- آه بس للأسف يا باشا إدراة السجن منعتني من الاختلاط بيهم خالص ده أنا حتى ممنوع إني أصلي في الزاوية معاهم.

- حاتصرف أنا في الحكاية دي مايهمش، بس اعمل اللي قولتلك عليه يا رشدي عشان تخلص وتطلع



تشوف عيالك ومصالحك.. أنا نازل بقى قبل ما باقي المساجين ييجوا.. سلام يا رشدي شد حيلك.

****

على عكس ما توقعت شيماء كان استقبال الأساتذة لها بالكلية بعد عودتها مشجعًا ولم تشعر منهم بأي جفاء أو استياء خاصةً بعد أن تنازلت عن دعوى التعويض التي أقامتها ضد الجامعة عن طريق الأستاذ كمال.. فقد استدعاها العميد إلى مكتبه وشكرها بنفسه واستحسن زِيِّها المحتشم ومظهرها الملتزم الجديد ودعا لها بالتوفيق والتقدم.

منذ بداية الدراسة احتضنتها زميلاتها عضوات أسرة الشريعة الإسلامية اللاتي كوّنَّ معًا مجتمعًا خاصًا بهنَّ داخل الكلية فكانوا يجتمعن معًا ويحضرن المحاضرات سويًا ويساعدن بعضهن البعض في تحصيل الدروس ويجتمعن مرتين كل أسبوع في مقر الأسرة يستمعن لمقرر الأسرة الذي يناقش معهن وزملائهن من الطلاب



أعضاء الأسرة بعض الأمور العامة والأحداث السياسية التي تطل بظلها على مجتمع الطلاب،

وكُن يتدربن على كيفية جذب الطالبات الجدد إلى الأسرة وحثهن على الالتزام الديني ومساعدتهن عن طريق إمدادهن بالكتب الدراسية والمذكرات الشارحة للمناهج الدراسية وإغرائهن على المشاركة في الندوات التي تنظمها الأسرة سواء داخل الجامعة أو خارجها والمشاركة في كل الفاعليات الطلابية التي ينظمها اتحاد الطلاب من وقفات احتجاجية أو مظاهرات طلابية.

رغم تعايش شيماء مع مجتمعها الجديد وذلك الاستقرار النفسي الذي منحها إياه ذلك المجتمع الذي أغلقته هي على نفسها أو أغلقه هو عليها فظلت حبيسه جدرانه، إلا أنها كانت تمضي أغلب أوقاتها خائفة مرعوبة من أسرار ماضيها الآثم أن تُفشى؛ فكل نظرة من زميلاتها داخل الأسرة أو كلمة عابرة منهن كانت تظنها لمزًا أو إسقاطًا على ماضيها، فعاشت



سجينة الماضي الذي ظنت أنها سجنته داخلها، فاكتشف أنه سجنها خلف قضبان راسخة لا تتحطم.

ظلت على هذا الحال من الصراع النفسي، أسيرة شبح الماضي وسجينة قيود الحاضر الذي كبَّلَت نفسها به فاستسلمت.. رهينة للمحبسين.

باءت محاولات نجوى للاتصال بشيماء كلها بالفشل؛ فهي لا تجيب أبدًا على هاتفها.. وحتى حين زارتها آخر مرة لم تجد منها ترحيبًا بل كان لقاءً جافًا أجبرها على الانصراف سريعًا..

أدركت نجوى أن شيماء تمر بمرحلة نفسية عصيبة فهي تريد أن تمحو ماضيها بكل ما فيه، وأن وجودها في حياتها أصبح غير مرغوب لأنها جزءٌ من هذا الماضي أو على الأقل تُذكِّرها به.. فاستسلمت لرغبتها وانسحبت من حياتها إلا قليلًا.. وتفرغت لكمال وأسرته وعملها معه فقد ازدحمت حياتها بكمال وبكل ما يتعلق بكمال..

****



سمحت إدارة السجن لرشدي بمعاودة الصلاة في مسجد السجن مختلطًا مع هؤلاء المشايخ المعتقلين.. وعادت دروس الفقه والشريعة إلى سابق عهدها.. وبدأت الجلسات بينه وبين الشيخ فضل تتواصل وتتسع حلقاتها إذ كان يشارك فيها بعض أعضاء الجماعات السلفية الجهادية والتكفيرية، وبدأت العلاقة بين رشدي وبينهم تتنامى والمناقشات تمتد وتتعرج إلى كل أمور الدين وربطها بأمور الدنيا. أخذت الدروس الدينية تتوالى ورشدي يحفظ ما يقال أمامه عن ظهر قلب دون مناقشة، حتى كان الدرس الذي شدَّ انتباه رشدي وقابله في بداية الأمر بشيءٍ من الاستهجان الداخلي دون أن يُصرِّح بما جال في نفسه، وهو درس "الناسخ والمنسوخ" ومؤدّاه أن اللّه قد نسخ بعض آيات القرآن بعد تنزيلها وغيَّرَها أو بدّلها أو ألغاها كلية.. والقاعدة في هذا أن الآية اللاحقة تنسخ أيَّ آيةٍ سابقة قد تتعارض معها في الحكم.. وكذلك الأحاديث النبوية اللاحقة تنسخ آيات القرآن السابقة عليها إذا تعارضت معها في الحكم، هذا المعنى لم يستصغه



رشدي في البداية. إلا أنه امتثل واقتنع به تمامًا بعد شرح الشيخ فضل إذ قال:

- النسخ يا رشدي منصوص عليه في القرآن؛ فقد قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة "ما ننسخُ من آيةٍ أو نُنسِها نأتِ بخيرٍ منها أو مثلها".

وقال جل علاه في سورة النحل "وإذا بدَّلْنَا آية مكان آية" صدق الله العظيم. النسخ رحمة من الله، يعني مثلاً ربنا أوجب على المسلمين الإنفاق من أموالهم على الفقراء بغير حد بقوله "أنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم" وكانت الحكاية دي شاقة على المسلمين فنسخها الله بآية الزكاة التي حددت نصيبًا معلومًا للإنفاق على الفقراء، وحاقولك مثل تاني، لما بدأ الإسلام كان لسه ضعيف فكان الله يأمر المسلمين بالعفو والصفح عن الكفار والتجاوز عن إيزائهم للمسلمين مثل قوله تعالى "واعفوا واصفحوا حتى يأتي اللهُ بأَمْرِهِ".

لكن لما كثر المسلمين وبقوا قوة نسخ ربنا كل آياتِ الرحمة بالكفار والتعايش السِّلْمِي معهم والصفح عنهم

والتسامح بنزول "آية السيف" التي أمرَنَا الله فيها أن نقتل الكفار كافة في قوله "وقاتِلُوا المُشْرِكِينَ كافةً".

- إيه آية السيف دي يا مولانا؟

- سورة "التوبة" يا رشدي ودي حايتولى شرحها لك الأخ أبو مصعب المصري الجمعة اللي جاية إن شاء الله..

انتبه رشدي للاسم فقد كان ذلك الاسم من بين الاسمين الذين أشار إليهما الضابط أحمد الطرابيشي وأمرَه بالتقرب إليهما، ولكن لماذا اختصه الشيخ فضل بشرح سورة التوبة يا ترى؟.. سؤال دار في خلد رشدي لم يجد له إجابة.

ولكنه استطرد قائلًا:

- طيب تمام يا مولانا فهِمْت إن القرآن ينسخ قرآن، بس إزاي السُّنة تنسخ القرآن.

- يا رشدي أقصد من السنة الأحاديث، أي الأقوال التي قالها الرسول صلى الله عليه وسلم هو مش ربنا قال عنه "وما ينطق عن الهوى".. وقال "إن هو إلا وحي يوحى".

وقال سبحانه وتعالى: "وما أتاكم به الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتّقُوا اللّه".

يعني الرسول مش بيقول حاجة من عنده، أقواله وحي من اللّه.. فيجوز أن يوحي له سبحانه بحكم جديد ينسخ حكمًا سابقًا نزل بالقرآن.

انتهت الجلسة عند هذا الحد وقام الشيخ فضل للصلاة وانتحى رشدي جانبًا بجوار شخصٍ يجلس القرفصاء بمفرده في ركن ناء من أركان المسجد الصغير وقد قصده رشدي حين بدت يده اليسرى مبتور كفها.. جلس إلى جواره ممسكًا بالمصحف يقرأ فيه بهدوءٍ، حتى انتهى فوضعه أمامه.. فبادرَهُ الأبتر قائلًا:

- إنت منين يا حاج رشدي؟



- أنا من إسكندرية.. وانت منين يا شيخ؟

- إسكندراني؟ أجدع ناس.. آه عشان كده الحاج فضل مُهتم بيك، إسكندرانية زي بعض.. هو يعرفك قبل كده؟

لاحظَ رشدي أن ذلك الأبتر الذي يجتهد في مداراة لهجته الخليجية قَد تجاهل الإجابة عن سؤاله.. فآثر ألا يعيد عليه السؤال، فقال:

- الحقيقة أنا ما أعرفهوش قبل كده بس الشيخ سعيد الزيني موصيه عليّا.. أصل الشيخ سعيد الله يكرمه سبب توبتي جزاه الله خيرًا.

- اللهم تقبلك.. وانت كنت بتشتغل إيه؟ وإيه سبب اعتقالك؟

تنهَّدَ رشدي تنهيدة عميقة قبل أن يجيب:

- أنا كنت شقي شويه واعتقلت قبل المرة دي أربع مرات اعتقال جنائي شقي خطر فئة "أ" فرض إتاوات

وتهريب.

- الله يهدي مَن يشاء.

- ونعم بالله لكن ماقولتليش يا شيخ، هي إيدك دي حادثة ولا خناقة ولا إيه بالضبط؟

- إرادة الله.

- ونعم بالله.

كانت هذه الإجابة كفيلة بإنهاء المناقشة..

فعاد رشدي إلى تلاوة القرآن من المصحف.. تاركًا هذا الأبتر سابحًا بنظراته إلى أعلى محركًا سبابته اليمنى فوق مسبحة كبيرة تلازمه ولا تنفك عنها أنامله.

عاد رشدي إلى زنزانته يمارس طقوسه المعتادة من الصلاة والتلاوة وتعليم زملاء الزنزانة الأمور الشرعية التي تعلمها، كان يشرح لزملاء محبسه حد الردة.

فقاطعه على القرد كعادته..



- هو يا معلم رشدي.. قصدي يا شيخ رشدي مش ربنا قال: "ومَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر" طب إزاي بقى اللي يكفر نقتله؟

- يا أبو جهل ما هو الآية دي كانت في بداية الإسلام، وكان الإسلام لسه مابقاش دولة قوية بعد كده الآيه دي نُسخت.

- يعني إيه نُسخت؟

- يعني اتلغت

- ومين اللي لغاها؟

- ربنا عز وجل والرسول صلى اللّٰه عليه وسلم، قال اللّٰه تعالى "ومن يرتدّ منكم عن دينه فيَمُث وهو كافرٌ فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون". صدق اللّٰه العظيم

وقال رسول اللّٰه "صلى اللّٰه عليه وسلم" "من بدَّلَ دِينَهُ فاقتلوه".

- وطالما اتلغت ليه لسه موجوده في المصحف؟ وليه لسه بنقراها؟

- إتلغى حُكْمَها يا حمار بس ما اتلغاش تلاوتها.

- طب يا مولانا ماشي زي ما بتقول ربنا ممكن يلغي كلامه بعد فترة.. بس الآية اللي انت قولتها مافيهاش أي سيرة عن قتل اللي يرتد عن دينه.. ربنا بيقول إن ده يبقى عقابه في الآخرة، يوم القيامة يعني.

- طب وحديث الرسول الصريح بقتل المرتد حاتقول فيه إيه يا قرد؟

- لو حتى قولنا إن الحديث ممكن يلغي القرآن يبقى لازم نعرف الحديث ده قاله الرسول إمتى؟.. هو انت تقدر تعرف الحديث ده كان الأول ولّا الآية كانت الأول عشان نعرف مين نسخ مين؟

- طب إيه رأيك في كلام ربنا في سورة السيف واللي أمرنا فيها بقتل المشركين في أي مكان

"بسم اللّه الرحمن الرحيم"

"فاقتلوا المشركينَ حيثُ وجدتَّموهم وخُذُوهم واحصُرُوهم واقعُدُوا لهم كل مرصد". "صدق اللّه العظيم

- إيه سورة السيف دي؟

- سورة التوبة يا أبو جهل ودى آخر سورة نزلت في القرآن يعني نسخت كل آيات السلام مع الكفار.. فهمت ولّا لسه؟

- أنا كنت فاكر إن آخر سورة نزلت في القرآن هي "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينًا".

- لأ يا جاهل.. ونقطني بسكاتك بقى وقوم من هنا وخلي غيرك يفهم يا مخ الحمار.

- ماشي يا مولانا.. أنا حقعد بعيد ألف سيجارتين.. ألفلك سيجارة معايا؟!



- أستغفر الله العظيم.

- لي‌ه يا مولانا ما انت كنت بتحشش وزى الفُل، ولا الحشيش اتنسخ بنزول الترامادول!

قالها وهو يضحك.

- أقسم بالله يا قرد لو ماحتبطل الفسق اللي إنت فيه ده...

قاطعه على ضاحكًا:

- حاتُقيم عليّا الحد؟

وقف رشدي غاضبًا فلاحقه علي القرد قائلًا بعد أن رفع كلتا يديه لأعلى:

- خلاص خلاص يا معلمى مش حاتكلم خالص – أنا باهزر معاك يا مولانا

- كلام ربنا وأحكامه مافيهاش هزار يا على فاهم ولَّا لأ.

- فاهم يا عم الشيخ خلاص إهدى بقى حقك عليًا.

أنهى رشدي درسه للمساجين ثم اختلى بنفسه فدارت برأسه الأحداث وأخذت تترابط سابقتها بالحالية، فقد تصادف اليوم أن تعرف على كلا الشخصين اللذين أشار إليهما الضابط أحمد الطرابيشي في حديثه الأخير؛ الأبتر وأبو مصعب.. يبدو أن الضابط كان محقًا فيما قاله عنهما فهذا المكنى بالأبتر كانت إمارت القسوة والعنف بادية على قسمات وجهه الجامدة وكأنها نحت من الجرانيت تحيط به لحية سوداء كثيفة غير مهذبة وقد أحاط رأسه بعصابة بيضاء معقودة من الخلف يتدلى من خلفها شعر طويل مجعد، وله عينان جاحظتان سوداوان شاردتان دائمًا وحاجبان مقرونان، لا تستطيع أن تحدد سنه من خلال قسماته بسهوله فيبدو و قد تخطى سن الشباب متجهًا اتجاهًا سريعًا نحو الكهولة، خليجي اللكنة تومئ طريقة بتر كف يده اليسرى كمن أقيم عليه حد السرقة.

هو شخص غير مريح مظهره، فظ في حديثه..



أما أبو مصعب فرغم أنه أقل بشاعة من الأبتر فملامحه متناسقة إلى حد ما إلا أنها لا تخلو من القسوة.. ولم يدر لِمَّ اختصه الشيخ فضل بتولي تفسير سورة التوبة التي أطلق عليها سورة السيف.. أيكون ذلك لأن هذه السورة فيها من الآيات التي تحض على العنف والقتل بما يتناسب مع شخصية أبي مصعب.. ربما!

خرج رشدي من خلوته مع نفسه على صوت صافرة حارس الزنزانة وتلك الخطوات المنتظمة التي تتقدم إلى حيث بابها الخارجي.. بما ينبئ على أنَّ نزيلًا جديدًا مقبل.. من سيكون يا ترى؟ وأين سينام وقد اكتظت الزنزانة عن آخرها فهي لا تتسع لزائرٍ آخر خاصةً بعد أن اجتزأوا منها مكانًا للصلاة والخلوة، حتمًا سيكون إقامة هذا النزيل الجديد على حساب مكان السجود..

فُتح الباب ودخل الحراس ليعلنوا عن قدوم الزائر الجديد وقذفوا بحقيبته داخل الزنزانة ثم دفعوا به



وأعادوا إغلاقها سريعًا.. نظر رشدي إلى الزائر الجديد ثم وقف مندهشًا:

- مين؟.. مش معقول! مينا؟

إنه أحد رجاله، وكان المتهم الخامس في قضية قتل "حودة المجري" مينا جرجس يونان.

صافحه رشدي وتبادلا العناق بحرارة.. فقد كان مينا من أخلَص رجال رشدي وأشدهم وفاءً. أجلسه رشدي على سريره وكلّف "علي القرد" بأن يُشعِل له سيجارة ويأتيه بكوب شاي.. فمنذ أن التزم رشدي دينيًا وقد أقلع عن التدخين..

ربت رشدي على كتف مينا وسأله عن ظروف اعتقاله.

تنهد مينا بحرقة كمن تنفس لهبًا وقال في حزنٍ بالغٍ:

- "دعبس" طلع من السجن واحد تاني خالص يا رشدي.. بان على حقيقته والندالة ظهرت على أصولها..



- إزاي.. إحكيلي عمل إيه؟

- استغل إنك محبوس وبدأ يفرد ضلوعه.. وحط أغلب الرجالة تحت طُوعه وبقى "المعلم دعبس" وكوّش على الشغل وبطل يطلّع الشهريات بتاعة الرجالة إلا الشويه بتوعه اللي بيقولوله يا معلم دعبس.. طبعًا أنا قلت له أنا ماليش غير معلم واحد بس هو معلمي ومعلمك واوعى تفتكر إنه راح ومش جاي، بكرة يطلع ويلبسك الطرحة..

طبعًا أنا قولتله كده وسط الرجالة راح مطلع السلاح وشادد الأجزاء عليّا والرجالة حجزت عليه وطردني ابن الواطية من الحتة.

أخدت العيال ورُحت قعدت عند ناس قرايبي في وادي القمر.. وقلت أصرف من القرشين اللي معايا لغاية لما تطلع..

- طب ليه ماجتليش زيارة وقولتلي؟ ده حتى مصطفى على طول بيزورني وماقاليش حاجة..!



- ما احنا ما رضناش نقولك على البهدلة اللي عملها دعبس عشان مانشيّلكْش الهَّم قولنا انت في إيه ولّا إيه.

- هو انتو فاكرين إني ما أعرفش أتصرف معاه وأنا هنا ولا إيه؟ ما انت عارف إن إيدي طايلة في كل حتة.. طب أقسم بالله لأخليه عِبرة الندل الواطى "بتاع العي..." أستغفر اللّه العظيم عمومًا أنا حاعرف أربيه.. برضو ماقولتليش إيه اللي جابك هنا عملت إيه؟

- لما حبستك طولت يا معلمي الفلوس اللي معايا بدأت تخلص واهو خُد من التل يختل.

- طب مارُحتش لمصطفى ليه تاخد منه اللي انت عاوزه؟

- ما هو مصطفى شِيلته تقيلة، بيدفع مصاريف بيتك واخواتك والعيال وكل اللي كنت بتطلعه للناس فضل ماشي زي ما تكون بره بالظبط.. مارضيتش إني أكون حِمل عليه وانت مش موجود، أنا عارف إن كله من



خيرك.. بس أنا ما اتعودتش آخد فلوس غير منك يا معلمي.. وبعدين آخد فلوس من غير شغل؟ دمي ماجابنيش يا معلم.

- إنت عبيط ياوله! ده انت أخويا.. إنت مش عارف غلاوتك عندي..

- عارف والله يا معلم رشدي، بس معلهش دمي ماجابنيش أمد إيدي زي الولايا من غير شغل..

- طب عملت إيه؟

- رجعت للشغل القديم.. من فات قديمه تاه.. طلعت الصحرا وقابلت الشيخ مستور.

- مستور الهواري؟

- أيوه.. على فكرة الراجل ده زعل قوي لما عرف إنك محبوس وكان عايز يجي يزورك.. وقالِّي رشدي ده أرجّل إسكندراني اتعاملت معاه.



- هو لسه شغال؟

- لأ.. قالي إنه بطل شغل المخدرات وبيشتغل في السلاح بيجيبه من ليبيا وبيوديه الصعيد وسينا وغزة..

- وبعدين؟ إوعى تكون اشتغلت في السلاح.. إنت غشيم في الشغلة دي.

- لأ طبعًا.. هو دلّني على واحد قريبه اسمه الصافي وده جلّاب كبير هو اللي مغرّق السوق كله.

- حشيش؟

- لا برشام ترامادول.

- يا مينا ما احنا كنا بعِدنا عن الشغلة دي، والسوق اتغير ومش حاتعرف ترجع تاني ماتعرفش حاتاخد من مين وحاتدي مين والسوق بقى كله مرشدين وعيال مبرشمة.. إيه بس اللي رجعك للسكة دي؟



- النصيب يا معلمي.. طب كنت حاعمل إيه؟

- قُصره.. إنجز معايا.. عملت إيه؟

- أخدت منه مرة ورا مرة.. كل مرة يديني عشرين باكتة أو تلاتين.

- يعني ألفين أو تلات تلاف شريط.

- أيوه، وبعدين اتعرفت على عيل في الرمل تاجر كبير إسمه سعيد الكفران.

بقيت أديله الشُغل ويسلمني الفلوس كاش، وكان واد ملتزم وزي الفل بس أنا اللي طمعت جالي عيل من صبيان سعيد وقالّي إنه عايز يعمل شغل لوحده وعايز كمية كبيرة، 50 باكتة وبزيادة ألف جنيه في كل واحدة. أنا قلت ماشي.

حضّرتله البضاعة وكلمته واتفقنا على مكان التسليم عند كارفور، جه ومعاه الفلوس حطهالي في شنطة العربية.. وأنا كان معايا عيل ناضورجي واقف عند



طلعة الكوبرى.. عطاني رنة عرفت إن المكان ملغم وإن الولَا مُرشد وعايز يسلمني، رحت غزَّه بالمطواة في بطنه معوره وراكب العربية وجريت.. جريوا ورايا هربت منهم ماعرفوش يجبوني.. إستخبيت كام يوم في مكان محدش يعرفه وخبيت البضاعة والفلوس.. وزهقت من الحبسة في البيت قلت أنزل أقعد شويه على قهوة خفاجة اللي في مينا البصل.. يادوب لسه الواد بيرصلي أول حجر.. اتمسكت.. خدوني على الإداره بتاعة مكافحة المخدرات اللي في أبو الدردار وقعدوا يشتغلوا معايا.. عايزين الفلوس، أتاريها فلوس ميري بتاعة الإدارة كانوا عاطينها للولَا المُرشد عشان يجيب رجلي.. لكن انت عارفني ماخدوش منِّي لا حق ولا باطل، لا بضاعة ولا فلوس ضرب كهرباء، كل اللي نفسهم فيه عملوه.. والآخر ودوني المستشفى عالجوني وعملولي جواب اعتقال وجابوني هنا عشان أشوفك.

ضحك رشدي عاليًا حتى ظهرت نواجزه وقال:



- يا ابن العفاريت.. يعني أخدت الفلوس الميرى والبرشام، دول كانوا المفروض يصلبوك مش يعتقلوك بس.. طب يلّا اتعشى، خليها على اللّه بكره تُفرج.. ونادي على رفقاء زنزانته.. شوفوا لمينا سرير ينام عليه.. بسرعة بدأ الرفاق يعدون مكانًا لضيفهم الجديد.

نظر مينا إلى رشدي وإلى جميع مَن في الزنزانة قائلًا:

- هو ممنوع الحِلاقة هنا يا معلمي ولّا إيه؟

- ليه؟

- أومال إيه الدقون اللي كلكم ضاربينها دي!

ضحك رشدي قائلًا:

- الوحيد اللي مسموح له يحلق هنا هو انت وعلي القرد.

****



ما قاله مينا عن تمرد "دعبس" وفرض سطوته على المنطقة منفردًا أوغر صدر رشدي وأشعل في صدره الرغبة الملِحّة في مبارحة ذلك المعتقل سريعًا.. ولكن كيف السبيل إلى الخروج وقد بات ذلك مرهونًا بمشيئة الضابط أحمد الطرابيشي الذي علَّق الأمر على حصوله على معلومات تُرضي مأربه في النيل من أولئك المشايخ ومعاونيهم.. وهو حتى الآن لم يستطع أن يقف لهم على نشاط عنيف يستحق الرصد.

****

في الجلسة المحددة بعد صلاة الجمعة في مسجد السجن آثر رشدي أن يجلس منذ بدايتها إلى جوار الشيخ أبي مصعب المصري مستغلًا أن الأخير قد كُلف من قبل الشيخ فضل بتفسير سورة التوبة ففتح المصحف على سورة التوبة وألح على الشيخ أبي مصعب في أن يبدأ في تفسير السورة. وبعد الصلاة مباشرة انتخبا مكانًا قصيًا بالمسجد وأخذ أبو مصعب يُفسر الآيات بهمة واضحة، ابتدأها بأن سورة التوبة لم تبدأ كباقي سور القرآن بالبسملة لأن الله اختصها كآخر سورة أنزلت في القرآن لتزيل وتنسخ كافة آيات الرحمة والتعايش السِّلمي مع الكفار وأهل الكتاب. وبشغفٍ واضحٍ كان رشدي يتلقى الشرح والتفسير مُلِحًّا في السؤال عن كل شاردة أو واردة فيما يقوله أبو مصعب. مما حدا بالأخير إلى العروج على تفسير بعض الآيات الأخرى ذات الصلة بتكفير أهل الكتاب من اليهود والنصارى وفساد مِلَّتِهم ووجوب قتلِهم كافة لمساهمتهم جميعًا في الحرب على الإسلام، وأن السبيل الوحيد لتركهم يعيشون في سلامٍ في دار



الإسلام هو دفعهم الجزية وهم صاغرون بمعنى "أذلاء" وأنه لا سبيل في ذلك إلا بتطبيق شرع اللّه في الحكم إذ الحكم يجب أن يكون للّه، وأن حكم البشر للبشر هو نوعٌ من الاعتداء على سُلطان اللّه في الأرض وهو الكفر بعينه وأن المجتمع الآن يعيش في حالة جاهلية أظلم من الجاهلية الأولى قبل الإسلام وأن كل ما حولنا جاهلية وشرك، فتصورات الناس اليوم وعقائدهم وعاداتهم وفنونهم وآدابهم وشرائعهم وقوانينهم هي من صنع الجاهلية الكافرة، وأنه لا سبيل للخلاص إلا بإعادة "البعث" الإسلامي من جديد وإعادة "إنشاء" هذا الدين على يد "صفوة" من المخلصين الذين يعتقدون "العقيدة الصحيحة" ليكوّنوا فيما بينهم "تنظيمًا" عضويًا مؤمنًا يكون قادرًا على التفاعل مع الجاهلية من حوله ليعيد منهج الإسلام بالاستعلاء على تلك الجاهلية والعُزلة الشعورية وتكوين "النواة" المجتمعية القادرة بالجهاد على إعادة نشر منهج الإسلام من "جديد".



أنهى الشيخ أبو مصعب حديثه وأغلق المصحف، ثم قال:

نحمده سبحانه وتعالى أن هدانا إلى العقيدة الصحيحة وأن جعلنا من زمرة المجاهدين لإعادة بعث الإسلام الصحيح من جديد وقرأ سورة العصر بصوت مرتفع، وصافح رشدي وانصرف.

بقي رشدي جالسًا صامتًا مصدومًا.. ظلت كلمات أبي مصعب تدور في رأسه لتتصادم بعنفٍ مع ما طُبع فيها من أفكار أو عادات أو تقاليد..

عاد رشدي إلى زنزانته بخطواتٍ ثقيلةٍ وكأنه يحمل على عاتقه أثقالًا.. جلس في زاويته كالعادة.. ولم يتحدث إلى أحدٍ.. بل لم يرد على أيٍّ من زملائه..

أمسك بعض أجزاء الكتاب الذي أهداه إليه الشيخ فضل وأخذ يقلب صفحاته بحثًا عن إجابة لأسئلة عديدة قفزت إلى رأسه بعد هذه الجلسة المطوله مع ذلك الشيخ المكنى بأبي مصعب.



هل يمكن لسورةٍ واحِدةٍ في القرآن تحث على قتل الكفار أن تلغي عشرات الآيات التي تدعو إلى التسامح والعفو والرحمة؟

• هل نحن نعيش فعلًا في جاهلية؟ وما هي تلك الجاهلية؟

• هل الحاكم كافر ومن يطيعونه كفارًا؟

• وهل أهل الكتاب كفار؟ ولا ديّة على قاتلهم؟ ولا وضوء لمن لامسهم؟

• وهل نحن في حالة حرب تستهدف الدين الإسلامي؟ وأن ذلك يستوجب قتل كل الكفار سواء أكانوا ملحدين أو من أهل الكتاب أو من المسلمين الذين يعيشون في هذه الجاهلية؟

• وهل ذلك القتل واجب شرعي؟

• وهل كل المسلمين لا يعتقدون الإسلام الصحيح إلا هؤلاء المشايخ من أمثال أبي مصعب ومَنْ على



شاكلته؟

أمضى رشدي ليلته ساهرًا يُقلِّب في صفحات الكتاب بكل أجزائه، لكنه لم يجد إجابة شافية تخرجه من هذه الدوامة الفكرية والنفسية التي ألقاه فيها ذلك المصعب، بل لعل ما وجده بذلك الكتاب قد يؤكِّد شطرًا كبيرًا من تلك السهام المسمومة التي أطلقها أبو مصعب دفعة واحدة.

****

اعتاد كمال أن يجتمع بجميع محاميّ مكتبه وموظفيه ظهر الخميس من كل أسبوع لعرض ما تم من أعمال في الأسبوع المنصرم وإعداد أعمال الأسبوع التالي وتوزيعها على المحامين وإصدار التعليمات والتكليفات والتوجيهات اللازمة لحسن سير العمل.

وبعد انتهاء عملية العرض وإصدار التعليمات كان يعقد دائرة نقاش حُرٍّ تدور حول موضوع مُحدَّدٍ سلفًا، كانت الموضوعات المطروحة للمناقشة في أغلب الأحوال هي موضوعات قانونية بهدف إثراء الفكر القانوني لدى



محامي المكتب ونقل الخبرات وإلقاء الضوء حول المسائل القانونية الدقيقة وكان محامو المكتب حريصين أبلغ الحرص على اغتنام هذه الفرصة للاستفادة من علم وخبرة الأستاذ.

أما نجوى فكانت الوحيدة من موظفي المكتب من غير القانونين التي تحرص على حضور تلك المناقشات وكانت حجتها الظاهرة أن الحديث عن القانون يستهويها وأن المعلومات والمصطلحات القانونية التي تدور بالمناقشات تفيدها جدًا في عملها المكتبى الخاص بالمراجعة اللغوية للمذكرات القانونية والأوراق القضائية إذ تُعينها تلك المعلومات على فَهم المعنى المستهدف في تلك المكاتبات المطلوب منها مراجعتها، كان هذا يزيد حظوتها لدى كمال وتقديره لجديتها في عملها.

أما السبب الخفي والحقيقي الذي كان يقود نجوى إلى المواظبة على حضور تلك المناقشات هو وجود الأستاذة/ علياء المحامية الجديدة التي قام كمال بإلحاقها بالمكتب في الفترة الأخيرة، دون أي مبرر



يدعو لذلك، من وجهة نظرها، كانت علياء تتمتع بقدرٍ هائلٍ من الجمال والأناقة فوق أنها تتمتع أيضًا بقدرٍ لا بأسَ به من اللباقة التي تؤهلها إلى جذب الأنظار إذا أبدت تعليقًا أو ناقشت الأستاذ في بعض الأمور المطروحة.. وقد كانت كثيرًا ما تفعل ذلك، وهي أُمورٌ من شأنها أن تثير غيرة الأنثى العاشقة داخل نجوى.

بدأ اجتماع الخميس كالعادة في الواحدة ظهرًا بحجرة الاجتماعات الفسيحة.

وبدأ كمال في شرح مُيسّر وموجز عن موضوع المناقشة لهذا الأسبوع وهو بطلان التفتيش في القانون المصري وبعد أن أنهى شرحه حول أحوال البطلان وأثره، فتح باب المناقشة فانطلق الأستاذ/ مصطفى عبد العال المحامي من فوره قائلًا:

- أنا عندي سؤال يا أستاذ موّترني جدًا.

ضحك كمال قائلًا:



- إنت على طول متوتر كده يا شيخ مصطفى قول يا مولانا إيه اللي موترك المرة دي؟

- ضحك باقي المحامين، فقد كان مصطفى شابًا ملتحيًا ملتزمًا لا تفوته صلاةٌ ولا يفارقه كتابُ اللّه – لا يكاد الرائي يراه إلا مصليًا أو منكبًا على تلاوة المصحف بينما أقرناؤه منكبون على كتب القانون وأوراق القضايا .

- هو يا أستاذ مش حرام إن احنا نستغل خطأ في الإجراءات ونخلي المجرمين يفلتوا من العقاب هو احنا مش بالطريقة دي بنعِين المجرمين ونعاونهم؟

- شوف يا مصطفى إنت فاكر أول لما جيت المكتب وسألتني هي المحاماة كمهنة حرام ولّا حلال أنا قولتلك إيه؟

- أيوه طبعًا يا أستاذ قولتلي المحاماة رسالة مش مهنة وإن رسالة المحاماة هي تحقيق العدالة بس أنا مش مقتنع يا أستاذ إزاي نحقق عدالة بدفاعنا عن

المجرمين؟ ونستغل ثغرات القانون ويبقى تاجر مخدرات أو قاتل ونطلّعه براءة عشان خطأ في الإجراءات! موتراني قوي الحكاية دي.

ابتسم كمال قائلًا:

- ماشي يا أستاذ متوتر.. إسمعني كويس وركز معايا، وعايزكم كلكم تركزوا معايا شويه.. إنتوا طبعًا عارفين إن ربنا عز وجل لما أمر القائمين على الحكم بين الناس أمرهم أن يحكموا بالعدل في قوله تعالى "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل". "صدق الله العظيم"

السؤال المطروح: إيه هو العدل؟ ثم وجَّه حديثه إلى نجوى قائلًا:

- إيه معنى كلمة العدل في اللغة يا أستاذة نجوى؟

ردت على الفور:

- العدل يعني المساواة.

- تمام.. يعني القاضى مطلوب منه تحقيق العدل بمعنى المساواة.. يعني المساواة بين الخصوم في الحقوق والواجبات والحكم بينهما وِفق قواعد ونصوص معلنة ومعروفة تُطبق على الخصوم بغير تمييز.

تعالوا بقى نشوف دور المحامي في منظومة تحقيق العدل.

إنتوا عارفين الخصومة الجنائية مين أطرافها.

ردَّ الأساتذة: النيابة طرف والمتهم الطرف الآخر.

- جميل.. يعني النيابة العامة كمؤسسة قضائية تملك الخبرة القانونية ولديها جهاتٌ مُعاوِنَةٌ أوَّلهم جهاز الشرطة والأدلة الجنائية والطب الشرعي. وكل الوسائل اللي ممكن تحتاجها في إقامة دليل الاتهام ضد المتهم.

النيابة بكل هذه الإمكانيات في إحدى كفَّتَيّ ميزان العدل.. وفي الكفة الأخرى يوضع المتهم وحيدًا أسيرًا

كسيرًا تحاصره الأدلة ولا يمتلك أي وسائل فنية أو قانونية أو غيرها لدفع هذا الاتهام أو تقديم أدلة النفي.

هل تستقيم هنا كفَّتَا الميزان؟ هل تتساوى كفَّة النيابة بجميع سُلطاتها المعاونة وخبرائها مع كفة المتهم؟

بالطبع لا.. أكيد كفة النيابة ستكون أرجح فتميل إحدى كفتي الميزان ولا تتحقق المساواة.. يعني لا يتحقق العدل.. ومن هنا قامت فكرة وجوب أن يستعين المتهم بمحامٍ يمتلك من الخبرة القانونية والفنية ما إن وضع مع المتهم في كفته لتساوت الكفتان واستقام الميزان. وتحقق العدل.

ثم تبدأ مهمة أخرى للمحامي هي تذكير القاضي بالقواعد القانونية التي تنطبق على الواقعة حتى يستقيم حكمه.

وعشان كده أنا دايمًا بأقول إن المحاماة رسالة لا يستقيم ميزان العدل إلا بها، بصرف النظر عما إذا



كان المتهم مذنبًا أم بريئًا. فليس من مهام المحامي أن يشهد على براءة المتهم..

ضحك كمال ناظرًا إلى الأستاذ/ مصطفى قائلًا:

- جايلك يا أستاذ متوتر من الحتة اللي تهمك.

تعرف تقولي مين أول محامي في التاريخ..

- لأ مش عارف..

- أقولك أنا: قال الله تعالى في سورة القصص على لسان موسى عليه السلام – بسم الله الرحمن الرحيم "قال رب إني قتلت منهم نفسًا فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح منِّي لسانًا فأرسله معي ردءًا يصدقني إنى أخاف أن يُكذِّبون". "صدق الله العظيم"

هارون عليه السلام هو أول محامٍ في التاريخ طلب موسى عليه السلام من الله عز وجل أن يوكله للدفاع عنه أمام فرعون؛ لأنه أرتكب جريمة قتل ويخشى أن يُنزل عليه فرعون عقوبة القتل وأن يقتص منه..



فلا أظن يا شيخ مصطفى أن هارون عليه السلام كانت مهمته أن يدافع عن جريمة القتل أو عن قاتل.. بل كانت مهمته أن يستعرض الظروف والملابسات التي أحاطت بالواقعة وتأكيد انتفاء نية القتل لدى نبي الله موسى. واستظهار حالة الدفاع الشرعي.. يعني يعمل اللي احنا بنعمله دلوقتي أمام المحكمة..

ومن ناحية تانية بالنسبة لموضوع استغلال الخطأ في الإجراءات لإعانة المجرم على الإفلات من العقوبة، حضرب لك مثل شرعي.. ربنا عز وجل وضع شروطًا لإقامة حد الزنا على الزاني والزانية وهي أن يشهد الجريمة أربعة شهود، اشترط الفقهاء فيهم صفة العدل.

لو فرضنا أن زوجًا رأى زوجته وهي تزني ورآها معه اثنان آخران، لو أنت قاضٍ هل تستطيع أن تُقيم الحد على هذه الزوجة مع تخلف نصاب الشهادة حتى ولو كنت تعلم أن الزوج صادق وأن المرأة زانية؟ لا طبعًا التزامك القواعد الإجرائية هنا أفلت الزوجة من إنزال العقوبة عليها ونجت الزانية بجريمتها.



وعايز كمان أذكرك بما ورد بالأثر من قصة عمر بن الخطاب حين كان يمر ليلًا بالمدينة فوجد ضوءًا وجلّبة ينبعثان من أحد المنازل فاسترق السمع ونظر من الباب فوجد عبدًا ومعه آخرون يشربون الخمر فصعد إلى سطح المنزل وهبط إليهم وقبض عليهم وأراد أن يقيم عليهم الحد.

فذكَّره أحدهم بأنه اخترق القواعد الإجرائية التي شرَّعَها الله عز وجل فقد تجسس رغم أن الله ينهى عن التجسس ودخل البيت تسلقًا على سطحه رغم أن الله أمر بدخول البيوت من أبوابها ودخل ولم يستأذن أهل البيت رغم أن الله أمر بعدم دخول بيوت الغير دون استئذان، ماذا فعل عمر؟ تركهم ولم يقم الحد!

ليه يا عم الشيخ مصطفى؟ السبب إن هناك بطلانًا في القبض والتفتيش أدَّى إلى تبرئة المتهمين..

عرفت إن القواعد الإجرائية والقانونية وضعت لحماية المجتمع بأسره حتى ولو أدت إلى إفلات بعض المجرمين من العقوبة.



عرفتوا يا أساتذة أنا ليه دايمًا أقول إن المحاماة جزء أصيل من رسالة العدل. لا يُستتَّب عدل بدونها.. دي المحاماة الحقيقية.. مالناش دعوه بالناس اللي ممكن تنحرف بالمحاماة وتتخذها أداة للإفتاءات على الحقوق أو وسيلة رخيصة لجمع المال الحرام لأن ده سلوك إجرامي حتى لو قام به محامي زي بالظبط الطبيب اللي بينحرف عن رسالة الطب ويتاجر في الأعضاء البشرية أو يجري عمليات مُحرَّمة. أو المهندس اللي بيغش في مواد البناء.. كل الصور دي صور إجرامية ليس لها علاقة لا بالمحاماة ولا بالطب ولا بالهندسة.

- اللّٰه عليك يا أستاذ، أنا كنت دايمًا أسمع من بابا اللّٰه يرحمه إن المحاماة رسالة. لكن أول مرة أعرف المعنى الحقيقي للجملة دي.. أكيد كلنا استفدنا جدًا النهارده رغم إن أغلب الحديث كان بعيد عن مواد القانون.

قالتها الأستاذة علياء المحامية بصوت أُنثوي مُؤثِّر جذب الأنظار وأثار حفيظة نجوى التي انطلقت في

محاولة ذكية منها لطمس أي تأثير لكلمة علياء وسد باب أي محاولة للحوار بينها وبين كمال فقالت:

- فعلًا رغم إن الموضوع ربما يكون بعيد عن القانون لكنه وثيق الصلة بالمحاماة لأنه بيرشد المحامي لدوره الحقيقي وهدف المهنة ورسالتها.. وأنا بالمناسبة دي عندي اقتراح...

قاطعها كمال بلطف:

- أنا بس قبل ما نسمع اقتراح الأستاذة نجوى، عايز أقول للي مايعرفش إن الأستاذة علياء أحمد بدوي المحامية زميلتنا الجديدة تبقى بنت المرحوم الأستاذ/ أحمد بدوي المحامي الكبير اللي اتمرَّنت في مكتبه في أول تخرجي واللي علمني وعلِّم غيري معنى رسالة المحاماة وإن أي نجاح أنا ممكن أكون حققته فـالفضل فيه يرجع لأستاذي الجليل الكبير أحمد بدوى رحمه الله.. فلنقرأ جميعًا الفاتحه ونهدي ثواب قراءتها لروحه الطاهرة.

صمت الجميع وبدأوا يتمتمون في قراءة الفاتحة.. على قدر ما أراحت هذه الكلمات نجوى إذ وقفت على سبب اهتمام كمال بعلياء وإلحاقها بالمكتب دون أن يكون العمل في حاجة إليها.. إنه الوفاء؛ الصفة التي رأتها تكلل باقي صفات كمال الحميدة.. إلا أن شعورًا جديدًا بالخوف بدأ يداخلها فقد يكون الوفاء هو المخلب الذي ستستخدمه علياء لإيقاع كمال في براثن أنوثتها الطاغية خاصةً وهي تشعر أنها معجبة به جدًا. أفاقت نجوى من شرودها على صوت كمال يقول:

- إيه اقتراحك يا نجوى؟

أسعدتها الكلمة، فهي المرة الأولى التي يخاطبها كمال أمام الناس باسمها مجردًا من لقب أستاذة.

- أقترح إن سيادتك تطرح علينا ولو كل شهر مرة موضوع غير قانوني للمناقشة.. أي موضوع سياسي – ديني– ثقافي– اجتماعي– أدبي، وأنا من خلال اللي اتعلمته من حضرتك مافيش موضوع ملهوش صلة بالمحاماة..

- فعلًا يا نجوى برافو عليكي أنا ما عنديش مانع لو وافق الجميع إيه رأيكم يا أساتذة؟

رحب الجميع بالفكرة وتحمسوا لها.

فطلب كمال من نجوى باعتبارها صاحبة الاقتراح أن تحدد هي موضوع المناقشة القادمة.

بغبطة وارتياح ابتسمت نجوى وقالت:

- ده شرف كبير ليا يا أستاذ كمال.. شكرًا.. سكتت برهة ثم قالت: إيه رأيكم يكون موضوع المناقشة القادم عن الإرهاب.. أو التطرف الديني، أنا شايفة إنه موضوع الساعة اليومين دول خصوصًا بعد الحوادث الإرهابية الأخيرة.

وافق كمال و الحاضرون على اختيار نجوى وتم تحديد موعد المناقشة الحرة الخميس الأول من كل شهر.

انصرفت نجوى بعد فضّ الاجتماع وهي في قمة السعادة، شعرت بأنها حققت انتصارًا على تلك العلياء ذات الشعر الذهبي واطمأنت من ناحية أخرى على أن اهتمام كمال بعلياء لا يخرج عن كونه نوعًا من أنواع الوفاء لأستاذه ومعلمه. استقلت سيارتها الجديدة الصغيرة التي ابتاعتها قريبًا بعد أن أصر كمال على سداد مقدم ثمنها وتقوم هي بسداد باقي الثمن على أقساط شهرية تستطيع أن توفره من راتبها الشهري والمكافآت الدورية التي كانت تحصل عليها من المكتب لقاء تميزها في عملها مثلها في ذلك مثل باقي العاملين بالمكتب، فالسيارة لم تكن باهظة الثمن والمبلغ الذي سدَّدَه كمال كمقدم لثمنها لم يكن كبيرًا. ولكنها كانت سعيدة رغم أنها لم تشعر أن كمال يميزها عن باقي أعضاء المكتب في شيء.. ربما في بعض الجلسات الخاصة القليلة التي كانت تنفرد فيها بكمال كان يسهب في عبارات الثناء عليها شكلًا وموضوعًا إلا أن تلك العبارات ظلت رغم طول هذه العلاقة التي اقتربت إلى العام تتخذ منطقة وسطى بين الغزل والإطراء.



فرغم أنه قد شغفها حبًا واستلب منها القلب والوجدان إلا أنه لم يصرح لها يومًا بأنه يبادلها حبًا بحب، ربما كانت تتلقف من كلمة منه هنا أو ابتسامة هناك أو نظرة إعجاب عابرة ما يؤدي تلميحًا إلى أنه يبادلها الشعور.. ولكن إلى متى سيظل قابعًا في مكانه لا يتقدم؟ ما الذي يمنعه؟ هل يحبها؟ أم أنها واهمة؟

وصلت نجوى إلى حيث مسكن كمال فقد كان موعدها الأسبوعي مع مازن، والحاجّة هاجر حيث يتناول ثلاثتهم طعام الغداء ثم تراجع لمازن دروس اللغة العربية، وأحيانًا كان كمال يشاركهم الطعام ويجلس معهم يتبادلون الأحاديث العائلية مما كان يشعرها بأنها فردٌ من العائلة أو هكذا كانت تتمنى.

لم يأتِ كمال فتناولت نجوى طعام الغداء مع الحاجّة هاجر ومازن ثم عكفت مع مازن في حجرته تراجع معه بعض دروسه، وما إن انتهت حتى خرجت لتجلس مع الحاجة هاجر بينما انشغل مازن باللهو بعيدًا. نظرت نجوى إلى ساعتها فوجدتها قد شارفت على الثامنة مساءً فاطمأنت على والدتها تليفونيًا.. ثم انتهزت



فرصة اختلائها بالحاجة هاجر وراحت تبادلها أطراف الحديث عن عمل كمال وكيف أنه يستغرق أغلب وقته وعن مدى حاجة مازن لتمضية وقتٍ أكثر مع والده سيما مع حرمانه من والدته. فقالت الحاجّة هاجر:

- فعلًا أنا صعبان عليّا مازن قوي، الولد يا روحي طول اليوم قاعد لوحده ومحدش بيراعيه وأنا كبرت ومش باقدر دلوقتي أراعيه زي الأول.

فسألتها نجوى بمكرٍ واضحٍ..

- هو ليه يا طنط ما تقنعيش الأستاذ إنه يرجع أم مازن تاني أهو الولد يتربى بين أبوه وأمه.

- ياه يا نجوى ده موضوع فات أوانه، دي سافرت تشتغل بره وبقالها أكثر من سنة ماجاتش مصر ويا دوب بتكلم الولد كل أسبوع مرة.. وكمان أنا سمعت إنها اتجوزت.

- سوري يا طنط مش تدخل منّي لكن هو ليه الأستاذ ما اتجوزش لغاية دلوقتي؟



ردت هاجر بألم واضح وحسرة:

- والله يا بنتى غُلبت معاه وجبت له مية عروسة لكن مافيش فايدة.. الظاهر إنه اتعقَّد من الجواز ما هو اللي شافه من أم مازن مش شويه.. استحمل تسلطها وغطرستها ونكدها كتير لغاية لما يا روح أمه طهق. واضطر يطلّقها. وهو تملّي يقولي يا ماما أنا مش عايز أجيب لمازن مرات أب تعقَّد الولد وهو مش ناقص.

تنهدت الأم قائلة: يلّا كل شيء قسمة نصيب.. لو نصيبه جه عمره ما حيقدر يقول لأ.

- فعلًا يا طنط الأستاذ عنده حق هو محتاج إنسانة تكون أم حقيقية لمازن قبل ما تكون زوجة.

أيقنت نجوى أن الطريق إلى قلب كمال لن يكون إلا عن طريق قلب مازن. وأخذت تفكر هل هي تصلح أمًا بديله لمازن؟

نعم هي تحبه وتهتم به فهو طفل وديع وطيع ومهذب، وكم تتمنى أن يكون لها ابنًا، ولكن يبقى السؤال هل



مازن يحبها كأم، أم يحترمها كمعلمة؟

انصرفت نجوى عائدة إلى منزلها ولم تستطع أن تمنع نفسها طوال الطريق من أن تغوص في أفكارها بحثًا عن كيفية الولوج إلى قلب مازن أو بالأحرى إلى قلب كمال.

****

ما إن فرغ رشدي من صلاة العصر في مسجد السجن حتى اختلى بالشيخ فضل ليبثه ويطرح عليه ما أرّق مضجعه وبلبل عليه أفكاره بعد حديث أبي مصعب الشائك حول سورة التوبة وبعض آيات القرآن.

لمح الشيخ فضل ذلك الاستنكار الذي كان يُغلف أسئلة رشدي حول حقيقة تكفير أهل الكتاب ووجوب قتلهم.

فبادره القول:

- هون على نفسك يا أخ رشدي مش للدرجة دي، ده الإسلام دين الرحمة والتسامح.. بس هو الأخ أبو



مصعب زودها شويه معاك وعلى فكرة هو معتنق شوية آراء متشددة بس مش لازم يفرضها على الناس بالشكل ده، لا حول ولا قوة إلا بالله..

كان المدعو/ طاهر الجميعي والشهير بـ "الأبتر" يجلس قريبًا منهما فدعاه الشيخ فضل للانضمام إليهما قائلًا له:

- شفت يا طاهر صاحبك عمل إيه في الراجل الطيب اللي لسه بنقول يا هادي معاه؟ سوّد له الدنيا وكفّر الناس كلها.

انضم الأبتر للجلسة بتجهمه المعتاد ولم ينطق سوى عبارة واحدة لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال رشدي:

- أنا معايا في العنبر واحد مسيحي مش عايز أقولكم الراجل ده مُخلص قد إيه وبيحبني إزاي لدرجة إنه سمّى ابنه الصُغير "رشدي" على إسمي.



وانا طول عمري باعامله زي أخويا..

وبدأ رشدي يقص عليهما ما كان من شأن مينا ومدى إخلاصه وعفة نفسه وكيف أنه عرَّض حياته للخطر بتعامله مع مهربي المخدرات والسلاح ورفض أن ينضوي تحت لواء هذا المارق المدعو دعبس الذي انقلب عليه بعد اعتقاله ثم قال:

- يعني معقول راجل زي ده، أتعامل معاه على إنه كافر ونجس وكمان يبقى فرض عليّا إني أقتله.. ده يرضي ربنا؟!

ردَّ عليه الشيخ فضل:

- أعوذ بالله.. تقتله؟ لا يا راجل مش للدرجة دي.. طالما الراجل عايش معانا بسلام لازم نتعايش معاه بسلام ونتعامل معاه بما يليق بخُلق المسلم.

- ريحت قلبي يا عم الشيخ.. أهو ده الكلام.. ربنا يعلم الواد مينا ده أنا بحبه زي أخويا بالضبط.



- برضو مش للدرجة دي يا أخ رشدي، نتعايش معاهم.. آه.. نزورهم ونعاودهم في المرض ونبارك لهم في الفرح.. آه.. لكن ما توصلش لدرجة الحب والأخُوة.. إزاي تحب عدو دينك؟ وإزاي تآخي كافر.. لأ لأ إنت تتعامل معاه بالحسنى وبالأصول وما تعاديهوش ولا تؤذيه طالما كان مُسالم معاك.. ده الدين الصحيح يا رشدي.

كان الأبتر يتابع حديث رشدي عن تعامل مينا مع المهربين بإنصات واهتمام شديدين.

- إنت معايا في الكلام ده ولا لك رأي تاني يا طاهر.

- طبعًا أكيد يا حاج كلامك صح وزين ده انت شيخنا. ثم استأذن في الانصراف بعد أن صافح رشدي يدًا بيدٍ لأول مرة وودّعه بابتسامة عريضة لم يرها منه رشدي قبلًا وربما لن يرها بعدًا.

استرعى انتباه رشدي ذلك التودد الذي راحا يوليانه له كلٌّ من أبي مصعب والأبتر في غدواته وروحاته من



وإلى المسجد وحرصهما على مجالسته وتجاذب أطراف الحديث معه بل ومحاولة أبو مصعب للتخفيف مِنْ وطأة حديثه الديني المتعصب السابق.. كان رشدي قد تعمَّد في حديثه عن مينا أمام الأبتر أن ينوه عن علاقاته وعلاقات مينا ببعض مهربي المخدرات والسلاح من بدو الصحراء الغربية ذاكرًا في معرض كلامه بعض الأسماء الشهيرة في عالم التهريب تنفيذًا لتوجيهات الضابط أحمد الطرابيشي. ويبدو أنَّ كليهما قد ابتلع الطُعم، وهاهما يحاولان التقرب والتودد إليه. حتى كان ذلك اليوم الذي سرت فيه بهجة غير عادية بين هؤلاء المعتقلين السياسيين كانت من مظاهرها ذلك الهتاف الجماعي: "الله أكبر ولله الحمد". هرع رشدي إلى المسجد استطلاعًا للأمر فزفوا إليه نبأ الإفراج عن الشيخ فضل.

هنأ الجميع شيخهم بقرار إخلاء سبيله سيما وأن صحته في الأيام الأخيرة لم تكن على ما يرام.. بعد أداء صلاة الظهر وراء الشيخ صلوا جميعًا ركعتي شكر



لله عز وجل واصطفوا أمام الشيخ ليودعوه فردًا فردًا بتقبيل كتفيه ويده، حتى رشدي فعل ما فعلوه.

إلا أنه فوجئ بالشَّيخ فضل يُربت على يده ويهمس في أذنه:

- أنا عارف يا رشدي إنك إسكندراني جدع وصاحب صاحبك وعمرك ما كنت خاين أو عميل وعشان كده إخوانك هنا بيحبوك وبيتطمنولك ويثقوا فيك ولو احتجت أي حاجة اطلبها منهم وانت متطمن، ولو هُمَّا احتاجوا مساعدتك ساعدهم، الناس دول كلهم وهبوا نفسهم لنصرة الدين وباعوا الدنيا واشتروا الآخرة.

- اطمئن يا مولانا أنا مش حانسى فضلك عليّا.. إنت اللي نورتلي طريقى أثابك الله عني وعنا جميعًا.

انصرف الشيخ فضل حاملًا حقيبته إلى خارج المعتقل وانصرف المودعون كل إلى زنزانته وبقي رشدي ومعه أبو مصعب والأبتر لينتحيا به جانبًا من المسجد وكلٌّ في يده مصحف يفتحه ويصطنع القراءة فيه، إلا أن



الحديث بينهم كان له شأنٌ آخر بدأه الأبتر بتوجيه سؤاله المباشر إلى رشدي.

- هو صاحبك القبطي ده انت واثق فيه قوي يا رشدي؟

- طبعًا ده زي أخويا -ثم استدرك – بلاش أخويا دي.. باثق فيه جدًا.

- يعني لو كلّفته بأي حاجة يعملها؟ ولا مُمكن يقِل أو يخون أو ولعياذ بالله يجندوه إخوانّا البُعدا بتوع أمن الدولة؟

- لا من الناحية دي أضمنه برقبتي.. لكن ليه كل الأسئلة دي يا شيخ طاهر؟

سكت الأبتر والتقط أبو مصعب طرف الحديث مخاطبًا رشدي.

- شوف يا أخ رشدي إحنا ربنا يعلم إننا بنتعامل معاك كواحد مننا بعد التزامك وظهور فطرتك السليمة

وحبك لدين اللّٰه وحرصك على التفقه في الدين، وما شاء اللّٰه ربنا فتح عليك واستوعبت بسرعة أحكام شرع اللّٰه عز وجل.. وده اللي شجّعنا إن احنا نفتح معاك الموضوع اللي حانكلمك فيه.. سكت برهة وجال ببصره في أرجاء المكان ثم استطرد:

- إنت طبعًا شايف أبناء القردة والخنازير أعداء اللّٰه اليهود عاملين إيه في إخوانّا المسلمين المجاهدين العُزَّل في غزة، وكل شويه يدخلوا يدنّسوا المسجد الأقصى وعمّالين يُحفروا تحته علشان يهدوه ويبنوا مكانه هيكل سليمان زي ما بيقولوا. وطبعًا الحُكّام العرب الكفره ساكتين ومحدش فيهم بيحاول يوقفهم عند حدهم. من بعد ما الكافر الملحد اللي زمانه دلوقتي في جهنم وبئس المصير ما عمل معاهم معاهدة السلام، والكافر اللي بعده ماشي في نفس السكة وعامل خده مداس لأمريكا وإسرائيل وسايبهم طايحين مش لاقيين حد يصدهم.. وعمال يسلح في الجيش والشرطة ويصرف عليهم فلوس الناس الغلابة عشان يحاربونا احنا ويطاردوا كل واحد مسلم بيغير



على دينه وبيقول حي على الجهاد.. كل المعتقلين اللي انت شايفهم دول اعتقلهم الكافر فرعون مصر وجنوده علشان عايزين يروحوا فلسطين يدافعوا عن الأقصى. وعايزين يطبقوا شرع الله في بلدهم اللي المفروض إنها بلد إسلامية، وهي مافيهاش من الإسلام إلا الإسم.. سايب الحرامية يسرقوا البلد وسايب الفسقة والكفرة يتحكموا فيها، وبيعتقل ويقتل أي مسلم عايز يطبق الإسلام.. والله يا أخ رشدي لو سابونا نروح القدس بعون الله حانحرر المسجد الأقصى من إيدين اليهود الكفرة في يومين، بس تقول إيه لحاكم كافر فاجر.. الأقصى يا رشدي بيروح.. بيضيع، الأقصى يا رشدي.. عارف يعني إيه الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين.

قال هذا وصوته يتهدج ثم أجهش بالبكاء.

فقال الأبتر:

- لبيك يا أقصى.. والله لا نكون مسلمين ولا مؤمنين وقد تركنا الجهاد وقعدنا مع القاعدين. فرض عين على



كل مسلم أن يجاهد في سبيل تحرير الأقصى من دنس اليهود الكافرين.. "ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب" "صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم"

انفعل رشدي بحديثهما عن القدس المسلوب وهاجت في نفسه حمية الثأر ونزعة الجهاد فانطلق يقول:

- والله لو سابونا عليهم لنقطعهم حتت الكفرة ولاد الكلب.. دا احنا مش شوية، لكن حانعمل إيه واحنا محبوسين ومش عارفين نتصرف.. إيه الحل؟

- الحل في الجهاد بالنفس أو المال أو بالسلاح يا أخ رشدي.

قالها أبو مصعب وهو يكفكف دموعه.

- أنا معاكوا بس إيه المطلوب منِّي؟

- أهلنا المجاهدين في غزة محاصرين، إسرائيل من ناحية ومصر من الناحية التانية، والكافر اللي بيحكم مصر قافل عليهم المعابر ومانع عنهم كل حاجة لا



سلاح ولا متطوعين، حتى المواد الغذائية والميَّه والبنزين مانعهم عنهم وعشان كده مش عارفين يصدوا اعتداءات اليهود على المسجد الأقصى..

لكن إحنا بعون الله بنعرف نتصرف وبنبعت لهم اللي نقدر عليه، مواد غذائية وبنزبن وشوية أسلحة خفيفة واللى يقدر يروح يتطوع من اخوانا بنحاول نوصله عن طريق مجموعة أنفاق حفرها إخوانّا تحت الأرض بتوصل من مصر لغزة والعكس.. طبعًا الموضوع صعب لكن أهي نواية تسند.

- جزاكم الله خير. طيب أنا عايز أشارك معاكوا أقدر أعمل إيه؟

- تقدر تعمل كتير يا أخ رشدي وعشان كده احنا بنتكلم معاك.. صاحبك النصراني ده إسمه إيه؟

- مينا جرجس!

- أيوه.. إنت مش بتقول إنه يعرف البدو اللي بيهربوا السلاح من ليبيا وانه بيتعامل معاهم؟



- آه بس في المخدرات مش في السلاح.

- ما هو اللي بيهرب مخدرات يهرب سلاح.. إحنا عاوزينه يساعدنا في تهريب شوية أسلحة موجودة مع إخوانا في ليبيا ومش عارفين ندخَّلْها مصر عشان نوديها غزة.. أصل بتوع أمن الدولة مجندين كل المهربين وأي حاجة بنتفق معاهم إنهم يهربوها لنا، بيبلغوا عنها أمن الدولة في مقابل إنهم يسيبوهم يشتغلوا لحسابهم في المخدرات وغيرها.

لكن لما يتفق معاهم واحد نصراني هُمَّا اتعاملوا معاه في المخدرات قبل كده مش حيشكوا أبدًا إن الحاجة تخصنا وطبعًا مش حايبلغوا على الحاجة اللي جاية.. فهمت؟

- أيوه طبعًا فهمت إنتوا عايزين مينا يساعدكوا في إنكوا تجيبوا السلاح من ليبيا عشان توصلوه عن طريق الأنفاق لغزة.. صح؟

- تمام.

- بس اللي أنا مش فاهمه، إزاي نستعين بكافر ونطلب منه إنه يساعدنا في جهادنا ضد الكفار؟

- لأ طبعًا فيه فرق بين النصراني واليهودي. قال سبحانه وتعالى:

"لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا"

"ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى"

"صدق الله العظيم"

زى ما الإيمان ما هو درجات يا أخ رشدي الكفر برضو درجات.

وبعدين مافيش ما يمنع شرعًا الاستعانة في الحرب بكافر لو كان حايفيد في تحقيق الهدف. لكن احنا مش عايزينك تقوله إن السلاح ده لحسابنا واتصرف انت معاه بطريقتك وقول له إنه لحسابك انت.. عشان



تضمن إنه ينفذ معاك بإخلاص.. ده لو انت حابب تساعد إخوانك المجاهدين في غزة في حربهم المقدسة يا شيخ رشدي.

قُلت إيه؟

- قُلت لا إله إلا الله.. بس إنتوا ناسيين حاجة صُغيرة.

- إيه هي؟

- إنه معتقل ومش ممكن يطلع دلوقتي وأكيد اعتقاله حايطول بعد اللي عمله مع ظابط المخدرات.

- كل ده ما تنعاش همّه. إفتح انت معاه الموضوع ولو وافق حانحاول نتصرف في حكاية الإفراج دى. سلمها لله.

- ونعم بالله.. حاضر أنا حادردش معاه كده وان شاء الله مقضية.



جلس رشدي في ركن زنزانته شريدًا حائرًا تتنازعه المشاعر والأفكار.. أيتمم الخطة التي بدأها ويُفشي الأمر برمته إلى العميد أحمد الطرابيشي فيظفر بالحرية التي اشتاق إليها ويتخلص من براثن هذا الحبس الجائر موردًا هؤلاء المجاهدين موارد الخسران والتهلكة ويبوء وحده بوزر عظيم، ليس في ترك الجهاد فحسب بل بإعاقته والحيلولة دونه.. يا له من إثم عظيمٍ.

****

الإسكندرية في فصل الشتاء تحسبها مدينة أخرى عن تلك التي تراها في فصل الصيف.. شتاء الإسكندرية شتاءٌ مميز يكشف عن الوجه الحقيقي الساطع لتلك المدينة التليدة العريقة فهو ينفض عنها غبار الصيف ويغسل وجهها المشرق ليزيل تلك اللزوجة التي خلّفها الصيف بحرارته وزحامه وفوضويته.

ذهبت نجوى بعد أن أنهت عملها الصباحي بالمكتب كالمعتاد لتحتسي فنجانًا من الشاي الأخضر الممزوج



بأوراق النعناع الطازج مع قطعة من حلوى السويسرول التي يشتهر بها حلواني تيريانون العتيق بمحطة الرمل انتظارًا لوصول كمال كالمعتاد بعد إنهاء عمله بالمحكمة.

جلست على الطاولة التي تواجه ميدان سعد زغلول بحديقته الفسيحة التي يتوسطها تمثال الزعيم سعد زغلول، تلك التحفة الفنية التي أبدعها النحّات المصري العالمي محمود مختار ووضِّع – في احتفال ملكي - على منصته العالية بعد وفاة الزعيم في منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي موليًا ظهره للمدينة ميممًا وجهه إلى البحر ومن أمامه تجثو قلعة قايتباي التي بناها السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي على حطام فنار الإسكندرية القديم في نهاية جزيرة فاروس منذ ما يدنو من ستمائة عامٍ.

من خلال النافذة الزجاجية المغسوله لتوّها من مياه الأمطار جالت عينا نجوى سابحةً في ذلك المزيج التاريخي المذهل والذي يندر أن يتكرر في مدينة أخرى، لم يعكر جلاء ذلك المشهد وانسجامه سوى



تجمع كبير لبعض الفتيات على أطراف الحديقة الفسيحة يحطنها متراصات يحملن بعض اللافتات.

راحت نجوى تلتقط بنظرها بعض العبارات المدونة على اللافتات التي ترفعها الفتيات بلا اكتراث وهي ترتشف مشروبها، فقد اعتاد الناس على تلك التجمعات والاعتصامات والوقفات الاحتجاجية التي انتشرت في أرجاء البلاد في الآونة الأخيرة..

اللافتات متشابهات تشابهًا دالًا على وحدة مصدرها رغم الاختلاف الواضح لانتماءات الفتيات اللاتي ترفعنها، فبعضهن محجبات ذلك الحجاب العصري الذي يبرز المفاتن أكثر مما يستر، وبعضهن كاشفات الشعر، وبعضهن متشحات بسواد النقاب، وأكثرهن محجبات بما يطلقن عليه الحجاب الشرعي وهو زِي فضفاض لا يبرز مفاتن المرأة وغطاء للرأس ينسدل حتى يغطي الصدر.. أما اللافتات فهي زرقاء اللون عليها عبارات مكررة بلون أصفر مثل "انقذوا الأقصى" "فلسطين تحترق يا حكام العرب" "الحرية للمعتقلين" "الحرية لأحمد دومة".

أعادت نجوى بصرها سريعًا لتصوبه نحو فتاة محجبة ترفع لافتة "الحرية لأحمد دومة".. إنها هي.. نعم هي شيماء.

أسرعت نجوى بالخروج وعبرت الطريق لتصل إلى شيماء متهلّلة الوجه منفرجة الأسارير، كم اشتاقت إليها..

"شيماء حبيبتي".. قالتها وقد فتحت ذراعيها لتحتويها اشتياقًا فتقدمت إليها شيماء باسمة الثغر دون أن تحاول إنزال ذراعيها اللتين ترفعان اللافتة ومدت عنقها لتطبع قبلتين خفيفتين على وجنتي نجوى تاركة جسدها بين يديها الممتدة إليها.

- وحشتيني يا نجوى جدًا عامله إيه يا حبيبتي؟

- وحشتك! بأمارة إيه؟ أنا بقالي أكتر من خمس شهور بحاول أتصل بيكي يا إما ما بترديش يا إما خارج الخدمة هو فيه إيه يا بنتي؟ إنتي نستيني خلاص! هو



ماكانش عيش وملح!.. أنا ماكنتش عايزة غير إني أتطمن عليكي بس.

- والله يا نجوى إنتي وحشاني أكتر بس الموبايل بتاعي ضاع وعليه كل الأرقام وجبت خط جديد وبعدين انشغلت في الكلية والمذاكرة وكده.. معلش سامحيني.

- الله يسامحك، لكن إيه اللي موقفك هنا؟ وإيه اللي إنتي شايلاه ده؟ ومين دومة ده؟ إيه الحكاية؟

- معلش يا نجوى فاضل عشر دقايق والوقفة تخلص وأقابلك وأقولك كل حاجة.

- طب خلاص أنا قاعدة في الوش هنا في تريانون حاستناكي.

- إن شاء الله.

- أوك.



فور انتهاء نجوى من احتساء فنجانٍ من القهوة وصلت شيماء فاستقبلتها نجوى ببشاشتها المعهودة وأجلستها إلى جوارها وبشغف سألتها عن أحوالها وحياتها الجديدة وكيف تسير، فأجابتها شيماء بإيجاز ملحوظ لم يشف فضول نجوى ورغبتها في الوقوف على أحوالها. فقالت ضاحكة:

- مالك يا بنتي إنتي بتكلميني بالقطّارة ليه؟ الله يرحم زمان كنتي بتلوكّي عليّا لما توجعي لي دماغي، المهم إنتي ماشية كويس في الدراسة واندمجتي في جو الجامعة زي زمان، ولا فيه أي مشاكل صادفتك؟ إحكيلي عايزة أتطمن عليكي؟ ده أنا بقالي أكتر من خمس شهور ماقعدتنش معاكي يا ندلة.

- لا والله يا نجوى ماتظلمنيش غصب عني والله يا حبيبتي، إنتي عارفة غلاوتك عندي ده إنتي أكتر من اختي وأنا مش ممكن أنسى أفضالك عليّا، إنتي الوحيدة اللي وقفتي جنبي ولولاكى ماكنتش رجعت الجامعة تاني.



- ما فيش فضل بين الاخوات يا شيماء إنتي طول عمرك قلبك أبيض وتستاهلي كل خير. لكن قوليلي إيه اللي إنتي عاملاه ده؟ ومين الناس دول؟ ومن إمتى يا شيماء وانتي بتهتمي بالسياسة؟! ومين أحمد دومة اللي إنتي رافعه إسمه ده؟

- مش سياسة يا نجوى، هو انتي مش عايشة في البلد ولا إيه؟

- أكيد عايشة في البلد، أهي زي ما هي، هو إيه اللي بيتغير!

- الظلم زاد والاستبداد زاد والفقر زاد والسرقة زادت والكفر زاد والناس متبهدلة والحكومة منبطحة واليهود عاملين ما بدالهم وما حدش قادر يصدّهم. واللي يتكلم يُعتقل ويتعذب ويروح ورا الشمس.. إنتي عارفة مين أحمد دومة؟.. ده شاب صُغير لسه طالب في كلية حقوق طنطا، شاف الاعتداءات الوحشية اللي بتتعمل في إخوانا وولادنا العُزل في غزة من اليهود - ربنا يخسف بيهم الأرض – فالولد انفعل وخَدْ بعضه

وسافر لغاية العريش وحاول يدخل غزة عشان يتطوع مع إخوانّا في حماس، لكن تقولي إيه في حكومتنا! بدل ما تساعد الشباب على التطوع لمقاومة اليهود الكفرة، قبضوا على الولد المسكين وبعد ما عذّبوه حولّوه للمحكمة العسكرية وحكموا عليه بسنة سجن بتهمة محاولة التسلل لغزة.. يعني سجنوه وضيعوا مستقبله وأكيد الكلية حاتفصله كل ده عشان عايز يدافع عن الإسلام والمسلمين.. شُفتي كده ظلم؟ ولا شُفتي حكومة بالشكل ده!.. ومش عايزاني أقف عشر دقايق أرفع لافتة تطالب بحريته!.. ده أقل حاجة تتعمل يا شيماء في موقف زي ده.

- ياه إنتي اتغيرتي كتير يا شيماء. بس إيه السر في التغيير ده؟ ده إنتي عمرك ماكنتي بتهتمي بالحاجات دي!

- لأني قبل كده يا نجوى كنت بعيدة عن ربنا، ولما قربت له سبحانه وتعالى عرفت ديني، المسلم لا يصح إسلامه إلا لما يبقى إيجابي في كل حاجة، في علاقته بربه وبدينه وبنفسه وبمجتمعه وبالناس المحيطة به،



السلبية آفة المجتمع يا نجوى، ربنا يكفينا شر السلبية. ربنا بيقول "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر". (صدق الله العظيم)

– ما شاء الله يا شيماء إنتي بتفكريني بالأستاذ/ مصطفى متولى، بيتكلم زيك كده بالضبط.

- مين مصطفى متولى؟

- ده محامي شاب معانا في المكتب ملتحي من الجماعة السلفيين.

- السلفيين متشددين قوي.. إحنا مش كده.

- إنتوا! إنتو مين؟

- أقصد الإخوان المسلمين.

- هو انتي انضميتي لجماعة الإخوان المسلمين يا شيماء؟



- لا ما انضمتش ولا حاجة لكن باقعد معاهم وأحضر ندواتهم وباتعرف لسه عليهم.

- وإيه رأيك فيهم؟

- واضح إنهم ناس مُعتدلين وفاهمين دينهم كويس، ورغم إنهم مُضطهَدين ومظلومين من كل الحكام اللي حكموا مصر لكن عمرهم ما فكروا في العنف ولا حرَّضوا على العنف، بالعكس هُمّا ماشيين على نهج القرآن "وادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة". لكن اللي مخلِّي السُّلطة تصطدم بيهم إنهم بيقولوا كلمة حق في وجه سلطان جائر.

- واضح إنك معتنقة أفكارهم ومقتنعة بيهم يا شيماء.

- أفكارهم هي الإسلام الصحيح بعيد عن الفتنة ومشايخ السلطان.

أنا اتكلمت كتير. ثم قالت ضاحكة:

أديني رجعت لكَّاكة زي زمان، لكن قوليلي إنتي أخبارك إيه؟ وعامله إيه في الشغل؟ وإزاي مامتك صحتها عامله إيه دلوقتي؟

- لسه باشتغل عند الأستاذ كمال وسبت شغلى في شركة المقاولات إياها، وماما والله حالتها عماله تسوء وبتحتاج غسيل كلى مرتين في الأسبوع ومحتاجة عملية زرع.. وأنا كنت عايزة أتبرع لها بكليتي بس بعد التحاليل الدكاترة قالوا مش حاتنفع، وأدينا بندوَّر على متطوع.

- كويس إنك قولتيلي، أنا أعرف دكتور كويس جدًا هو أستاذ في كلية الطب وعنده مركز للكلى في منطقة جنب باكوس اسمها شوتس وراجل يعرف ربنا كويس وعنده متطوعين، أنا حاكلمه وحاخد لك منه ميعاد ونروح له سوا.

- بجد يا ريت يا شيماء ده أنا دُخت بيها من مصر للمنصورة لإسكندرية مافيش فايدة.

- لا ماتدوّريش الراجل ده بيعمل كل ده لله، وربنا مسخَّره لخدمة الناس وجاعله سبب لشفاهم لأنه راجل مبروك.

آه بالحق إديني نمرة موبايلك علشان ضاعت منّي وخدي رقمي الجديد عشان نرتب مع بعض.

بعد تبادلهما أرقام الهواتف بدأت شيماء تستعد للمغادرة. بأن أمسكت بحقيبة يدها ووضعت فيها هاتفها.. وقالت لنجوى:

- معلش يا نجوى أنا مضطرة أمشي دلوقتي، عندي اجتماع أُسرة لازم أحضره.. حارتبلك معاد مع الدكتور/ محمود إن شاء الله عشان يشوف مامتك وحاتصل بيكي، نهضت واقفة قائلة:

- السلام عليكم ورحمة الله.

- آجي أوصلك؟ عربيتي قُريبة من هنا.



- لا يا حبيبتى شكرًا أنا معايا عربية لسه شارياها وأهو بحاول أتعلم السواقة.. وراكنه قُريب قُدام ديليس. سلامُ عليكم.

- وعليكم السلام.

انصرفت شيماء تاركة نجوى بعد أن أغرقتها تفكيرًا فيما وصلت إليه أحوالها المتقلبة وأفكارها المتحولة سريعًا من الأدنى إلى الأقصى دون تريث أو محاولة للبقاء في منطقة وسطى. وتذكرت رأي كمال فيها إذ قال عنها وبعد أول لقاء أنها شخصية جانحة بطبيعتها ليس للوسطية مكانٌ في تفكيرها، وقد تنبّأ بأنها سرعان ما ستُلقي بنفسها في براثن الأفكار الدينية المتطرفة.

- إيه يا أستاذة سرحانه في إيه؟

- أهلًا يا استاذ كمال حمد الله على السلامة.

جلس كمال فأسرع إليه النادل قائلًا:

- قهوتك جاية حالًا يا كمال بك.. أي أوامر تانية؟

- لا شكرًا يا فتحي.. بس شوف الأستاذة تشرب إيه؟

- لا أنا أخذت الشاي بتاعي وشربت كمان فنجان قهوة.. خلاص شكرًا يا عم فتحي.

- مالك يا نجوى سرحانة في إيه؟ ومين كان قاعد معاكي؟ أنا شايف فتحي وأنا داخل بيشيل فنجانين من على الترابيزة.

- تخيل شُفت مين؟

- مين؟

- شيماء، فاكرها.

- آه طبعًا.

أعادت نجوى على مسامع كمال الحديث الذي دار بينها وبين شيماء.



ضحك كمال ولم يُعلق.

- تصور إنها فاكرة إن الإخوان ناس طيبين ومسالمين وإن الدولة بتحاربهم لأنها بتحارب الإسلام لأنها دولة كافرة.

- هُمّا ناس فعلًا طيبين، اللي زي شيماء والشباب اللي معاها.. طيبين ومصدقين قيادات الإخوان.

- هُمّا الإخوان المسلمين دول جمعية خيرية ولا جماعه دينية ولا حزب سياسى – إيه حكايتهم بالضبط؟

- هُمّا كل دول وكل حاجة زي ما قال حسن البنا مؤسس الجماعة، هي دعوة سلفية وطريقة سُنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة ثقافية وشركة اقتصادية.

- وانت رأيك إيه فيهم؟ أنا شايفه إنهم بدأوا يسيطروا على الرأي العام وعندهم القدرة على تحريك الناس في الاتجاه اللي هُمَّا عاوزينه..



- أنا الحقيقة شايف إن فيه علاقة وطيدة بين جماعة الإخوان المسلمين وبين الجماعات الماسونية يا إما الجماعة فرع من فروع الماسونية في مصر يا إما يكون مؤسِّسها حسن البنا تأثر جدًا بالفكر الماسوني وطريقة العمل والهدف.

- إزاي؟ أنا أعرف إن الماسونية دي جماعة بتدعو للإلحاد، والإخوان جماعة دينية إسلامية بتحارب الكفر والإلحاد.. يبقى إزاي لهم علاقة ببعض.

- لا المسألة مالهاش دعوة بالكُفْر، الماسونية دي كلمة تعني "البنّاءون" وهي جمعية أصلها ديني وماكانتش بتقبل بين أعضاءها أي كافر، وهي في الظاهر جماعة أخوية يعني كل أعضائها "إخوة" وبتتكون من جمعيات عنقودية مقرها الرئيسي في لندن تدعو في ظاهرها إلى الخير والفضيلة والتآخي بين البشر لكن هدفهم الرئيسي هو السيطرة على العالم أو بتعبيرهم "أستاذية العالم".. ووسيلتهم في كده السيطرة على الإعلام والاقتصاد والتغلغل في المؤسسات الدينية، ولما تفحصي تاريخهم تلاقيهم لاعب أساسي في

معظم الثورات والانقلابات السياسية أو العسكرية ولهم يد في معظم التغييرات السياسية الخطيرة اللي حصلت في العالم.

وعشان كده حتلاقي كل المؤسسات الحكومية والدينية الرسمية بتُناصبهم العداء وتحاول القضاء عليهم وعلى الأخص المؤسسات الدينية المسيحية بسبب دعوتهم إلى التوحيد وإنكار ألوهية المسيح. وعشان كده بدأوا ينشروا أفكارهم عن طريق التستر ورا بعض الجمعيات الخيرية والملاحظ إنه في الفترة دي تم إنشاء تلات جمعيات على التوالي هي الروتاري واللوينز والإخوان المسلمين وكلهم – رغم إنكارهم – يتبعون بطريقة أو بأخرى الجمعية الماسونية الأم في لندن.

- طب إيه اللي خلاك تربط بين الإخوان والماسونية؟

- عدة مظاهر أولها المقارنة بين "البنا" "والبنائين" وهي معنى كلمة ماسونية زي ما قولتلك، وعلى فكرة اسم " البنا " أضيف على اسم حسن الساعاتي؛ لأن



البنا ده ماكانش اسمه في شهادة الميلاد وكمان بيطلقوا لفظ "أخ" على كل عضو من أعضاء الجماعة وده بالضبط المتبع عند الماسونية بالإضافة إلى اختيار حسن البنا لمصطلح "أستاذيه العالم" كهدف للجماعة وهو نفس المصطلح الخاص بالماسونية، وكمان أطلق على نفسه لقب أستاذ – مش لقب شيخ زي ما كان شايع في عصره.

وكمان الشعار ، شعار الماسونية الفرجار يعني البرجل الهندسي، مضافًا إليه أي كتاب ديني مقدس وده بيكون اختياري لكل جماعة من الجماعات الماسونية وهو ده تقريبًا شعار الإخوان بعد استبدال البَرجَل بالسيف.

أما إجراءات البيعة الخاصة؛ (لأن في جماعة الإخوان نوعين من البيعة واحدة عامة ودي اللي بيؤديها كل الأعضاء علنًا أمام المرشد العام. وهناك بيعة خاصة يؤديها بعض الأعضاء سرًا.. والبيعة الخاصة دي إجراءاتها هي بذاتها إجراءات البيعة الماسونية

الخاصة، حجرة مظلمة وترابيزة أرضية وسلاح وقَسم وهو نفس القَسم تقريبًا.

ده بالإضافة إلى الأناشيد والأغاني الخاصة اللي بيتم ترديدها في كل اجتماع للماسونية بنفس الطريقة اللي بتتعمل في جماعة الإخوان، بالإضافة إلى إن المقر الرئيسي والحماية المشتركة بينهم هي لندن وعشان كده أنا ربطت بين الماسونية والإخوان.

- والله كلام معقول.. ربنا يستر على البلد، اللي بيحصل اليومين دول مش مطمِّني..

- ولا أنا، الحل الوحيد اللي ممكن يهدِّي الناس ويبطل أي مؤامرة للسطو على الحكم هو إن مبارك يستقيل.. كفاية عليه كده وتُجرَى انتخابات رئاسية مُبكرة تكون حرة ويتم اتفاق القوى الوطنية على شخص وطني موثوق فيه يتم الالتفاف حوله لضمان وصوله للحكم لأن البديل حيكون شنيع ومخيف..

- أنا اللي جبته لنفسي..



- تقصدي إيه؟

- لا ولا حاجه.. أنا اللي فتحت الموضوع فالقعدة بقت كلها سياسة..

ضحك كمال ثم سأل نجوى:

- إيه أخبار مازن في المدرسة؟

- مش ولا بُد.

- إزاي؟

- انا رُحت له المدرسة امبارح وقابلت الأخصائية الاجتماعية وطلعت دُفعتي في الكلية بس قسم اجتماع وهى بنت كويسة جدًا وفاهمة شغلها وقالتلي إن مازن مش بيتجاوب مع زملائه بشكل جيد، وإنه بيفضّل الوحدة، ورغم إن مستواه الدراسي معقول واستيعابه جيد، لكن انطواؤه بقى زايد جدًا وكمان سلوكه مع زملائه بقى عدواني شويه، وده حاجة ماتطمنش.

- مسكين الولد الظروف ظلمته، مافيش أم وأنا مشغول وجدته كتَّر خيرها مش حاتقدر تقوم بدور الأم والأب وتعوضه الحرمان العاطفي اللي هو حاسس بيه.. أنا أول مرة أحس بالعجز عن حل مشكلة.. ومش أي مشكلة دي مشكلة أهم حاجة في حياتي.. إبني.. مش عارف أعمل إيه؟

- إن شاء اللّه مافيش مشكلة ولا حاجة مازن طفل ذكي جدًا ومؤدب جدًا ومستواه الدراسي جيد ودرجة استيعابه ممتازة، وفوق ده كله موهوب جدًا.. إنت ما شُفتش هو بيحب الرسم أدّ إيه، لدرجة إنه مرة قعَّدني قُدامه ساعة عشان يرسمني، وأنا شجعته جدًا وأخدت الورقة اللي رسمني فيها - بطريقته طبعًا - وعملتلْهَا برواز وحسسته أنا أدّ إيه فرحانة بيها.. وده شجعه إنه كل شويه يرسم لوحة ويفرَّجني عليها وعملنا مجموعة جميلة، بس هو خايف يوريهالك أحسن ما تعجبكش.. ما تقدرش تعرف أدّ إيه هو بيحبك وبيعتبرك مثله الأعلى.



- أنا عارف يا نجوى إنك بتتعبي معاه ومهتمة بيه جدًّا، وهو كمان بيحبك وبيرتاح معاكي جدًا. وأنا مش عارف أشكرك إزاي على كل اللي بتعمليه معاه.

- إوعى تقول كده يا أستاذ كمال، تشكرني على إيه أنا والله بحب مازن زي ما يكون ابني، والوقت اللي بقضيه معاه من أسعد وأحلى الأوقات اللي بتمر عليّا. سيبك من الكلام ده.. أنا فكرت في حل لمشكلة الانطواء والعدوانية دي.

- إزاى يا ترى؟

- مازن بيحب يلعب كرة قدم لكن بيلعبها لوحده على البلاي استيشن وأنا فكرت إن احنا نستغل الحكاية دي ونخليه يشترك في فريق كرة القدم في النادي ويتدرب مع أطفال من سنّه، وده حايخليه يتعود على التعامل مع أفراد الفريق ويتعاون ويكوّن صداقات معاهم، وكمان أنا طلبت منه – بعد إذنك طبعًا – إنه يحاول يشوف أي حد من زملائه محتاج تقوية في دروس اللغة العربية ويدعوه يحضر معانا في البيت



المراجعات اللي أنا بعملها له كل إسبوع، وكمان دورت لغاية لما لقيت مرسم للبراعم في كفر عبده قُريب من البيت بيقبل الأطفال اللي في سن مازن وبيجمعهم في مجموعات ويدربهم على الرسم ويدرسلهم قواعده، وبيعمل مسابقات بينهم وكمان بيقسمهم لمجموعات كل ثلاثة أو أربعة بيكونوا فريق يتفقوا على رسم لوحة معينة ويتعاونوا في رسمها. وده برضو حايخليه يتخلى عن الانطوائية ويتجاوب مع زملائه في عمل شيء هو بيحبه.

- اللّٰه عليكي يا نجوى ما شاء اللّٰه عليكي وعلى أفكارك.. نفذى يا "نوجه" على طول ما تاخديش رأيي اعتبري نفسك مسئوله عنه.. ده طبعًا إذا كان مايضايقكيش.

- لا ده يسعدني أكيد.. أنا كل حاجة ممكن تسعد مازن وأبو مازن بتسعدني أكتر.

قالت نجوى تلك العبارة وقد غمرها شعور غامر بالسعادة فقد كان وقع لفظ "نوجة" التي خرجت

بتلقائية من فمه أعذب ما تلقته أذناها على الإطلاق. فهي المرة الأولى التي يناديها بها "نوجه" هي تسمعها كل يوم من كل المقربين إليها والدتها وصديقاتها وأقربائها.. ولكن حين سمعتها منه دغدغ وقعها مشاعرها وكأنه اسمٌ جديدٌ تلتقيه لأول مرة.. كم اشتاقت أن ترتمي بين ذراعيه وأن تطوقه بذراعيها، أن تضمه، أن تقبِّله، أن تقول له أحبك.

- نجوى.. إيه مالك سرحتي في إيه؟.

- هه.. لا ولا حاجة، بافكر أبتدي إزاي.

- بقولك إيه إنتي وراكي حاجة دلوقتي؟

- لا أبدًا، أنا خلصت مراجعة كل المذكرات وتم طباعتها وجهزتها لحضرتك على المكتب.

- طب سيبك من الشغل دلوقتي إيه رأيك لو روحتي معايا نتغدى سوا مع مازن وماما، وبالمرة أتفرج على رسومات مازن وأهو نقعد ندردش شويه لغاية معاد المكتب.. ماتنسيش إن بكرة الخميس معاد اللقاء



الشهري اللي إنتي اقترحتيه عايزين نتناقش في موضوع اللقاء.. وخلي بالك أنا بكرة عاملك مفاجأة بعد الندوة، إن شاء اللّه تعجبك، حاولى تفضّي نفسك بالليل واستأذني الحاجّة إنك حاتتأخرى شوية.

- ليه يا أستاذ إنت عازمني على سهرة ولّا إيه؟

- خليّها مفاجأة أحسن.. يلّا بينا عشان مانتأخرش على مازن.. آه كنت حانسى دي الحاجّة النهاردة عازمة ضيوف على الغدا.

- ضيوف؟ طب خلاص بلاش أنا النهارده.

- لا دول مش غرب، وانتي مش غريبة، وانا قاصد إنك تبقي موجودة.

****

ولأن النفس الإنسانية جُبلت على حب الحياة واشتياق النجاة والتوق إلى الحرية فقد انتهى الصراع النفسى داخل رشدي إلى اختيار طريق النجاة والحرية فقرر



أن يمضى في الخطة التي رسمها له الضابط أحمد الطرابيشي إلى نهايتها، خاصةً وأن إرشاده عن صفقة السلاح لن يؤدي إلى التضحية بهؤلاء المجاهدين، فقد ضحوا هم بأنفسهم من قبل راضين قانعين، وسيظلون معتقلين بصرف النظر عن إرشاده عن السلاح أو إخفاء الأمر.. فَلِم لا يغتنم الفرصة ويظفر بحريته؟ ربما تكون حريته أفيد لهم من حبسه.. ومن ثم فقد بدأ في تنفيذ خطته بأن اختلى بصديقه مينا بعيدًا عن باقي المسجونين حين سنحت له الفرصة.. ولم يشأ أن يعرض عليه الأمر مباشرة بل بدأ حديثه بسؤال.

- تفتكر يا مينا احنا ممكن نطلع من هنا إمتى؟

- فَرجُه قريب يا معلمي.

- مش حاسس إنه قُرّيب يا مينا.

- سلمها لله يا رشدي، أومال أنا أقول إيه؟ إنت حاتطلع قُريِّب إن شاء الله، إنت ما عملتش حاجة لولا الضابط الزفت اللي اسمه (خالد زمزم) اللي حطك في دماغه

ماكنش جالك قرار اعتقال من الأساس، على فكرة أنا سمعت إنه اتنقل من إسكندرية خالص الحركة اللي فاتت. يعني إن شاء الله حاتطلع قُريب، التظلم اللي جاي إن شاء الله إفراج وبكرة حافكرك. أنا بقى اللي مصيبتي مالهاش حل، ضحكت على الحكومة وأخدت الفلوس الميري، يعني لو طلعت أكيد حايلبسوني قضية تأبّدني.. دول ظَلَمة وما بينسوش حقهم أبدًا.

- أنا عندي فكرة.. ماتحاول تتراضى معاهم.. سلمهم المخدرات والفلوس بشرط إنهم يطلّعوك.

- ياريت! إنت عارف إن المسألة مش سهلة كده.

- لأ سهله إن شاء الله – أنا حابعت للمحامي بتاعى وهو علاقته بيهم كويسة ولسه مطلّع الضابط أحمد شريف براءة في قضية التعذيب اللي كان متهم فيها، وهُمّا بيقدروه وبيعملوا له حساب، وهو ممكن يعمل معاهم الاتفاق ده.

- صحيح ياريت يا معلمي ده أنا سايب العيال من غير حد يراعيهم ومن غير فلوس ومش عارف عاملين إيه وشايل همهم ربنا يعلم.

- ماتقولش الكلام ده ومتنعاش هم عيالك في عنيّا طول ما أنا حي يا ولَا.. أنا كلمت مصطفى في الزيارة اللي قبل اللي فاتت إنه يفوت عليهم ويشوف مصاريفهم ومايخلهمش محتاجين حاجة لغاية لما تطلع لهم بالسلامة.

احتضن مينا رشدي وتساقطت دموعه وهو يقول له:

- طول عمرك جدع وراجل وصاحب واجب، ربنا يخليك ليّا وما يحرمنيش منك.

- جرى إيه يا مينا هو أنا عمري أنسى رجولتك معايا وحبك ليّا، ده انت سمّيت ابنك الصغير على إسمي ربنا يخليهولك - ثم قال ضاحكًا - ويطلع رشدي بس، من غير "لومانجي".



بقولك إيه يا مينا، أنا مش عايز لما أطلّع إن شاء اللّٰه أرجع الشغل تاني، عايزين نشوف شغلة تانية خفيفة ونضيفة وتجيب فلوس حلال من غير ما نوسخ إيدنا.

قال مينا ضاحكًا:

- سهلة، إنت تشتغل محامي وأنا دكتور.

- لا أنا بتكلم بصحيح.

- إيدي على كتفك، دلّني؟ إيه الشغلانة دي؟

- إنت مش قولتلى إنك قابلت الشيخ مستور الهواري وانه لسه فاكرني وبيسأل عليّا، وإنه بطّل شغل في المخدرات وبيشتغل في السلاح.

- أيوه..

- أنا من ساعتها بافكر إن احنا نشتغل في السلاح معاه، وده راجل محترم وأمين وكلمته زي السيف ومضمون.

- آه بس ده شُغلانه أخطر من المخدرات يا رشدي.



- لا أبدًا دي شغلانة نضيفة إحنا مش حانلمس السلاح بإدينا.

- إزاى يعني أومال حانشتغل فيه إزاي؟ على الهوا!!

- آه على الهوا يا مفتح..

إحنا حانموّل الصفقة بس، وهو بطريقته حايجيب السلاح من ناس ويسلمه لناس تانية.

- إزاي يعني؟

- إزاي دي بتاعتي أنا، مالكش فيها، بعدين حافهّمك.. المهم رأيك إيه؟

- من غير ما تأخذ رأيي، إنت عارف أنا من إيدك دي لإيدك دي.

- خلى الكلام في سرك لما نطلّع يحلّها المولّى.

أسرع رشدي في نقل ذلك الاتفاق الذي عقده مع مينا إلى الشيخ صالح الأبتر الذي ابتهج بالخبر قائلًا:



- على بركة اللّه.

- طب حانعمل إيه؟ وإزاي حانطّلع مينا بره المعتقل عشان ينفذ؟

- اللّه المُيسر.. إحنا حانخلّي المحامى بتاعنا يعملّه تظلم قُريب وحاينزلّه على قاضي كويس يعرف ربنا وإن شاء اللّه يُفرج عنه.

- يعني لما إنتوا تقدروا تعملوا كده ماحدش فيكم بيُفرَج عنه ليه؟

- المعتقلين السياسين عاملين لهم دواير خاصة تبعهم، أما إنتوا، الجنائي يعني بتُعرَضوا على الدوائر العادية، ودي حتلاقي فيها قاضي ولا اتنين ملتزمين ومحترمين وبيخافوا ربنا، مالكش صالح إحنا حانتصرف.

أبلغ رشدي الضابط أحمد الطرابيشي بما تم الاتفاق عليه عن طريق مصطفى في أول زيارة.



وجاء الرد سريعًا عن طريق ورقة صغيرة سلَّمها له سرًا شرطي سري بمباحث السجن الورقة مكتوب فيها بخط اليد عبارة واحدة.

(افتعل مشاجرة غدًا مع أي من المساجين.. ضرورى جدا.. احرق الورقة بالحمام بعد قراءتها)

في اليوم التالي كان رشدي يجلس في ركن زنزانته كالعادة يقرأ في المصحف أو هكذا كان يبدو بينما كانت عيناه زائغتين تجولان داخل الزنزانة باحثتين عن شخصٍ يصلح لافتعال مشكلة معه دون أن يشكل ذلك سلوكًا شاذًا غير مألوف يسترعي الانتباه أو الاستغراب، فلم يجد إلا ذلك المُجادِل "علي القرد" – فبادره القول:

- نفسي أسألك سؤال يا علي؟

- خير يا عم الشيخ ؟

- إنت مش بتصلي ليه؟



- ربنا يهديني وأصلي.

- وانت حاتجيلك الهدايا منين وانت مافيش بينك وبين ربنا عمار.

- الهداية من اللّٰه.. "إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللّٰه يهدي من يشاء".

- من يشاء الهداية يا أبو جهل.. الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم قال "بين الرجل وبين الكفر تَرْكُ الصلاة"، وقال: "من ترك الصلاة فقد كفر".

- فيه فرق يا عم الشيخ بين ترك الصلاة وبين إنكارها وأنا مش بانكر إن الصلاة فريضة.

- مين فهمك كده.. اللي يعصي أمر اللّٰه وما يسجدلوش يبقى كفره أشد من كفر إبليس.

- يا ساتر يارب يعني أنا أكفر من إبليس؟



- أيوه لان إبليس كان بيسجد لله ورفض ينفذ أمر ربه لما أمره إنه يسجد لغير الله "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبَىَ واستكبر وكان من الكافرين" . صدق الله العظيم

يبقى اللي زيك اللي مش عايز يسجد لله ألعن من إبليس ولعياذ بالله.

- هو فيه إيه يا رشدي مالك ومالي النهارده؟ ما تسيبني في حالي يا أخي.

- ما تقولش يا أخي، أنا مش أخوك طول ما انت كافر كده.

- إنت عمال تكفَّر الناس هو انت فاكر نفسك عشان سِبْت دقنك ولبست جلابية ولَزقتلى زبيبة في قورتك بقيت الحاكم بأمر الله. يا عم فُوق ماتعملهُمش علينا، ده احنا دافنينه سوا.

فنهض رشدي وانقض عليه قائلًا: أنا يتقالّي الكلام ده يا كافر؟

وأوسعه ضربًا فهاج العنبر وضج بالصياح، وما هي إلا لحظات حتى دخل الحُراس واقتادوا كلًا مِن علي القرد ورشدي إلى حيث مكتب مباحث السجن.

تم إدخال على القرد بمفرده إلى مكتب معاون المباحث بينما أدخلوا رشدي إلى مكتب رئيس المباحث. فوجد نفسه وجهًا لوجه أمام العميد/ أحمد الطرابيشي. وبعد إخلاء المكتب وإغلاقه عليهما قصَّ رشدي على مسامع الضابط الطرابيشي تفاصيل الأحداث والأحاديث والاتفاقات التي جرت بينه وبين كل من أبي مصعب والأبتر من ناحية ومينا من ناحية أخرى.

ارتسمت علامات الارتياح على قسمات وجه الضابط وربت على كتف رشدي قائلًا:

- الله ينور عليك يا رشدي هو ده الشغل الصح، الحمد لله ماخيبتش ظني فيك. بس أنا حاسس في كلامك يا رشدي إنك مقتنع شويه بحكاية الجهاد وفلسطين والكلام ده.. لكن أنا أُقسملك بالله العظيم الكلام ده



كله مش حقيقي، الحقيقة الوحيدة إن السلاح ده مش لمحاربة إسرائيل لكن لقتل أهلنا وبكره تشوف، إنت بنفسك حاتعرف حقيقتهم، وخلي بالك كويس من نفسك أحسن رجلك تتزحلق وتبقى واحد منهم.

عمومًا خليهم يعملوا التظلم لمينا وأهو بالمرة نعرف مين من القُضاة بيساعدوهم، واحنا من ناحيتنا حانسهل عملية الإفراج عنه. بس لازم تتفق معاهم على التفاصيل وكمان مع مينا وخلي تمامُه يبقى مع مصطفى واوعى تقوله إن الشغل يخص حد من المشايخ.

- يعني في الآخر مينا اللي لسه جاي ماكملش شهرين حايطلع وأنا اللي حافّضل في الهم ده؟ حرام عليك يا باشا انت وعدتني.

- وأنا عند وعدي يا رشدي أول ما الصفقة الأولى تتم حاتطلع على طول، صدقني.



- ولما السلاح يتمسك.. وأنا أطلع.. هُمّا مش حايعرفوا إني خنتهم! وطبعًا انت عارف انتقامهم منّي حايبقى إزاي.. انتوا بتضحوا بيّا يا باشا؟

- لا يا رشدي ماتقلقش أول صفقة سلاح حانسيبها تعدي ونتابعها بس، ونشوف حاتتسلم لمين وحايروح بيها فين؟ وحاتتخزن فين؟ خصوصًا إن أول صفقة حاتبقى جس نبض منهم، وأكيد حاتبقى شوية أسلحة خفيفة يجربوا بيها. وبعدها حاتطلع على طول، وهُمّا حايخصصوا واحد بره أكيد عشان يتعامل معاك في باقي الصفقات.

يلّا شد حيلك وخلّص بسرعة عشان احنا محتاجينك بره، كفايه عليك كده.. أنا عارف إن احنا تقّلنا عليك لكن هانت، واحنا مش ممكن حاننسى الخدمة الكبيرة اللي إنت عملتها للبلد وربنا يقدّرنا ونردلك.

انصرف العميد/ أحمد الطرابيشى مسرعًا ودخل رئيس مباحث السجن فور خروجه وجلس إلى مكتبه وأرسل في استدعاء علي القرد.



- إيه يا علي عامل إيه دلوقتي؟

- الحمد لله يا باشا.

- أنا حابعتك العيادة دلوقتي تجيب تقرير طبي عشان نعمل المحضر، مع إن رشدي ندمان جدًا وحاسس إنه غلط معاك، لكن كل واحد لازم ياخذ جزاءه.

- معلش يا باشا أنا قلت للبيه المعاون إن أنا متنازل ومش عايز أعمل محضر ورشدي ماعملش حاجة ده أنا اتخبطت في قايم السرير.

- والله أصيل يا علي.. حقك عليا يا اخويا والله أنا ما أعرفش عملت كده إزاي..

قالها رشدي واقترب من علي وقبّل رأسه.

- يعني نعتبر الموضوع كده خِلص يا علي ولّا نعمل محضر.

- لا يا باشا هو مافيش موضوع من أصلُه.



- عمومًا ده حقك وانت حُر تتنازل عنه براحتك، إنما حقنا احنا لازم ناخده ماينفعش الموضوع يمر كده من غير ما إدارة السجن تأخد إجراء. إرجع انت زنزانتك، أما رشدي حيروح الانفرادي 24 ساعة ودي أقل حاجة.

سرى نبأ تحويل رشدي إلى الحبس الانفرادي التأديبي بين المعتقلين كالنار في الهشيم وقد تلقّى كُلٌّ من الأبتر وأبو مصعب الخبر بكثيرٍ من الارتياح والطمأنينة خاصةً وقد عَلِما أن السبب وراء قرار التأديب هو حميّة رشدي على دينه، وتأكدا أنه أصبح يعتقد ما يعتقدانه من أفكار.

خرج رشدي من الحبس الانفرادي حليق الرأس فاستقبله زملاء زنزانتة والمشايخ الذين هتفوا "الله أكبر على كل ظالم ولا حول ولا قوة إلا بالله "

ثم صلوا وراء أبي مصعب ركعتين وقبل السجود للركعة الثانية دعا أبو مصعب والكُل يؤمّن وراءه.



"يارب أغلقت الأبواب إلا بابك، وانقطعت الأسباب إلا إليك، اللهم إنا ومن ظلمونا نواصينا بيدك، فأرنا فيهم آياتك وعجائب قدرتك، وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم اجعل كيدهم في نحورهم، اللهم أنقِص آجالهم، وخيب آمالهم، وأزِل سلطانهم، اللهم صيّر كيدهم إلى تضليل، وأرشدنا سواء السبيل، اللهم شتت جمعهم، وبدَّد مُستقرّهم، وبّدل عزهم ذلًا، يارب إن الظالم ملك أسباب القوة في الدنيا ونحن عبيدك لا نملك إلا الإيمان بك، والتوسل إليك، والتوكل عليك، اللهم إنك لا ترضَى الظلم لعبادك، اللهم إنك وعدتنا ألا ترد للمظلوم دعوه اللهم آمين.

ثم خرّوا ساجدين.

قال أبو مصعب هذا الدعاء بصوتٍ متهدجٍ خاشع ودمعٍ منهمرٍ باك، فأخشع القلوب وحرَّك المشاعر وألهَب الإحساس الكامن بالظلم والقهر في كل القلوب.

اختلى الأبتر وأبو مصعب بعد الصلاة برشدي، وبعد عبارات المواساة على ما وقع عليه من ظلم والثناء



على غيرته على دينه وإقدامه على تغيير المنكر بلسانه ويده، أخبراه بأن محاميهما قد تقدم بتظلم باسمِ مينا على قرار الاعتقال، وأن الجلسة قد تحدَّدت بعد عشرة أيام، وأنه- أي محاميهم- قد انتقى بطريقته إحدى دوائر المحكمة الموثوق في رئيسها لنظر التظلم، وأن قرار الإفراج يكاد يكون مضمونًا، وأنهما قد سعيا عن طريق أتباعهم وأصدقائهم في الخارج وعلى رأسهم عضو مجلس شعب معارض "يساري" شهير إلى التدخل حتى لا تعترض الداخلية على القرار. ومن ثم، فعلى رشدي أن يُهيئ مينا نفسيًا وأن يُحفزه على الاتفاق مع الأعراب على إتمام الصفقة التي سيمدونه بتفاصيلها في الوقت المناسب. وعلى الفور بدأ رشدي في تنفيذ ما اتفقوا عليه بأن بشَّر مينا بقرب إخلاء سبيله:

- إبسط يا مينا خلاص هانت كلها عشرة، خمستاشر يوم وتبقى وسط عيالك.

- صحيح يا رشدي إزاي؟



- أنا كلفت المحامي بتاعي إنه يعملك تظلم وإن شاء الله الجلسة كمان إسبوع أو اتنين وهو ضامن الإفراج وكمان اتفق مع رئيس مكتب المخدرات إنك حاتسلمهم المخدرات والفلوس وهُمّا يسيبوك تروح، قُلت إيه يا عم؟

- بجد يا معلمي؟

- أنا عمرى قُلت لك حاجة وما نفذتهاش قبل كده؟

- لأ طبعًا مش قصدي.. بس ليه ما عملكش انت التظلم ده.

- ما هو المحامي لسه واقع قريب على سكة في حكاية التظلمات دي وأهو حانبتدي بيك لأن أنا معاد التظلم بتاعي لسه عليه شويه.. إن شاء الله انت تطلع الأول وأنا أحصلك بإذن الله.

- يارب يسمع منك مش عارف أقولك إيه؟ طب والمسيح الحي أنا بحبك أكتر من اخواتي ربك يعلم.



- إنت كمان غالي عندي أوى يا مينا، وكمان ماتنساش إن احنا حنبقى شُركا في الشغل الجديد.

- شغل إيه؟

- إنت لحقت تنسى يا ولَا، موضوع السلاح اللي اتكلمنا فيه.

- آه.. لأ طبعًا مانسيتش وبعدين إيه حكاية شُركا دي، ده أنا راجلَك يا معلمي، اللي حاتقوله حايمشي على رقبتي من غير حاجة.

- لأ الحق مايزعَّلش، الشغلانة دي إنت حايكون لك الدور الرئيسي فيها، ولك نسبة بما يُرضِي الله ، اتفقنا؟

- يا معلم رشدي إنت حاتفضل طول عمرك معلمي ولحم كتافي من خِيرك، إنت تُؤمر وأنا أنفذ..

- خلاص قبل ما تطلع حاقولك تعمل إيه.

****



استلقت نجوى بعد عودتها مساءً إلى منزلها على سريرها شاردة الذهن تستجلب النوم فلا يستجيب وقد تحول مضجعها إلى جمرات ملتهبة، فقد فوجئت بأن ضيوف والدة كمال على الغداء كانوا الأستاذة/ علياء بدوي المحامية وأُمها وطفلة صغيرة لا تتجاوز الثامنة من عمرها، عرفت أنها ابنة علياء من زوجها الذي توفاه الله منذ عامٍ مضى.. استشعرت من كم كلمات المجاملة والرياء المتبادل بين علياء وأمها تجاه كمال وأمه، أن علياء هي غريمتها في قنص قلب كمال وأن وجود طفلة لها ربما يكون أحد العوامل المساعدة على قبول كمال للفكرة فقد يرى أن وجود الطفلة في المنزل مع مازن قد يساعده على التخلص من الانزواء والانطوائية التي تلازمه وتؤرق كمال.. بالإضافة إلى أن علياء تتمتع بقسطٍ ليس هينًا من الجمال، وهي ابنة أستاذه ومعلمه والعلاقات الأسرية بينهما ممتدة، وينتميان كلاهما إلى وسط اجتماعي متقارب.. اعتصر قلب نجوى كم هائل من الألم والحسرة وهي ترى أن حبَّها الوطيد وحلمها الوحيد يتلاشى بعد أن تراءى،

ويفر بعد أن ظنت أنها أدركته، ظلت الظنون تتلاعب بها، حتى تراءى لها ظن كاليقين أن تلك المفاجأة التي وعدَ بها كمال لن تكون إلا احتفالًا بإعلان خطبته لتلك العلياء المتعالية.

تحطّم سكونَ الليل الكئيب بصوت أذان الفجر القريب، فنهضت متثاقلة من لهيب المضجع لتخر ساجدة ملقية أمام مفرج الهموم كربها، داعية لله بقلبٍ هائمٍ فازعٍ أن يُفرِّج كربها وأن يُطَمئِنْ بالإيمان قلبها.. فاطمأنت وارتوت.

موعد الندوة دنَا، فتأهبت برداء زهري مُحتشِم، وهو على احتشامه ظل عاجزًا عن أن يواري من جسدها مفاتنَ زاعقة مستنفرة، وأفرجت عن شعرها فانسدل في حرية فوضوية على الظهر والكتفين حتى مبتدأ الخاصرتين، وأخذ يتموج في تحدٍّ سافر حول جيدها والوجنتين، لم تضع على وجهها من المساحيق إلا المختصر لمُداراة إجهاد السهر وعناء الهموم والضجر.



حان الموعد واصطف من حضر فتهادت بينهم كزهرة برية - بين الأشواك - يانعة لم تُقتطف، تلاحقها العيون في شغف، ألقت تحيتها على الجميع بإشارة وابتسامة وديعة دون ابتزال ولا صلف، يحركها كبرياءُ أنثى تُداوي جرحًا لم يشفَ ولَمْ يَندمِل.. استقرت على مقعدها المعتاد على يسار المنضدة الرئيسية انتظارًا لوصول الأستاذ، فوقعت عيناها على غريمتها ذهبية الشعر تجلس أمامها في ثوب أسودٍ يزيد وجهها الأبيض وميضًا.. تبادلا الابتسامات الباهتة حتى دخل الأستاذ وحيًّا الحضور وقال:

- أُذكركم بأنّ هذه الندوة عن الإرهاب.. وأُذكركم أن الأستاذة نجوى هي التي اقترحت موضوعها وهي بهذه المناسبة ستلقي قصيدة قد تكون مناسبةً لموضوع الندوة، وهي سُنة سوف نحرص عليها بأن نبدأ كل ندوة من الندوات الحُرة بقصيدة مناسبة لموضوع الندوة.. الأستاذة نجوى اختارت مقتطفات من قصيدة للشاعر نزار قباني بعنوان "أنا مع الإرهاب".

- اتفضلي يا أستاذة ..

- وقفت نجوى بشموخ اصطنعته وثقةٍ في النفس تحاول أن تستجلبها.. ودون الاستعانة بأيَّة أوراق بدأت تنشد رائعة نزار قباني:

مُتهمون نحنُ بالإرهابْ..

إن نحن دافعنا عن الوردةِ.. والمرأةِ..

والقصيدةِ العصماء..

وزرقةِ السماء..

مُتهمون نحنُ بالإرهابْ ..

إن نحنُ دافعنا بكلِ جرأةٍ

عن شعرِ بلقيس ..

وعن شفاةِ ميسون..

وعن هندٍ.. وعن دعدٍ ..

وعن لبنى.. وعن ربابْ ..



....

لن تجدوا في حوزتي

قصيدةً سريةً..

أو لغةً سريةً..

أو كتبًا سريةً أسجنها في داخل الأبوابْ

وليس عندي أبدًا قصيدةً واحدةً..

تسير في الشارعِ.. وهي ترتدى الحجابْ

....

متهمون نحن بالإرهابْ ..

إذا رفضنا موتَنا..

بجرافاتِ إسرائيل..

تنكُشُ في ترابِنا..



تنكُش في تاريخِنا..

تنكُش في إنجيلِنا..

تنكُش في قرآنِنا..

تنكُش في ترابِ أنبيائِنا..

إن كان هذا ذنبُنا

مُا أجمل الإرهابْ..

....

أنا مع الإرهابْ

مادام هذا العالمُ الجديد

يكـــره في أعماقِه

رائحـةَ الأعـرابْ

أنا مع الإرهابْ



مادام هذا العالمُ الجديد

يريد أن يذبح أطفالي

ويرميهم للكلابْ

....

من أجل هذا كله

أرفـــع صوتـي عاليًا:

أنا مع الإرهاب!

أنا مع الإرهابْ!

أنا مع الإرهابْ!

صفق الحاضرون جميعًا لنجوى فقد كان إلقاؤها مؤثرًا وصوتُها عذبًا معبرًا يتهدجُ حينًا ويزأر حينًا.. ويذوب رقة في كل الأحيان.



حتى علياء تعمَّدت أن يراها الجميع وهي تُصفق، وكأنها ترد على اتهامٍ لم يوجهه إليها أحد "أنا لا أغار"!

شكرت نجوى الحضور بحياء واضح ثم جلست وبدأ كمال قوله.

- شكرًا يا أستاذة اختيار رائع وإلقاء أروع -ثم قال ضاحكًا- أنا طبعًا مش مع الإرهاب

طبعًا الإرهاب اللي قصده شاعرنا نزار ليس هو الإرهاب المعني في هذه الندوة رغم أن القصيدة تعتبر مدخلًا جيدًا للحديث عن صانعة الإرهاب في العالم الحديث وهي إسرائيل.. وكيف حاولت أن تلصقه بالعرب والمسلمين.. وليس من الغريب أن نجد أن أول بادرة تاريخية للعنف الديني كانت على يد اليهود.

نقدر نقول بوضوح إن الإرهاب في التاريخ المعاصر "إسرائيلي المنشأ" والكلام ده أكِّده كاتب يهودي أمريكي مشهور جدًا اسمه "نعوم تشومسكي" مؤلف كتاب هام جدًا هو كتاب "حضارة الإرهاب" الراجل ده



قال إن الإسرائيليين هُمَّا اللي ابتدعوا الإرهاب في الشرق الأوسط وفضلوا حريصين جدًا على إشعاله دائمًا ومقاومة كل محاولات القضاء عليه.

أما إلصاق الإرهاب بالعرب والمسلمين فده كلام إسرائيلي المنشأ برضو وضعوا له خطة عمل وميثاق في كتاب اسمه: خدوا بالكم كويس من الاسم "الإرهاب.. كيف للغرب أن ينتصر؟" يعني الإرهاب هو طريق النصر الذي يجب أن يسلكه الغرب، الكتاب ده أصبح المرجع الأساسي والتقليدي في مسألة الاقتران المزعومة بين الإرهاب والإسلام.

حاتستغربوا لما تعرفوا اسم مؤلف الكتاب ده اللي الغرب كله بيعتبره مرجعهم الأساسي في مسألة الإرهاب الإسلامي. مؤلف الكتاب ده هو "بنيامين نتنياهو"، قبل انتخابه رئيسًا لوزراء إسرائيل، ونقدر نعرف خطورة هذا الكتاب من تعليق "برنارد لويس" على الكتاب بقوله "من المناسب أن نستخدم الإسلام كمصطلحٍ لتحديد وتصنيف موضوع الإرهاب". يعني الربط التام بين الإسلام كدين والإرهاب كجريمة..

دي الخطة الإسرائيلية اللي تبناها الغرب للقضاء على الإسلام من ناحية، والسيطرة على البلاد العربية والإسلامية من ناحية تانية، وذلك بإحياء التعصب الديني المذهبي في نفوس المسلمين لتتفشى بينهم الحروب الداخلية والصراعات الدينية والمذهبية.

خطة معلنة واضحة المعالم معلومة المراحل.. ليست سرية ولا منكورة.

فماذا فعل المسلمون لمواجهة هذه الخطة؟

من المعروف أن الخطة دي وضعت بعد دراسة عميقة رصدت بعض الآراء الفقهية المتشددة والأحداث التاريخية الدموية التي تمت بسبب النزاعات المذهبية وتكفير المذاهب المختلفة بعضهم لبعض، هذه الصراعات الدموية التي حدثت تاريخيًا وما زالت تحدث حتى الآن تقوم على التكفير الذي يسلس إلى القتل والتفجير، تكفير الغير ثم قتله جزاءًا شرعيًا على كفره، وهي فكرة ترتكز على عدة محاور فقهية.



أولًا: التوسع في تكفير كل من يختلف دينيًا أو مذهبيًا أو حتى فكريًا عن طريق ما يسمى إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة. ثم استحلال قتل الجميع إما عن طريق تحريف فكرة الجهاد وإما عن طريق إبراز ما يسمى "بحد الردة" وترسيخه في النفوس واعتباره أصلًا من أصول الدين.

ثانيًا: وضع نظرية شاذة أسموها "الحاكمية" ابتكرها أبو الأعلى المودودي لظروف سياسية استعمارية ورسخها السيد قطب في أغلب مؤلفاته.. وهي تُكرس فكرة تكفير الحاكم وجميع مؤسسات الدولة ومن ثم الخروج عليهم.

ثالثًا: إعادة استعمال مصطلح "الجاهلية" ووضعه في إطار جديد يؤدي إلى تكفير الجميع ووصمه بالجاهلي.

رابعًا: التوسع في إرساء فكرة الناسخ والمنسوخ واستغلالها في إلغاء آيات التراحم والتعايش السِّلمي مع الآخرين والتي يذخر بها القرآن.

ورغم وضوح الخطة ووضوح آليات تنفيذها إلا أن جميع الدول الإسلامية لم تنتبه إلى الخطة والهدف، وبدلًا من تنقية كتب الفقه ومواجهة المحاور الأربع السابقة، تركت العنان لكل الأفكار المتشددة كي تنمو وتسري في المجتمع، مما ساعد وساهم في إثبات صحة النظرية الإسرائيلية والمضي قُدمًا نحو تهيئة المناخ لإنفاذ الخطة دون أي عناء أو مقاومة.

هنا نهض الأستاذ/ مصطفى متولى مقاطعًا الأستاذ بصوت غاضب قائلًا:

- إنت بتطعن في ثوابت الدين يا أستاذ/ كمال. الكلام ده ما يصحش يتقال، اتّقِ الله، النسخ منصوص عليه في القرآن بآية صريحة إزاي تنكرها؟

وحد الردة حد من حدود الله شرَّعَه الله وفيه حديث نبوي صريح وسيدنا أبو بكر أقام حد الردة في حروب سميت حروب الرده ولّا حضرتك ما سمعتش عنها؟ وكمان بتنكر تكفير المختلفين معنا في الديانة كده



زيادة قوي.. معلهش سامحنى أنا مش حاقدر أكمل الندوة أنا مش حاقدر أقولك إلا "سلامًا".

انبرى أحد المحامين ويدعى الأستاذ/ أكمل وهو معروف باتجاهه اللا ديني صائحًا:

يا عم غور بتخلفك وجهلك ده احنا مستحملينك بالعافية، إنت مش حاسس بنفسك ده انت لاسع ومُتخلف شكلًا ومضمونًا إنت والإسلام بتاعك اللي مخلينا متخلفين عن البشر ألفين سنة والناس كلها بتضحك علينا، العالم بيغزوا الكواكب وانتوا لسه متمسكين بإطلاق اللحية وقواعد الاستنجاء وأحكام دخول الخلاء، جاتكُم القرف.

- قرف يقرفك يا كافر يا مُلحد أُقسم بالله إنت واللي زيك تستاهلوا الحرق.

هنا وقف الأستاذ/ كمال وصاح بحزمٍ: الأستاذ مصطفى والأستاذ/ أكمل، إنتوا الاتنين خرجتم عن كل



الأصول واتفضلوا اطلعوا بره ومش عايز أشوفكم في المكتب تاني.

خرج مصطفى مسرعًا.. بينما وقف أكمل يبدي أسفَه واعتذاره عما حدث منه من انفعال.. إلا أن الأستاذ كمال قال بحزم:

- اعتذارك مرفوض، اتفضل مع السلامة.

بعد خروج أكمل سادت الهمهمة أرجاء القاعة، أسكتها على الفور كمال بقرعة من يده على المنضدة.. وقال:

- خلاص عايزين نكمل الندوة بس الأول عايز أرد على الكلام اللي قاله مصطفى.

أولًا: تفسير آية النَّسخ فيها أكثر من عشر آراء فقهية مختلفة لكبار الأئمة منهم من ينكر وجود النَّسخ أصلًا ومنهم من يرى أن النَّسخ مقصود به نَسخ القرآن لما قبله من شرائع، ومنهم من أيَّد النَّسخ وقصره على القرآن بمعنى إن القرآن ينسخ القرآن وحددوا مواضع النسخ فلم تزد على عشرين مَوضِع، ومنهم من أسهب

في النسخ لدرجة أن جعلوا الأحاديث النبوية تنسخ آيات القرآن.

وثانيًا: حد الردة لم يذكر في القرآن وإنما استندوا فيه لحديث روى عن عكرمة رواه البخاري ولم يروه مسلم لأنه لم يعتمد على عكرمة في رواية أي حديث ووصفه بأنه كاذب.

ثالثًا: تكفير أهل الكتاب فيه آراء فقهية متعارضة وبعض الفقهاء قال لا يُكَفّرون جملة.. وعمومًا تكفير الناس منهى عنه شرعًا.

رابعًا: نظرية الحاكمية هي مجرد نظرية فقهية مستحدثة، يعني كل اللي قُلناه وعرضناه لا يَمُتّ لثوابت الدين بصلة.. الثوابت هي المسائل اللي مفيش عليها خلاف وأغلب الثوابت تتصل بالعبادات زي الصلاة والصوم والزكاة والحج كعبادة رغم أن الفقهاء اختلفوا في بعض التفاصيل والأحكام بالنسبة لهذه العبادات.



نكمل بقى..

أكمل كمال موضوع ندوته عن الإرهاب موضِّحًا أن اليهود هم أول من حارب حروبًا دينية وهم أول من استغلوا الدين لتحقيق أهداف سياسية وهم أول أصحاب دين كرَّسوا عدم قبول الآخر وتحقيره. وأن طبيعة اليهود الدينية كانت تجرهم على مدار تاريخهم إلى ويلات الحروب وتضعهم في كل مرة على مشارف الفناء ذلك أنهم يعتبرون أنفسهم أولاد الرب وأن الله قد ميَّزهم عن سائر الأمم ورفعهم درجات فوق مستوى باقي البشر "الأغيار" فما يكادون يتجمعون من "الشتات" ليكونوا مجتمعًا خاصًّا بهم إلا وناصبوا العداء لكل من حولهم وأشعلوا نار التمرد والمكائد، وأنهم الآن ينصبون مكائدهم عن طريق إزكاء نار الخلاف المذهبي والغلو الديني لدى المسلمين ليفنوا بعضهم بعضًا، وأنهى كمال حديثه بوجوب أن تلتفت كل المؤسسات الدينية في العالم الإسلامى إلى الخطر الداهم القادم على متن الغلو الديني والآراء الفقهية القديمة المتشددة والتي كان لواضعيها ظروفٌ



سياسية وتاريخية ونفسية وفكرية مختلفة، آن الآوان لتحرير تلك الآراء من أغلال ماضيها لتتلاشى وتحل محلها أفكارٌ تناسب سماحة الإسلام وعظمته. فإن الخطر القادم سريعًا سيكون كارثيًا ومدمرًا.

بهذه الكلمات أنهى كمال حديثه وبدأت حلقات النقاش المفتوح تدور حول تاريخ العنف الديني وخطة إلصاقه بالإسلام.

بدأت الندوة بسؤال مباشر من نجوى.

- من خلال استعراضي أحداث العنف في العالم على مر التاريخ، هل نستطيع أن نرصد أن هناك علاقة بين الدين والعنف؟

أجاب كمال:

- لا طبعًا ما فيش علاقة ثنائية بين الدين والعنف إذا ظل الدين مجرد دين بعيدًا عن السُّلطة السياسية لكن العنف يتولد دائمًا حين يختلط أو يتماس أو يتقاطع أو يتعانق الدين مع السياسة في هذه الحالات يمكننا

رصد العنف متولدًا عن هذه العلاقة بين الدين والسياسة والأمثلة التاريخية على هذا لا تحصى.

وقفت علياء.. فانسدل شعرها الذهبي على ردائها الأسود فطاردتها النظرات، نظرات إعجاب الشباب ونظرات نجوى التي تكاد تنفث لهبًا، وقالت:

- إنت علمتنا يا أستاذ إن الاختلاف في الرأى لا يفسد الود، وحضرتك.. لو سمحتلي.. عاملت الأستاذ مصطفى والأستاذ أكمل بقسوة ما اتعودنهاش منك.. هُمّا يمكن خرجوا شويه عن حدود اللياقة، لكن عذرهم إنهم شباب مندفع، مصطفى حريص على دينه ويمكن حرصه ده خلّا صوته يعلا شويه وكلامه يحتد خصوصًا إن أكمل استفزه بتسفيهه للدين والطعن في الإسلام، والصراحة هو استفزنا كلنا.. ربنا يهديه..

- لأ.. الموضوع مش موضوع اختلاف في الآراء، ولكن الموضوع يمس السلوك والأخلاق الطريقة اللي اتكلم بيها مصطفى غير لائقة، وغير مقبولة من تلميذ لأستاذه خصوصًا إنه ختم حديثه معايا بإسقاط على



القرآن الكريم.. لما قالي مش حاقدر أقولك غير "سلامًا"، هو يقصد الآية الكريمة "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا" صدق الله العظيم.

يعنى رماني في آخر حديثه المنفعل غير اللائق "بالجهل".. فإذا كان شايفني جاهل فأقل جزاء إنه يعتزل مجلسنا ويروح يتعلم من حد تاني مش جاهل.

أما أكمل فكان أكثر منه حدة وأشد عنفًا ولم يراعِ وجود أستاذه، واستخدم ألفاظًا لا تصلح لمناقشة محترمة في مكان محترم فتساوى معه في الذنب فكان لا بد أن يتساوى معه في الجزاء.

أما حكاية إن مصطفى غيور على دينه وإن أكمل بيعلن كفره بهذا الدين فهذا صحيح.

مصطفى يؤمن بدين وأكمل كافر بهذا الدين.

بس دين مصطفى مالهوش علاقة بالإسلام وكفر أكمل ملهوش دعوة برضو بالإسلام، فيه دين جديد تم



تلفيقه عن طريق تجميع بعض الآراء الفقهية الشاردة لبعض فقهاء الإسلام، هو ده الدين اللي مصطفى غيور عليه وهو نفسه اللي أكمل كفر بيه. همه الاتنين أخدوا دينهم من مصدر واحد فنتج عن كده واحد عنيف وواحد رافض، الإسلام الحقيقي أكبر وأرحم وأشمل وأسهل من الدين اللي هُمَّا اتعلموه.

نعم إنه دين جديد دخيل على الإسلام.

بهذه العبارة أنهى كمال مناقشته وانصرف مغادرًا قاعة الاجتماعات إلى مكتبه وما إن استقر على مقعده حتى استدعى نجوى فلبت مسرعة:

- تحت أمرك أستاذ/ كمال

قالتها بنعومة استجمعت فيها كل أشواق أنثى تتوق لوصال حبيب طال انتظاره.

- شيك قوي فستانك يا نجوى لايّق عليكى ومخلّيكي زي الفراشة الجميلة.



وكأنه ساحر تمتم بتعويذته عليها فتحولت إلى فراشة تحوم حول ضوئه الزهار مبهورة.. جمعت شتات نفسها وأدركت قلبها الخافق فكبحته قبل أن يقفز من صدرها وقالت:

- شكرًا لذوقك يا أستاذ كمال..

- الساعه دلوقتي 6 ونص، عايّزك تقابليني بعد ساعة في تريانون، خليكي بنفس الفستان ده إوعي تغيّري.

أومأت برأسها إشارة إلى الموافقة بعد أن أعجزتها السعادة عن الكلام . ****

في الموعد المحدد وجدته في انتظارها يرتدي حُلّة داكنة اللون أنيقة، أسفلها قميص حريري أبيض ورابطة عنق يتموج فيها اللون الأحمر القاني طاغيًا على مكونات ألوانها الأخرى المنزوية بنعومة خلف طغيانه، لأول مرة تراه متحليًا بمنديل حريري أبيض دُس بفوضوية في الجيب العلوي للسترة ..هو عادة أنيق، إلا أنها رأته هذه المرة كما لم ترَه من قبل، أنيقًا وسيمًا



زاهيًا متألقًا.. وقف لاستقبالها مبتسمًا، صافحها برقة بادية وجذب المقعد وأجلسها ثم جلس أمامها مصوبًا سهام نظراته إليها، نظرت إلى عينيه فتسارع النبض في عروقها، وتعالت دقات قلبها الخافق وكأنه ناقوس يقرع في هيكل الغرام.

- اتأخرت عليك؟ قالتها بصوت خفيض ناعم فيه ليونة واضحة.

- لأ إنتي عُمرك ما اتأخرتي عليّا. يلّا نشرب حاجة سريعة عشان ما نتأخرش.

- ما تتأخرش على إيه؟ إحنا رايحين فين؟

- هي دي المفاجأة اللي قولتلك عليها، على الله تعجبك.. أنا حجزت تذكرتين في دار الأوبرا، النهارده هاني شاكر حايغني بمناسبة ذكرى افتتاح أوبرا إسكندرية. كل سنة وانتي طيبة يا نجوى.. مش النهارده عيد ميلادك؟

هبطت هذه الكلمات على نجوى مهبطًا غمرها نشوة وسعادة لا يوصفان، ويح العشق وما يفعله في قلب العاشق الولهان.

- وانت طيب.. لكن انت عرفت إزاي تاريخ ميلادي؟

- سهلة، أكيد لو عايز أعرف حاعرف.

- أنا مش عارفة أقولك إيه.. أنا سعيدة جدًا باللّفتة الحلوة دي، وكمان هاني شاكر ده أنا باعشق أغانيه.. تقريبًا ما بسمعش غيره هو وعبدالحليم وفيروز، أنا مش عارفة أشكرك إزاي يا أستاذ/ كمال.

- من غير شُكر ولا حاجة، يلا اشربي القهوة عشان نلحق الحفلة.. وبعد الحفلة اعملي حسابك حانتعشى سوا.

- كمان! يااااه.. ده النهارده أكيد يوم ميلادي مش عيد ميلادي.



تركت نجوى سيارتها واستقلت مع كمال سيارته إلى حيث مبنى أوبرا الإسكندرية.

هبطا من السيارة وسارا سويًا عبر المدخل الخارجي للأوبرا حيث يتوسط المكان تمثال كبير من البرونز، عرفت نجوى من كمال أنه لنوبار باشا أول رئيس وزراء مصري في العصر الحديث.

انبهرت نجوى بفخامة المبنى وطرازه المعماري الفريد وتلك النقوش المذهبة التي تزدان به الأسقف والجدران، أخذ كمال يشرح لها تاريخ المبنى الذي شيَّده المهندس المعماري الشهير "جورج إرك" منذ مائة عام بصورة تكاد تكون متطابقة مع دار "أوبرا فيينا" بالنمسا ومسرح "أوديون" الشهير بالعاصمة الفرنسية باريس، وتم افتتاحه باسمْ "تياترو محمد علي"، وفي الستينيات تم محو اسم محمد علي – كالعادة - وأطلق عليه اسم "مسرح السيد درويش"، وظلَّت يد الإهمال الحكومية تقوضه حتى احترق تمامًا سنة 1971.. إلى أن قام وزير الثقافة الحالي فاروق حسني بالإشراف على ترميمه ليعود به إلى سابق عهده، وتم



إعادة افتتاحه سنة 1988 وأطلق عليه دار أوبرا الإسكندرية.

انطفأت أنوار الصالة وسُلِّطَت الأضواءُ المبهرة على الستارة الحمراء الأنيقة التي تحجب خشبة المسرح، وما إن دُقِّت الدقات الثلاث التقليدية للمسرح حتى انفرجت الستائر على مهلٍ لتكشف وجود الفرقة الموسيقية الكبيرة التي ملأت بآلاتها المتعددة خشبة المسرح على شكل الأوركيسترا ووقف "المايسترو" بعصاه التقليدية في مواجهة الحاضرين يقابل تصفيقهم بانحناءة وقورة.. ثم بدأ يشير بعصاه إلى فريق العازفين، فبدأوا بعزف مقطوعة موسيقية صغيرة للموسيقار كمال الطويل هي المقدمة الموسيقية لأغنية عبدالحليم حافظ الوطنية الشهيرة "بالأحضان".

توقفت الموسيقى ليدخل الفنان هاني شاكر بِحُلَّةٍ سوداءٍ تقليدية من النوع المسمى توكسيد، يزينها "بابيون" أسود حول الرقبة وقميص حريري أبيض محلى بقطعة حريرية بيضاء مطرزة على الصدر.



قابل الجمهور الفنان الملتزم بضوابط الغناء - زيًا وشكلًا ووقارًا وانتقاءً - بعاصفة من التصفيق، كانت القاعة وحولها شرفات البنوار تعج بصفوة المجتمع الإسكندري يرتدون جميعًا الزِّي الرسمي ورابطة العنق وكذلك النساء يرتدين فساتين السهرة التقليدية..

شعرت نجوى أنها تعيش في زمنٍ غير الزمن.. انتقلت من زمن الحداثة الهوجاء إلى زمن الأصالة والنقاء، من الضجيج إلى الصفاء، من القُبح والسوء والابتذال إلى الأناقة والرُّقِي والجمال.

بدأ الحفل وأخذ الفنان ينتقل من أغنية إلى أخرى فلا تقل الأخيرة عن الأولى أناقة، وصلت نجوى لقمة إحساسها وانفعالها ولم تشعر بنفسها إلا و تردد وراء المطرب بصوت عالٍ شجع بعض الجمهور على الترديد معها وراءه عبارة "بحبك أنا"..

فينك من بدرى.. "بحبك أنا"

يا منايا يا عمري.. "بحبك أنا"



مستني أشوفك وألمح طيفك ليلة يا غالي.

كانت نجوى تشعر أنها تغني هذه الأغنية لكمال وحده فلم تكن ترى في المسرح سواه.. راحت تلتهمه بعينيها وهي تصرخ وراء المطرب "بحبك أنا"..

أما كمال فكان ينظر إلى فرحتها وانفعالها بسعادة لم يقوَ على إخفائها إذ كانت تطل من عينيه ومن انفراج ابتسامته التي لم تفارقه منذ رآها.

انتهى الحفل وخرجت نجوى بصحبة كمال وقد انتابتها حالة من السُكر الوجداني البيِّن، لم تكن تدرى أكانت تسير أم تسبح أم تطير. لم تشعر إلا وهي جالسة على منضدة أنيقة تُضيئها شموع خافتة راقصة داخل مشكاة بيضاء، يتوسطها مزهرية نحيلة تتدلى من فوهتها زهرة بيضاء يانعة.

نظرت حولها وكأنها قد أفاقت لتوها من غفوة لم تدرِ أقصيرة كانت أم طويلة، فوجدت نفسها في مطعم صغير هادئ، خافت الضوء عتيق الأثاث أنيق، في ركنه



البعيد يجلس عازف على آلة البيانو يحرك أصابعه بهدوء وخفة فتنبعث رنات شجية حالمة تزيد المكان دفئًا وشاعرية..

حف النادلون مرحبين:

- شرَّفت كمال بك.. زي المعتاد يا أفندم ولّا نجيب المنيو عشان الهانم، قالها النادل ذو البشرة السمراء الداكنة والرداء الأسود الرسمي.

- إزيك يا صبحي؟.. هات المنيو لو سمحت.

نظرت نجوى إلى كمال قائلة:

- الظاهر حضرتك زبون دائم هنا.

- آه فعلًا أنا باحب أتعشا دايمًا هنا.

- المطعم ده شيك جدًا أنا أول مرة آخد بالي منه مع إنه في محطة الرمل ودايمًا باعدي من هنا بس مالفتش نظري إنه مطعم بالشياكة دي.



- ده مطعم سانتا لوتشيا يعتبر من معالم إسكندرية بقاله 82 سنة زي ما هو كده بنفس الطابع والديكور والهدوء.

- حاتخدي إيه؟

- زيك طبعًا..

انتهيا من العشاء وعقب رفع الأطباق.. أسرع النادل الأنيق بوضع تورتة بيضاء صغيرة عليها شمعة واحدة أشعلها.

وبدأ عازف البيانو في عزف مقطوعة عيد الميلاد المشهورة.

أطفأت نجوى شمعتها وسط تصفيقٍ خفيفٍ من كمال وبعض الحضور رغم قلتهم إلا أنهم زادوا الاحتفاء بهجة وسعادة.

أشار كمال إلى صبحي النادل إشارة بيده فأسرع إليه حاملًا طبقًا فضيًا مفروشًا بأزهار طبيعية متعددة



الألوان تتوسطه علبة متوسطه الحجم، وضع النادل الطبق بما عليه على المنضدة أمام كمال الذي أشار إلى نجوى قائلًا:

- اتفضلى هديتك يارب تعجبك.. كل سنة وانتي طيبة يا أحلى نوجه في الدنيا.

في ذهولٍ كانت نجوى تراقب المشهد وكأنها تشاهد فيلمًا سينمائيًا ليست هي بطلته.. يبدو أن كمال قد رتَّب كل شيء بعناية وإتقان ليُدخل السعادة إلى قلبها وقد نجح في ذلك نجاحًا باهرًا، فها هي تجلس ونفسُها سكرى بسحر الموقف الفاتن الخلاب، فلم تنطق ولم تجب. فالتقط هو العلبة وفتحها وقدمها إليها فإذ بها تحتوى على ساعة يد ليست كمثلها تحفة فنية ذهبية تخطف الأبصار محفور عليها اسم صانعها "باتيك فيليب".

- كتير أوي عليا اللي بيحصل ده.. أنا قلبي مش مستحمل.. مش عارفه أقول حاجة.. الشكر مش كفاية عليك.. أنا النهارده أسعد واحدة في الدنيا.



- كفاية عليّا ابتسامتك الصافية.

أخرج كمال الساعة من مكمنها، وأمسك بيد نجوى ليطوّق بها معصمها، فراحت أنامله تلامس ساعدها برفق ونعومة ألهبت مشاعرها فتخدرت أطرافها وارتعدت فرائصها، واستملحت لذةً سرت في أوصالها فاستسلمت لذلك الغزو الذكوري وتعطلت عيناها في عينيه تستجدي كرمًا في الوصل واستزادة، فأطال النظر إلى عينيها فأباحت من الأسرار كل دفين، مناجاة أشواق، وتوقيع ميثاق، وتبديد أوهام، وتحقيق أحلام، وشكوى جوى قاس وعشق مفرط وصبر سنين.

قطع صوت كمال تلك الخلوة الروحية بقوله:

- اللّه.. الساعة حاتاكل من إيدك حتة..

- اللّه يخليك ليّا يارب.. شكرًا..

- مافيش بينا شكر يا نجوى ده أنا لو جبت لك الدنيا كلها مش حاوفيكي حقك.



وقعت العبارة الأخيرة على نجوى موقع الصدمة العنيفة وتساءلت أيكون ما يفعله معها ردًا لما تبذله مع مازن من جهد؟

انقلبت أساريرها إلى النقيض وقالت:

- أنا اللي باعمله مع مازن يا أستاذ كمال نابع من إحساس صادق، ومش مستنية عليه جزاء ولا شكر ولا هدية.

ردَّ كمال مسرعًا:

- لا يا نجوى إنتي فهمتي غلط.. بصرف النظر عن كل اللي بتعمليه.. رغم إنه ساهم كتير في شعوري ليكي، لكن أنا باحاول أعبرلك عن تقديري وحبي.. بس ده كل اللي قصدته.. نجوى أنا ما صدقت ألاقي واحدة تفهمني صح.. إوعي تفهمينى غلط تانى لو سمحتى.

- حُبك!!

التقطت الكلمة من العبارة سريعًا.. ثم قالت:

- هو الحب لو موجود مش لازم نعبَّر عنه ونقول للي بنحبه كلمة حب؟.. أنا عمري ما سمعتها منك.

أمسك يدها بلطف ونظر إلى عينيها قائلًا:

- الحب يا نوجة شعور جياش وإحساس جامح ما يتخباش، من غير ما نقوله يتقال.. اللسان ممكن يكدب، لكن الإحساس عمره ما يكدب لأنه بيوصل من غير كلام.. مش أحمد ناجي بيقول "الصبُّ تفضحُهُ عيونه".

استقبلت نجوى هذا التصريح الذي طال شوقها إليه.. بصمتٍ فلم تُرد أن تعكر صفو هيامها بأي حديث آخر، أرادت أن تختتم يومها وصدى هذه الكلمات يظل باق يتردد في أذنيها دون أي صوت آخر.

نظرت إلى ساعتها الجديدة وقالت:

- ياه الساعة عدّت واحدة الصبح.. أنا اتأخرت قوي. أنا عمري ما سهرت كده بره البيت.



- أوكِ يالّا بينا.. بس ماتنسيش بكرة الجمعة الغذا في النادى مع الحاجَّة هاجر ومازن زي كل اسبوع، حانصلى الجمعة في النادي ونستناكي.

- آه. بس بكرة يمكن أتأخر شويه عشان شيماء اتصلت بيّا إمبارح وأخدت معاد مع الدكتور بتاع الكلى اللي قالتلي عليه عشان يشوف ماما.

- الساعه كام المعاد؟

- بعد صلاة الجمعة.. هي مصممة تعدى عليّا وتأخدني معاها نصلى الجمعة في مسجد في منطقة باكوس وبعدين ناخد ماما ونروح للدكتور.

ضحك كمال – قائلًا:

- خلاص بعد الدكتور حانستناكي، ولو الحاجّة والدتك تقدر تيجي معاكي يبقى ياريت عشان يمكن يكون عندي لها أخبار كويسة.

- ربنا يسهل.



****

بعد أن اطمأنت نجوى على والدتها دخلت إلى حجرتها بوجهٍ مشرق مطمئن ليس كهذا الوجه البائس المكفهر الذي كان حين غادرت تلك الحجرة صباحًا، استلقت على ذات السرير الذي كانت تستشعر جمراته بالأمس فإذ هو يتحول إلى فراش ناعم وثير. أغمضت عينين قريرتين واسترجعت لحظات ليلتها السعيدة حتى غلبها النُّعاس فاستسلمت لنوم هادئ عميق. إنه الحب.. كان همًا وعناء فانقلب سعادة وهناء أو كما قال الشابي:

ليت شعرى أيها الحُب قل لي.. من ظلامٍ خُلقت أم من ضياء؟

صحت نجوى من نومها على صوت هاتفها فالتقطته متكاسلة.. فإذ بها شيماء

- صباح الخير، إنتي لسه نايمة يا كسلانة..

- صباح الخير يا شيماء.. هي الساعة كام؟



- الساعة عشرة.. يلا قومي حضّري نفسك بسرعة، أنا حكون عندك بعد نص ساعة.

- بدري كده ليه مش صلاة الجمعة الساعة اتناشر.

- أيوه يا حبيبتي بس عشان نلحق مكان.. يلّا بسرعة.

أغلقت شيماء الهاتف فنهضت نجوى مسرعة لتستعد.

قبل انقضاء النصف ساعة كانت شيماء قد وصلت، فأسرعت إليها نجوى واستقلت معها السيارة وبوصولهما مشارف شارع السوق وهو الشارع الرئيسي في منطقة باكوس توقفت شيماء تاركة سيارتها لبعض الشباب الذين كانوا ينظمون وقوف السيارات بالمنطقة التي كانت مغلقة تمامًا من كافة الاتجاهات، الناس تفترش الطرقات من كل صوب في اكتظاظ كثيف انتظارًا للصلاة، سارت نجوى ممسكة بيد شيماء تقودها بين الزحام حتى وصلتا إلى مكانٍ فسيحٍ خلف المسجد المسمى "مسجد التوحيد" وهو عبارة عن جراج متحول إلى مسجد أسفل عقار قديم متهالك،



المكان الخلفي المخصص للنساء عبارة عن ميدان صغير يصب إليه ثلاثة شوارع ضيقه أو بالأحرى أزقة ملتوية، تفترشه النساء مصطفات في زِيٍّ يكاد يكون مُوحَّدًا لولا اختلاف ألوانه، طرحة طويلة متدلية إلى بداية البطن وجلباب واسع.

جلست نجوى ملتصقة بشيماء تحتمي بها من نظرات النسوة المُتطفلّات من حولها، فرغم أنها كانت تغطي شعرها بإيشارب وترتدي ملابسَ محتشمة إلا أنها شعرت بامتعاضهن.. لم تشعر نجوى يومًا بالنفور والغربة بالقدر الذي شعرت به بين هؤلاء النسوة اللاتي يفترشن الأرض،

يثرثرن ويطعمن أطفالهن في حالة من البلادة والهرج، وبعد أن ازدحم المكان واكتظ بالناس وأُغلقت كل الدروب والطرقات بالمنطقة، رُفع الأذان مُجلجلًا في أرجاء المكان بفعل مكبرات الصوت المنتشرة في إسهاب.



بدأ الخطيب - بصوت رخيم ذي رنين - بحمد الله والثناء على رسوله وآله وأصحابه بعبارات جزلة مُسجعة تُشد الآذان وتستنهض في القلوب كوامن الإيمان.

بدأ الخطيب خطابه بقوله تعالى في سورة البقرة:

" ولنبلوَّنكم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموالِ والأنفسِ والثمرات وبشِّر الصابرين"

وجعلها مُدخلًا لعقد مقارنة بين الرخاء الذي ساد في عصور الحكم الإسلامي، ضاربًا المثل بعصر الخليفة عمر بن عبدالعزيز، وبين هذه العصور المُظلمة التي انتشر فيها الخوف والجوع والفقر التي يعيشها المسلمون في الوقت الراهن.

وأخذ يُعدِّد مثالب المجتمع وانتشار الفساد وانعدام الذمم وانتشار البطالة بين الشباب، والفقر الذي استشرى في البلاد وأرجع ذلك كله إلى قلة الإيمان من ناحية وفساد أُولِي الأمر من ناحية أخرى.



ثم عرج سريعًا إلى هجوم حاد على رموز السلطة الحاكمة بتعريض واضح أشبه بالتصريح وكان أسلوب الهجوم يتنوع ما بين السخرية والتهكم حينًا والاتهام بالفساد وانعدام الإيمان والبعد عن صحيح الإسلام حينًا.

كان الخطيبُ يستعمل جملًا قصيرة تعج بالمترادفات المسجوعة.. مثل هذه الجمل القصيرة المسجوعة المتلاحقة كانت تستهوى الناس وتؤثر فيهم لأنها تلح عليهم بفكرة واحدة ما تلبث أن تستقر في وجدانهم!!

أنهى الخطيب خطبته الطويلة بدعاء مُطوّل على أعداء الإسلام والمسلمين من الكفرة والملحدين وأعداء الدين.

وأُقيمت الصلاة.

بعد انتهاء الصلاة نهضت شيماء وأمسكت بيد نجوى واصطحبتها وسارت بها بين المتزاحمين والمتزاحمات مسرعة إلى حيث باب المسجد حيث كان يلتف جمهور



عريض حول شخص متوسط القامة، وإن كان يميل إلى القصر قليلًا، أسمر البشرة، كثيف الشعر حليق اللحية والشارب يرتدى عباءة سوداء فوق حلة رمادية ورابطة عنق زرقاء.. كان يصافح الناس المتكأكأة عليه بزهو واضح.

جذبت شيماء نجوى من يدها واتجهت بها صوبه فسألتها نجوى عن وجهتها فقالت:

- تعالى نسلم على الأستاذ/ فهمي.

- مين فهمي ده؟

- اللي كان بيخطب الجمعة.. لم تنتظر ردًا واتجهت كالسهم تجر نجوى إلى حيث يقف ذلك الخطيب متخطية الملتفين حوله.. مدت يدها لتصافحه قائلة:

- الله ينور يا أستاذ / فهمي.. لافُض فوك.. مُبدع كعادتك.. ربنا يستر انت زودتها النهارده خالص.

صافحها قائلًا:



- المؤمن لا يخاف إلا الله يا أخت شيماء، ونظر إلى نجوى نظرة ثاقبة فبادرت شيماء بتعريفها إليه؟

- دي صديقتي نجوى.

- أهلًا وسهلًا يا أخت نجوى. ومد يده ليصافحها فمدت له نجوى يدها فأمسك على يدها ولم يفلتها قائلًا:

- إنتي أول مرة تحضري معانا الجمعة؟

سحبت نجوى يدها من يده القابضة بعد أن لمحت نظرة ثاقبة حادة من شيماء تجاه الشيخ، ثم قالت:

- آه الحقيقة دي أول مرة.

- إنتي بتشتغلي إيه يا أخت نجوى؟

- أنا باشتغل في مكتب الأستاذ/ كمال سعيد المحامي.

- صحيح! الأستاذ كمال زميلي ودُفعتى وحبيبي. سلّمي عليه كتير. إنتي مش عارفاني ولّا إيه؟ أنا فهمي



صلاح المحامي وكيل مجلس نقابة المحامين وعضو مجلس الشعب.

- أهلًا وسهلًا.. سوري.. أصل أنا عمري ما شُفت حضرتك.

- معلهش أنا يمكن مُقل جدًا في العمل بالمحاماة، أصل العمل العام والدعوه واخدني شويه، بس أنا مكتبي قُريب من مكتبكم، ثم أخرج من جيبه بطاقة تعارف وأعطاها لنجوى قائلًا:

- لو احتجتي أي حاجة من النقابة إتصلي بيَّا يا أستاذة.

شكرته نجوى وودعته شيماء وانصرفتا مسرعتين إلى المنزل لإحضار والدة نجوى لعرضها على الطبيب الذي نصحت به شيماء.

فى الطريق لم تكُف شيماء عن التحدث عن مآثر الأستاذ فهمي وقوة شخصيته وطلاوة لسانه وبيانه؛ فسألتها نجوى:

- إنتي تعرفيه بقالك كتير؟

- لأ من كام شهر بس، في مؤتمر بنادي الأطباء، وقال كلمة يومها كسّرت الدنيا.

- إنتي خلاص انضميتي رسمى للإخوان؟

- لأ أنا عضوة في حركة "كفاية".

- وإيه اللي عرفك بيهم وانضميتي لهم إزاي؟

- الأستاذ فهمي هو اللي عرّفني عليهم وكلفني إنى أكون معاهم لأنها حركة اتكونت من كل القوى السياسية في مصر وهدفها التغيير السِّلمي للحكم والوقوف ضد التوريث.

صمتت نجوى فقد أدركت أن شيماء قد سلَّمت نفسها تمامًا لتنظيم الإخوان يُسيرونها كيفما شاءوا وأن أوان عودتها قد فات.



وصلت شيماء إلى المكان المقصود وهو عقار سكني أسفله مسجد يسمى "البِر والتقوى" يعلو المسجد طابقان لهما مدخل مستقل عليه لافتة كبيرة مكتوب عليها "مركز البِر والتقوى لأمراض الكلى والجهاز الهضمي"

(المدير المسؤل: الأستاذ الدكتور/ عادل راشد أستاذ الأمراض الباطنية والكلى بكلية الطب) صعدت والدة نجوى مُتكئة على ابنتها وصديقتها تتلمس طريقها يحدوها أمل الشفاء .

المكان بعد صعود درج السلم يبدو فسيحًا بسيطًا مزدحمًا، بصعوبة تمكنوا من العثور على مقعد أجلست فيه نجوى والدتها وظلت واقفة بينما تركتهما شيماء واندست إلى داخل دهاليز المكان لتعود بعد عدة دقائق وهي تدفع مقعدًا متحركًا أجلست فيه والدة نجوى ودفعتها ومعها نجوى إلى داخل إحدى الحجرات حيث كان يجلس فيها طبيب ملتح يناهز الخمسين من عمره تقريبًا، استقبلهما بابتسامة عريضة.. وبدأ من فوره إجراءات الكشف على المريضة

بعد أن استلقت على سرير الكشف في زاوية الحجرة. ثم اطّلع على صور الأشعة والتحليلات التي كانت تحملها نجوى في حقيبة خاصة.

قال الطبيب بعد الفحص والمشاهدة:

- طبعًا أكيد انتو عارفين إن حالة الكلى متأخرة، وإن الحل الوحيد هو إجراء جراحة زرع كِلية.. ولغاية لما نلاقى متطوع ملائم الحاجّة لازم تواظب على الغسيل مرة على الأقل مرة كل إسبوع أو مرتين.

قالت نجوى:

- إحنا دايخين بقالنا كتير مش لاقين متطوع والدكتورة/ شيماء كانت قالت إن المركز هنا فيه متطوعين.. واحنا مستعدين ندفع أي مبلغ كتبرع أو مساعدة للمتطوع أو المركز أو لأي جهة.. المهم نلاقي حد مناسب لأننا قبل كده اتعرض علينا ناس وبعد التحليلات طلعوا مش مناسبين.



- ربنا يعمل اللي فيه الخير.. إطمني.. إحنا دلوقتي حناخد من الحاجة عينة دم ونعمل التحاليل اللازمة وحناخد بياناتك وتليفوناتك وأول لما نلاقي المتطوع المناسب حانتصل بيكي إن شاء الله.

انصرفن عائدات أدراجهن، نجوى ووالدتها بخفي حنين، وشيماء بالثقة في إدراك الأمل.

****

لم يصدق مينا نفسه وهو يستقل سيارة السجن التي أخرجته من المعتقل بعد قرار إخلاء سبيله ليعرض على إدارة مكافحة المخدرات بالإسكندرية لتنفيذ قرار الإفراج.

لقد صدق رشدي وعده معه فلم تمض عشرة أيام بعد منذ أن بشَّره بقُرب إخلاء سبيله إلا وقد أخلى سبيله فعلًا. ولكن هل سيصدق وعده في عدم انتقام ضباط مكافحة المخدرات منه إن أعاد لهم النقود والأقراص المخدرة؟



توقفت السيارة بعد بضعة ساعات أمام مقر الإدارة العامة لمكافحة المخدرات بشارع أبي الدرداء بمنطقة اللبان بغرب الإسكندرية، بالكاد توصلت السيارة التي تَقِلّه إلى مكان يصلح للوقوف لازدحام الشارع بالمركبات الرائحة والغادية وكذلك الترام التي تسير في خطين متوازيين بالشارع أحدهما للذهاب إلى منطقة مينا البصل والأخرى للعودة، إضافة إلى وجود ضريح الصحابي أبي الدرداء الأنصاري في منتصف الشارع تمامًا في موضع شاذٍّ يزيد من زحام المنطقة التجارية المكتظة بطبيعتها.

وحين تسأل أي إسكندري عن سر بقاء الضريح في مكانه وعدم نقله مع باقي الرفات حين أُنشئ الشارع في عصر الدولة الأيوبية يروي لك الأقدمون منهم أساطيرًا غريبة، منها أن يد العامل التي أرادت أن تنقل الرفات قد شُلت فور أن بدأ في نبش القبر وأن باقي العُمَّال قد أصابتهم حالة من الفزع ورفض الجميع نقل القبر من مكانه، فاضطرت السلطة إلى الإبقاء عليه.. ويروى بعضهم حول كرامات صاحب المقام الكثير من



الأساطير منها أن الطائرات الألمانية حين استهدفت مبنى المحافظة القريب من الضريح بصاروخ كان من شأنه تدمير المدينة أرسل صاحب الضريح كراماته لتتلقى الصاروخ وتبعده عن المدينة.. وغير ذلك من الخرافات التي شاعت حول صاحب الضريح، ولم يعتن أحد ببحث الأسباب الحقيقية حول بقاء الضريح في مكانه.

وقفت السيارة وهبط منها مينا وحارساه لينتهي به الأمر إلى البقاء في الحجز الخاص بفرع الإدارة العامة لمكافحة المخدرات ريثما يُعرض على رئيس الفرع مساءً.

وفي المساء كان يقف وجهًا إلى وجه مع العميد/ طاهر إسماعيل رئيس فرع إدارة مكافحة المخدرات الذي بادره بقوله:

- بُص يا مينا من غير لف ولا دوران، إنت عارف طبعًا انت عملت إيه؟ وعارف برضو إن إحنا ما بيضّحكش علينا ولا بنسيب حقنا.



- عارف طبعًا يا باشا.

- واللي حصلّك ده قرصة صُغيرة، بس أنا شايلّك التقيل، شوف يا سيدي إنت طبعًا على الورق خرجت من المعتقل وأنا كمان مضيت على الورق إنك مش مطلوب للإدارة في شيء.. يعني كده انت المفروض خرجت وروّحت، لكن اللي حايحصل إنك حتقعد عندنا كام يوم كده على سبيل الاستضافة.. تاكل وتشرب وتنام وتغير كمان هدومك وتحلق دقنك وتستحمى، يعني فول بورد.. بس ما حدش أبدًا حايعرف إنك هنا.

وبعد كده حانعمل محضر تحريات إنك ما زلت تباشر نشاطك الإجرامي في الإتجار بالمواد المخدرة وخصوصًا مادة الهيروين وناخد إذن من النيابة بضبطك وتفتيشك.. وبعدين نكتب محضر إن احنا تنفيذًا لإذن النيابة قمنا بضبطك وبتفتيشك عثرنا معك على كيس نايلون أسود اللون وبفضه وجدناه يحتوي على 250 لفافة كل لفافة تحتوي على مسحوق بيج اللون يشبه مخدر الهيروين، والكيس أهو جاهز والهيروين موجود وانت عارف الباقي طبعًا، دي كده



قضية حُكمها مؤبد. إيه رأيك ننفذ؟ ولا تنفذ انت اللي حاطلبه منك؟

- طلباتك أوامر يا طاهر باشا.. تحت أمرك.

- تمام.. أنا عايز منك 3 حاجات. أولًا.. الفلوس الميري.

- موجودة يا باشا تحت أمرك.

- وثانيًا البرشام.

- برضو موجود يا باشا في الحفظ والصون.

- كويس قوي والتالتة بقى صاحب البضاعة.

- يعني إيه يا باشا مش فاهم ما أنت عارف إن البضاعة بتاعتي.

- لا يا مفتح.. الراجل الكبير اللي انت جايب منه الحاجة..

- قصدك مين يا باشا؟

- إحنا حانلف وندور على بعض، الحاج صافي طبعًا.

- طب ما انتوا عارفينه أهو يا باشا ما تروحوا تجيبوه.

- لا يا روح أمك. ما انت عارف إنه جوه الصحرا وصعب إن احنا نجيبه عايزينك إنت تسلمهولنا ببضاعته.

- إزاي يا باشا؟

- يعني تروح تشتري منه كمية كبيرة وتتفق معاه على مكان التسليم وتسحبه في حتة نقدر نقبض عليه فيها.

- يا باشا أنا ما أعرفش أشتغل الشغلة دي، وكمان دي فيها رقبتي، إنت مش عارف عيلته ورجالته ممكن يعملوا فيّا إيه؟

- ماليش فيه، اتصرف.. قُدّامك يوم تفكر وترد عليّا..

عاد مينا أدراجه بالحجز ونفسه مليئة بالإحباط واليأس، فقد خبا لهيب أمل الحرية بعد أن كبّله ذلك



الضابط بشرط يستحيل تحقيقه. فأمرُ تسليم ذلك الإعرابي الأعراف تأباه والنفس لا ترضاه، وهو فوق ذلك محفوف بالمخاطر ولا يُحمد عقباه.. جلس في زاوية الحجز مهمومًا مكروبًا مغلول الفكر معدوم الحيلة والوسيلة.

****

بعد أن ودعت نجوى شيماء وشكرتها على ما تكبدَّته معها من مشقة.. ورغم كلمات الأمل الممزوجة بالثقة التي حاولت شيماء أن تودعها في نفس نجوى.. إلا أنها لم تستشعر أيَّ أملٍ، فالمرضى كُثر، والمتطوعون ندرة، ولائحة الانتظار طويلة، وذلك المركز محدود الإمكانيات وهو يكاد أن يكون مُغلقًا على المنتمين للجماعة يوليهم عنايته دون غيرهم.

ورغم ذلك أخذت نجوى تبُث الأمل في نفس والدتها.. ولم تتركها إلا بعد أن أشرفت على تناولها العلاج وقامت بإعداد طعامها ثم ذهبت إلى النادي حيث كمال وأسرته.



إستقبلت الحاجة هاجر نجوى بكثير من البشاشة الزائدة وأجلستها إلى جوارها وسألتها عن سر تأخرها.

- معلش يا طنط كنت مع ماما عند الدكتور.

- وعملتي إيه يا بنتي طمنيني؟

- ولا حاجة.. مستنيين فرج ربنا إن احنا نلاقي متطوع يتبرع بكليته. والحالة كل مدى بتسوء أكتر.. ربنا يستر..

- اللي أعرفه يا حبيبتي إن فيه ناس بتبيع الحاجات دي.

- ما هو يا طنط هو اسمه تبرع لكن بيبقى في مقابل مادي طبعًا وأنا مستعدة أدفع أي مبلغ إن شالله أبيع اللي ورايا واللى قدامي. بس أشوف أمي بصحتها تاني.

لم تستطع نجوى أن تحكم على مذارفها التي سالت مدرارة، فطوقتها الحاجة هاجر بذراعيها في حنوٍّ بالغٍ



وأخذت بمنديلها تكفكف عنها دمعها المنهمر. وهي تقول:

- يا بنتي قولي يارب.. فرَجُه قريب إن شاء الله.

وهنا حضر كمال على هذا المشهد المؤثر متسائلًا:

- إيه خير في إيه؟.. مالك يا نجوى؟

- ردت الحاجة هاجر لا بس هي متأثرة شويه بموضوع مرض مامتها.. ربنا يشفيها.

جلس كمال وسأل نجوى عن نتيجة زيارتها للطبيب الذي أشارت به شيماء فقصت عليه نجوى ما كان.. فقال مبتسمًا:

- سيبك من شيماء وجماعتها، أنا جايب لك خبر كويس.

- خير؟



- أنا بقالي كتير من يوم ما طلبت منك صور الأشعة والفحوص بتاعة ماما وأنا باسعى.. وبعتّ لكل المراكز والمستشفيات المتخصصة في عمليات ذرع الكلى صور من التقارير دي لغاية لمّا رد عليّا إمبارح الصبح بدري الأستاذ الدكتور/ عميد طب المنصورة ورئيس أكبر مستشفى متخصصة في عمليات زرع الكلى تابعة للجامعة هناك. واداني تليفون دكتور إسمه محمد راضي وقالى إن الدكتور ده عنده متطوعين لأنه كان بيجمع متطوعين عشان والده - الله يرحمه - كان محتاج لنقل كلى وكان بيحاول يلاقي متطوع ملائم للحالة، لكن والدة توفاه الله قبل ما يجري العملية، وعشان كده عنده داتا لبعض المتطوعين، وبالفعل اتصلت بيه النهارده والراجل رحّب وقالي إنه عامل تحاليل لكل المتطوعين اللي عنده وإن فيه اتنين منهم متوافقين مع تحاليل الحاجّة والدتك.. وأنا بكرة حسافر له وحاعمل اتصال بالاتنين دول وأشوف استعدادهم.. ولو حبيتي تيجي معايا تعالي.



قفزت نجوى من فرحتها وأمسكت برأس كمال لتطبع عليها قُبلة فيها كل آيات الشكر والعرفان.

- احتضنتها الحاجة هاجر وطبعت قُبلتين حانيتين على وجنتيها قائلة:

- مش قُلت لك فرجُه قريب يا بنتي.. إن شاء الله ربنا يتمم شفاها على خير.

في الصباح الباكر كانت سيارة كمال - تجاوره نجوى – تنهب الطريق الزراعي من الإسكندرية صوب مدينة المنصورة..

تقابلا مع المتطوعين اللذين تتوافق تحاليلهما مع حالة والدة نجوى، وقام كمال بالاتفاق معهما على موعد إجراء التحاليل النهائية لانتخاب أحدهما لإجراء الجراحة بعد أن اتفق معهما على قيمة التبرع وكيفية سداده.. وهو الأمر الذي حجبه عن نجوى.

وبعد حوالي أسبوع انتقلت والدة نجوى بسيارة مجهزة إلى مركز أمراض الكلى والمسالك البولية



بالمنصورة.

تم إجراء الجراحة على يد الجراح المصري العالمي الدكتور/ محمد غنيم.

وفي وحدة العناية الفائقة.. أفاقت والدة نجوى من سباتها لتجد نفسها محاطة بعددٍ وفير من الأطباء والممرضات يعملون في اجتهاد واحتراف وابتسام على الآلات والأجهزة الموصولة بجسدها.

وما إن استكملت درجات إفاقتها حتى وجدت نجوى تقبِّل يدها ورأسها وكل ما ظهر من جسدها مبتسمة في سعادة ودمع العين ينهمر، وقالت بصوت ينصهر فيه الأمل والسعادة والوفاء:

- حمدلله على السلامة يا حبيبتي.. الحمد الله العملية نجحت والدكاترة طمنوني..

دخل عليهم كمال واطمأن عليها وقبَّل رأسها وتمنى لها تمام الشفاء وتبادل مع نجوى نظرات حملت معاني كثيرة من الحب والامتنان والعرفان، وما لبث أن

تركهما ليدخل إلى الحجرة المجاورة حيث يرقد المتطوع بإحدى كليتيه وحيدًا إذ لم يخبر أيًا من ذويه بما أقدم عليه، فجلس إلى جواره يطمئنّ عليه ويُطمئنه ويفصح له عن آيات الشكر والامتنان ويُعلي من شأن تبرعه الذي أنقذ حياة امرأة مريضة يائسة.

****



فشا نبأ عدم خروج مينا من فرع إدارة المخدرات حتى وصل إلى رشدي في محبسه في مكالمة هاتفية من مصطفى أجراها على هاتف أحد أمناء الشرطة الذين يتربحون من إجراء هذه المكالمات بعيدًا عن إدارة السجن أو بعلمهم أحيانًا.

هرع رشدي منزعجًا إلى الشيخ أبي مصعب الذي هدَّأ من روعه وطمأنه ووعده بالتصرف.

وما هما إلا يومين وكان مينا ينعم بحريته بين أسرته بعد أن تلقى العميد طاهر إسماعيل مكالمة من اللواء وكيل الإدارة العامة لمكافحة المخدرات بالقاهرة يأمره فيها بوجوب إخلاء سبيل مينا بعد إعادة النقود والأقراص المخدرة.

تلقى رشدي نبأ الإفراج عن مينا عن طريق أبي مصعب قبل أن يزفه له مصطفى هاتفيًا..

تأكد لرشدي أن هؤلاء المشايخ يشكلون قوة متغلغلة في المجتمع - أفراده وسلطاته - تضاهي قوة الدولة



ومؤسساتها، وتيقن أنه أوقع نفسه بين فكي الرحى سلطة الدولة وسلطة المشايخ.

****

اتصلت شيماء بنجوى تطمئن على أحوالها وعلى صحة والدتها.

- السلام عليكم ..

- أهلًا يا شيماء ازيك؟

- الحمد لله، أنا معلهش بقالي كتير ما اتصلتش عشان أطمن على ماما أنا عارفة إنى مقصرة لكن غصب عني والله.

- أنا عارفة إنك مشغوله بحكاية الدراسات العليا اللي قدمتي فيها وعمومًا دي خطوة كويسة ربنا يوفقك.

- يارب، المهم طمنينى ماما عاملة إيه دلوقتي.



- الحمد لله بدأت تتحرك والجرح خف والدكتور مطمنا وربنا يستر ومايحصلش مضاعفات.

- خليها تواظب على العلاج عشان الجسم يقبل الكلية المنقوله، والحمد لله هي ماعندهاش سكر ووزنها خفيف، ولو في أي علاج محتاجاه مش موجود هنا أنا مسافرة بره كمان يومين ممكن أجيبوه لها معايا.

- مسافرة! مسافرة فجأة كده.. ما انتي كنتي معايا الاسبوع اللي فات ماجبتيش سيرة السفر، مسافرة فين إن شاء الله؟

- رايحة صربيا.

- صربيا!! أول مرة أسمع إن حد بيسافر صربيا، هي مش دي لسه دولة جديدة منفصلة عن يوغوسلافيا؟!

- آه بالظبط كده، ده انتي مذاكرة أهو.

- ومسافرة تعملي إيه ومع مين؟



- الحكاية جت بالصدفة، فيه دعوة من منظمة اسمها كانفاس لشباب 6 أبريل لحضور مؤتمر عن التجربة الصربية في التغيير السِّلمي.

- طب وانتي مالك بشباب 6 أبريل إنتي مش آخر حاجة كنتي في حركة كفاية.

- آه.. بس المهندس أحمد ماهر منسق حركة شباب 6 أبريل كلمني وعرض عليا إني أروح معاهم وأنا وافقت.. قلت أهي فرصة اسافر وأشوف الدنيا وأتعرف على الناس.

- والله انا خايفة عليكي يا شيماء من اللي بتعمليه ده! إنتي يا بنتي غرقانة في السياسة وعاملة زي المرجيحة من الإخوان لكفاية لستة إبريل.. إهدي شويه يا شيماء وركزي في مستقبلك.

- ما تخافيش يا نوجة.. أنا الحمد لله مش باعمل حاجة غلط وماشية بما يرضي الله والله غالب على أمره.



- ونعم بالله.. وحاتقعدي أد إيه في السفرية دي؟

- مش كتير، أسبوع واحد بس وآجي.

- تيجي بالسلامة.

- مش عايزة حاجة؟

- الله يخليكي شكرًا.

****

تنفيذًا للخطة التي لقنها رشدي لمينا قبل خروجه التقى الأخير بالشيخ مستور الهواري في قصره المنيف المقام على ربوة متاخمة لطريق مطروح الساحلي عند تقاطعه بالطريق الفرعي المؤدي إلى مدينة الحمام.. وبعد الانتهاء من وجبة الغذاء الدسمة وواجب الضيافة أفضى مينا للشيخ مستور برغبة رشدي في العمل معه في تجارة السلاح بعد أن طمأنه بنقل سِرٍّ بينه وبين رشدي لا يعرفه أحدٌ سواهما.. وبعد أن سحب نفسًا



عميقًا من نرجيلته ونفث دخانها الكثيف الأزرق في أرجاء المربوعة التي يجلسان بها قال الشيخ مستور:

- وليش مستعجل يا مينا، وكنك ما تصبر لنين ما يطلع رشدي ويتفج إمعاي بروحا؟

- ما هو يا شيخ العرب هو مش عارف حايطع إمتى.. ده مُعتقل ما نعرفش إمتى ممكن يطلع، كمان شهر، كمان سنة، الله أعلم، وبعدين هو عايز برضو يجرب الشغلة الجديدة دي وهو بعيد، وأهو يشغَّل الفلوس اللي عماله تخس وعقبال ما يطلع مش حيلاقي حاجة، وهو مصاريفه كتير زي ما انت عارف.. وأنا موجود أهو أحل مكانه ولّا أنا ما انفعش؟

- نا والله مانقصدش هوك، إنت مافيك سوّ بيكفي إن رشدي واثق بيك.

- على بركة الله.

- نتكلم بقى على تفاصيل الشغل يا شيخ.



- لا.. ناما انتخرفش عالشغل في البيت.. إنت أخدت واجبك سيب نمرة اتليفونك وولدي منصور أساعا يكلمك ويجولك ايش المطلوب.

انصرف مينا على وعدٍ باتصال من المدعو منصور للاتفاق معه على تفاصيل الصفقة.

وبعد أيامٍ ثلاثة اتصل به منصور وتواعدا للقاء يجمعهما على العشاء في أحد مطاعم المشويات المشهورة بالإسكندرية. وفي هذا اللقاء تم الاتفاق على أنواع السلاح المطلوبة وكمياتها.. واتفقا على لقاء آخر في ذات المكان حتى يتسلم منصور المبلغ المتفق عليه كعربون للصفقة وهو مبلغ مائة ألف دولار أمريكي على أن يقوم بسداد باقي المبلغ وقدره مائتي ألف دولار عقب استلام الأسلحة والتي سيتم الاتفاق على موعد وطريقة استلامها لاحقًا.

نقل مينا إلى مصطفى صديق رشدي مضمون الاتفاق وطلب منه تجهيز المبلغ في غضون ثلاثة أيام ليسلمه بدوره إلى منصور ابن الشيخ مستور.



وتنفيذًا للتعليمات التي تلقاها من رشدي ذهب مصطفى إلى شركة من شركات الصرافة الشهيرة بمنطقة المنشية يمتلكها رجل الأعمال الشهير الحاج طاهر السنديوني.. وما إن التقى به وعرَّفه بنفسه حتى سلمه حقيبة جلدية تحتوي على المبلغ المطلوب دون أن يدور بينهما أي حديث.

بعد أقل من خمسة عشر يومًا كانت الصفقة معدة للتسليم في مصر.

تم الاتفاق على موعد ومكان التسليم بصحراء الجيزة عقب غروب الشمس مباشرة. وتم تدبير باقي ثمن الصفقة بنفس طريقة تدبير المقدمة.

تمت العملية بهدوءٍ ونَجاحٍ. رغم أن مباحث أمن الدولة كانت تراقب جميع الخطوات بدقة وترصد كل التحركات من جميع الأطراف إلا أنها رأت تمرير الصفقة لمصالح أمنية تتجاوز وتعلو على المصلحة في ضبطها.

****



هنأ رشدي كل من الشيخين أبي مصعب والأبتر على نجاح العملية، وكم كانت سعادتهما بادية بهذا الإنجاز وهو الأمر الذي شجَّع رشدي على أن يطلب إليهما العمل على إخلاء سبيله من المعتقل كما فعلا مع مينا فوعداه بإتمام ذلك على وجه السرعة بعد الاتفاق على طريقة العمل في الصفقات التالية وتعيين همزة الوصل بينهما وبينه.

كان رشدي على تواصل دائم مع ضابط أمن الدولة أحمد الطرابيشي يُطلعه على كل الخطوات والاتفاقات أولًا بأول. حتى اللجوء إليهما في ترتيب إخلاء سبيله كانت بإيعاز من الطرابيشي.

طلب رشدي من الضابط أن يتم إبعاد دعبس باعتقاله أو بحبسه بعضًا من الوقت قبيل خروجه كي لا يتم الاصطدام به ومواجهته ومنازعته في سطوته عند خروجه حتى يتسنى له تدبير حاله واستعادة نفوذه على أعوانه بسلام. وفعلًا تم اعتقال دعبس وأودع ليمان برج العرب قبل إخلاء سبيل رشدي بعدة أسابيع.



خرج رشدي ليتنسم عبير الحرية بعد قرابة عشرين شهرًا قضاها بين الحبس على ذمة قضية القتل والاعتقال..

خرج من بوابة مديرية أمن الإسكندرية بعد أن أنهى إجراءات الإفراج ليجد رهطًا من الناس في استقباله، يتقدمهم صديقه الوفي مصطفى وولديه وأشقائه وبعض من رجال عصابته المقربين على رأسهم مينا جرجس، إلا أن ما لفت نظره بشده هو وجود كل من الشيخين سعيد الزيني وفضل الروبى ومعهما نفر من مشايخ السلفية مع زمرة المستقبلين.

إنتبه رشدي لمظهره الجديد – حين سمع جميع مستقبليه ينادونه بلقب "الشيخ رشدي " فقد كان يرتدي جلبابًا أبيضَ مع شالٍ يغطي رأسه بينما تتدلى لحيته بغير تهذيب على صدره، فنظر إلى خليط مستقبليه من البلطجية والشيوخ فقفز إلى رأسه سؤالًا ملحًا.. أعاد من محبسه إلى سيرته الأولى بلطجيًا؟ أم تحول.. بعد ما تلقاه من دروسٍ دينية، شيخًا؟ أم صار مزيجًا من كليهما معًا؟



ما إن وطأت قدم رشدي منطقة سكنه بناحية "نادي الصيد" حتى فوجئ باحتفالية كبرى في انتظاره شارك فيها الجميع، كانت مظاهرة هي خليط بين الحب والنفاق، الخارجون عن القانون مع الفقراء والمهمشين بصحبة المشايخ السلفيين والإخوان المسلمين كلهم معًا فرحين مهللين مهنئين ثم تجمعوا حول الولائم المنثورة في كل السرادقات الممدودة في الساحات والميادين والطرقات والتي أعدّها ذوو رشدي بمناسبة الإفراج عنه.

وقف رشدي بالصف الأول بالمسجد يجاوره الشيخ سعيد الزيني لأداء صلاة العشاء يؤمهم الشيخ فضل الروبي وقد ازدحم المسجد عن آخره بأعضاء الدعوة السلفية وكثير من أهالي المنطقة حتى أولئك الخارجون عن القانون من أتباع رشدي اصطفوا بين المصلين في خشوع مصطنع.

انصرف رشدي بعد الصلاة إلى مسكنه لينال قسطًا من الراحة على وعدٍ بلقاء الشيخ سعيد بالمسجد لأداء صلاة الفجر.



صحا من نومه على صوت أذان الفجر فتوضأ وهرول مسرعًا إلى المسجد ليؤدي فيه صلاة الفجر لأول مرة في حياته.

عقب الصلاة جلس بصحبة الشيخ سعيد وجمعٍ من مريديه يقرأون ما تيسر من القرآن حتى شروق الشمس. وقبل الانصراف أخبره الشيخ سعيد برغبة الدكتور/ عامر برهان في لقائه، كان اسم الدكتور عامر برهان يتردد أمام رشدي في مناسبات عديده سواء في وسائل الإعلام أو عن طريق السلفيين داخل وخارج المعتقل. تملكته الدهشة، لماذا يريد شيخٌ في شهرة ومكانة هذا الرجل أن يلتقي به، فسأله مندهشًا:

- الدكتور عامر عايز يقابلني أنا! ليه خير يا مولانا؟

- الراجل سمع عنك وفرحان جدًا بتوبتك والتزامك وعودتك لحزب الله، وعايز يقعد معاك يرشدك ويثبتك.. ونصيحة مني يا رشدي حاول تواظب على حضور مجالس الدكتور لو كنت عايز تعرف دينك صح،



ده راجل عالم وربنا فاتح عليه أبواب علمه وكلنا بنسترشد برأيه.

- أنا فعلًا باسمع عنه كل خير. إن شاء الله أروح له بكرة. بس ما قولتليش أروح إمتى وفين؟

- بكرة نصلى العصر سوا ونروح له مع بعض في المسجد بتاعه في سيدي بشر إن شاء الله، لكن ما قولتليش يا رشدي إنت ناوي تعمل إيه وحاتنظم حياتك إزاي؟

إوعى يا رشدي تكون ناوي ترجع لطريق الحرام تاني.

- أستغفر الله يا مولانا، ربنا يباعد بينا وبين الحرام، أنا إن شاء الله أول حاجة ناوي أعملها إني حاهدّ البيت القديم في الشارع اللي ورا اللي قاعدة فيه الحاجّة والدتي، وأبني مكانه عمارة، أعمل البدروم والدور الأول مسجد والدور المسحور والأول علوي حاعمله مركز لعلاج الإدمان عشان أساعد الشباب الصغير اللي وقعوا في طريق الإدمان.



- أثابك الله.. هو ده العمل اللي يكفر عنك ويقربك لله.. بالتوفيق يا رشدي.

****

استقبل الدكتور عامر برهان رشدي ببشاشة وترحاب وأجلسه بعد أن عرفه بالحاضرين على مقربة منه. وبدأ في شرح موضوع الدرس اليومي لمريديه، كان باديًا عليه اهتمامه البالغ برشدي إذ كان يتوجه إليه ببعض الأسئلة بين الحين والآخر عن بعض تفاصيل المعلومات التي كان يطرحها اختبارًا لمتابعته وتركيزه ولحدود معلوماته الدينية، كان الدرس يدور حول موضوع علاقة الرجل بالمرأة بين الحرام والحلال. وكان يرى أن عقد الزواج ليس هو الحد الفاصل بين العلاقات التي أحلها الله أو تلك المحرمة، فكم من علاقات تتم بين الرجل والمرأة تحت مسمى الزواج وهي في حقيقتها علاقات محرمة. مثل زواج المتعة وزواج المحلل وزواج المحرمات من النساء وزواج الشغار، وأن هناك علاقات لا يظللها الزواج ورغم ذلك فقد أحلها الله؛ مثل مِلك اليمين وراح يشرح في

إسهاب كل نوع مما أشار إليه مسترشدًا بآراء الفقهاء خاصةً ابن تيمية وابن حنبل وابن كثير مع عددٍ وفيرٍ من الأحاديث النبوية التي تؤيد ما طرحه من آراء.. إلا أن أكثر ما أثار انتباه رشدي هو موضوع مِلك اليمين فراح يسأل عن أحكامه وشروطه.

بعد انتهاء الدرس أهدى الدكتور عامر إلى رشدي كتابًا عنوانه "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية" لابن تيمية ونصحه بدراسته.. تلقى الهدية وغادر منبهرًا بحديث الدكتور عامر عاقدًا العزم على المواظبة على هذه الدروس لينهل من هذا العلم الذي ظنه غزيرًا وحسبه مستنيرًا.

****

دعا رشدي رجال عصابته إلى اجتماع عاجل بعد أن سرت بينهم الأقاويل حول شخصيته الجديدة وتحوله المريب وانجذابه الشديد إلى مشايخ السلفية فبدأوا في التحول والانفضاض عنه.



وفي الاجتماع الذي لم يتخلف عنه سوى دعبس لاعتقاله، بادر رشدي بالحديث فقال:

- أنا مهما قُلت مش حاقدر أوفيكم حقكم ومش ممكن أنسى إن انتوا كلكم إخواتي وحبايبي وبينا عشرة طويلة وعيش وملح. وعشان كده أنا جمعتكم النهارده عشان أقولكم إن الشغل اللي بينا مش حايتقطع ومرتبات الرجالة كلها حاتفضل زي ما هي.. وممكن تزيد كمان.

سرت همهمة بعد هذه العبارة الأخيره بين المجتمعين. ثم سأله أحدهم.

- يعني إحنا حانشتغل زي ما كنا إزاي بس واحنا مش عارفين حانقولك يا معلم رشدي ولاَّ يا شيخ رشدي؟

رد رشدي سريعًا:

- الشيخ رشدي طبعًا لأننا حانشتغل مع بعض أيوه. لكن مش بنفس الطريقة.



- يعني إيه؟

- إهدوا شوية حاشرح لكم.. إنتوا عارفين إن الفرق بين الحرام والحلال حاجة بسيطة جدًا.. يعني ممكن نشوف شغلنا ونعمل كل حاجة ونكسب قد اللي كنا بنكسبه مية مرة بس بطريقة حلال.

- إزاي يعني؟

- إحنا أغلب شغلنا في الأراضي والعمارات القديمة.. بلطجية لحساب الغير.. طب ما نقلب الموضوع ونشتغل مقاولين.. ونحرس شغلنا بنفسنا، وحتى لو استخدمنا السلاح في حماية مالنا ماهوش حرام معظم المقاولين بيستخدمونا لما بيشتروا أراضي ويلاقوا حد اعتدى عليها.

إحنا بقى لو وضعنا ادينا على أي أرض مش ممكن حد حايفكر إنه يعتدي عليها ولو فكر حانتصرف معاه بشرع ربنا، ونفس الحكاية في العمارات اللي عايزين نخليها من السكان بدل ما نعتدي على السكان



ونطلعهم بالعافية حانسوق عليهم المشايخ وأكيد حايقنعوهم وحايضمنوا إنهم حايرجعوا تاني. يعني عايز أقول إن كل اللي كان بيتعمل بالشر ممكن يتعمل بالخير وإن مافيش شغل حرام غير الحرام اللي موجود في القرآن.. يعني السرقة واحنا مش بنسرق – والقتل بغير حق – وإحنا لو قتلنا حايكون أكيد بحق، والبناء والهدم بدون ترخيص مش حرام والبناء على الأراضى الزراعية مش حرام والتهريب مش حرام والتهرب من الضرائب مش حرام لأن كل دي قوانين وضعية مالهاش دعوة بشرع ربنا المهم إننا ندفع الزكاة اللي ربنا قال عليها، اللي عايز أقوله إننا ممكن كمان نتوسع في التجارة الحلال زي تجارة الأسمنت والحديد وتجارة العملة، وحتى تجارة السلاح مش حرام. لكن لازم نبطل حكاية الإتاوة اللي بناخدها بالعافية من الناس الغلابة لأنها حاتجيبلنا وجع الدماغ على الفاضي وهي كلها ملاليم بالنسبة للي حانكسبه من باقي الشغل واحنا محتاجين لتعاطف الناس الغلابة معانا علشان يمشوا ورانا ويدعوا لنا.



أنا قُلت اللي عندي. اللي عايز يكمل معايا حاحطه في عنيا، واللي مش عايز براحته يشوف مصلحته ومش حاقف في طريقه ولو عاز مساعدة مني في أي وقت حاكون تحت أمره.. أنا حاسيبكم دلوقتي وأورح أصلي المغرب ولما أرجع مش عايز ألاقي غير اللي موافق على كلامي عشان نقرا الفاتحة سوا.

عاد رشدي بعد الصلاة ليجد العصبة ما زالت مكتملة لم يغادرها أحدٌ فتيقن أنهم ما زالوا على عهدهم معه فانفرجت أساريره قائلًا:

- أهلًا بيكم جميعًا في شركتكم الجديدة "التائبون" للتجارة والمقاولات.

اندهش الجميع وتساءلوا عن المقصود بهذا فقال:

- أنا قررت أعمل شركة نشتغل من خلالها كلنا ويبقى لها مقر وإدارة وحسابات في البنوك ونتحول لرجال أعمال إيه رأيكم؟

استحسن الجميع الفكرة وهنأوا رشدي مقدمًا.



- عايز أقول كلمة أخيرة قبل ما نقرا الفاتحة، أنا مش حاجبر حد على الصلاة والالتزام.. بس اللي عايز يعمل حاجة حرام يعملها بعيد عنِّي.

قرأ الجميع الفاتحة سِرًا ثم انصرفوا إلا مصطفى فقد طلب رشدي الانفراد به قليلًا. وسأله عن أحوال شيماء.

- ياه انت لسه فاكرها يا معلمي.. قصدي يا مولانا.. ده أنا قُلت إنك نسيتها.

- لأ طبعًا هي شيماء ممكن تتنسي يا مصطفى؟

أخبره مصطفى أنها قطعت اتصالها به عقب اعتقاله مباشرة إلا أن ذلك لم يمنعه من الوقوف على أخبارها فقد عادت إلى الجامعة وارتدت الحجاب الشرعي وانضمت إلى الإخوان وأصبحت ملتزمة دينيًا. حريصة على الصلاة في المسجد وحضور الدروس الدينية مع الشيخة (أم عمرو) زوجة الحاج طاهر السنديوني الإخواني الشهير وصاحب شركة الصرافة التي يتعامل



معاها في تدبير التمويل اللازم لصفقات السلاح.. تلقى رشدي تلك الأنباء عن شيماء دون أن يعلِّق إذ سمع أذان العشاء فهمَّ إلى المسجد لأداء الفريضة.

****

واصل مينا عمليات جلب الأسلحة عن طريق الشيخ مستور الهواري بقيادة رشدي عن طريق مصطفى الذي كان يمثل حلقة الوصل بين رشدي ومينا والعميد أحمد الطرابيشي والحاج طاهر السنديوني صاحب شركة الصرافة. وكان رشدي يتلقى الأوامر بأنواع الأسلحة المطلوبة ومكان تسليمها عن طريق طبيب شاب يدعى الدكتور يوسف صالح.. يقيم في دائرة إقامة رشدي.

يوسف من أسرة فقيرة تعيش في نادي الصيد والده يعمل سائق قطار ولديه من الأشقاء والشقيقات أربعة دونه نالوا جميعًا قسطًا من التعليم، إلا أن يوسف وكان أصغرهم قد تفوق عليهم في دراسته حتى التحق بكلية الطب وأبلى فيها بلاءً حسنًا إلى أن صار الأول على دفعته فقام عميد الكلية بتعيينه معيدًا بقسم

المخ والأعصاب وحصل على درجة الماجستير بتقدير امتياز وها هو يتأهب لينل درجة الدكتوراة. ورغم انشغاله في عمله كطبيب امتياز بمستشفى الجامعة وانكبابه على دراسته العلمية كان يواظب بانتظام على حضور الحلقات والدروس الدينية التي كان يعقدها كبار مشايخ الإسكندرية بالإضافة إلى عمله في مركز علاج الإدمان الذي افتتحه رشدي.

استغل رشدي صفقات السلاح التي كان يتوسط في جلبها تحت حماية أمنية وأخذ يجتزئ منها جزءًا يسيرًا لحسابه الخاص يقوم بتسليمه تسليمًا خاصًا لبعض تجار السلاح بصعيد مصر باتفاق خاص مع الشيخ مستور الهواري.

****

عادت شيماء لتوها بعد انتهاء لقاء الشيخة (أم عمرو) الذي ينعقد يوميًا عقب صلاة العصر في المسجد القريب من مسكنها.. وقبل أن تشرع في تبديل ملابسها دق جرس الباب فنظرت إلى الشاشة



استكشافًا للطارق فوجدت شخصًا ملتحيًا يرتدي جلبابًا وشالًا أبيض اللون.. فتحت الباب فاندفع الرجل إلى الداخل قائلًا بصوت مألوف:

- السلام عليكم إزيك يادكتورة؟

- عليكم السلام!

- إيه مش عارفاني ولاَّ إيه؟

أُسقط في يدها وارتعدت فرائصها.. إنه هو.. أدركت أن اليوم الذي ظلت تخشى قدومه قد حان.

قالت بصوت مبحوح وكأن الردى يخنقه:

- مين ؟.. رشدي!

دفع الباب بيده فأغلقه عليهما وقال:

- إيه؟ مالك كأنك شُفتي عفريت.



- لا. أبدًا بس مستغربة شكلك.. هو انت هربان من البوليس؟

- أستغفر اللّه العظيم.. هربان إيه بس.. ما إنتي كمان أهو ما شاء اللّه اتحجبتي وربنا هداكي، واللي هداكي هداني يا شيماء.. إيه المقابلة الوحشة دي؟ ده بدال ما تقوليلي حمد اللّه على السلامة.

- حمد للّه على السلامة.

- تعالي اقعدي عايز أتكلم معاكي.

جلست شيماء على الأريكة المواجهة للمقعد الذي جلس عليه رشدي وقد أعجزتها المفاجأة عن التفكير.. وما كادت تستوي في جلستها حتى هبت واقفة.. وقالت وهي تتجه إلى المطبخ:

- تشرب إيه؟ أعمل لك شاي معايا؟

- ماشي زي بعضه.



اختلت شيماء بنفسها في زاوية المطبخ تلتقط أنفاسها وتفكر كيف ستواجه رشدي..

بدون تفكير أمسكت بهاتفها وطلبت نجوى.

- ألو.. أيوه يا نجوى.. إلحقينى، رشدي عندي في البيت، وأنا مش عارفة أتصرف إزاي؟

- طب اهدي كده وقوليلي هو باين عليه الشر ولّا هادي.

- لأ ده متغير خالص لدرجة إني معرفتوش.

- متغير إزاى يعني؟

- لابس جلابية بيضا وشال أبيض على رأسه وملتحي وحافف الشارب وفيه زبيبة كبيرة على جبهته.. بقى زي مشايخ السلفية.

- طب كويس.. كده بقى فيه قاعدة مشتركه بينكم. اتكلمي معاه بهدوء وصراحة.. أنا في المكتب حاتكلم

مع كمال وآخد رأيه وبعدين حاكلمك.. إهدي كده واستهدي بالله.. وإن شاء الله الموضوع يعدى على خير. ربنا معاكي.

ارتشف رشدي رشفة من كوب الشاي الذي قدَّمته إليه شيماء ثم قال:

- أنا مش جاي أعتب عليكي إنك ماسألتيش عني طول الوقت اللي فات أنا مقدَّر ظروفك، وكمان الأخبار اللي وصلتني عنك كانت مطمناني عليكي.

- أخبار إيه؟

- إنك رجعتي الجامعة.. ودي خطوة جريئة منك أنا كنت خايف عليكي منها.. يعني كنت قلقان عليكي إنك ترجعي تاني لنفس المكان والوسط اللي احنا ماصدقنا إنك طلعتي منه على خير.. لكن التزامك ورجوعك لربنا هو اللي طمني.. أنا يا شيماء اتغيرت ومابقتش رشدي بتاع زمان. اللي قدامك دلوقتي شخص جديد..



شخص بيتقي ربنا وخايف من عذابه وبيطلب رحمته ورضاه.

وقع هذا الحديث على شيماء موقعًا أدخل شيئًا من الطمأنينة على قلبها وهدأ من روعها، فقالت:

- ونعم بالله.. ربنا يسامحك ويغفرلك ويتقبلك من التائبين الصالحين اللهم آمين.

- آمين يارب العالمين. شوفي يا بنت الناس. أنا جاى النهارده ومادد لك إيدى بالخير وناوي أحقق لك الطلب اللي كنتي تملّي تطلبيه مني وأنا في عصياني كنت رافض، لكن دلوقتي بعد ما ربنا أراد لي التوبة وأراد لك الهداية لازم أوافق على طلبك وأنا راضي.

- طلب إيه؟

- أنا خلاص نويت والنية لله إني أحررك من اللي كنتي فيه واتجوزك على سنة الله ورسوله.



- تتجوزني؟!.. يااااه يا رشدي ده أنا كنت بابوس إيدك عشان تتجوزني! فاكر؟

- كله بأوانه يا شيماء.

- آه.. بس الأوان فات يا شيخ رشدي.

- يعني إيه؟

- يعني أنا اتجوزت من شهر واحد بس.. إنت اتأخرت كتير يا رشدي.

- نعم!!

هنا نهض رشدي مكفهر الوجه غاضبًا فعادت قسمات وجهه إلى سيرتها الأولى وأخذ السوء ينفلت من مكمنه وضج صائحًا:

- اتجوزتي؟ اتجوزتي إزاي؟.. إنتي مِلكي.. محدش يقدر يقربلك، أنا اللي طلّعتك من السجن، يعني حررتك من الأسر وفديتك بفلوسي وبقيتي مِلك يميني، يعني



ماينفعش تتجوزي إلا لما أنا أحررك.. ده شرع ربنا.. اللي إنتي عملتيه ده مش جواز ده زنا ياروح أمك.

انزوت شيماء وهي ترتعد خوفًا في ركن الصالة بينما كان غضب رشدي يتزايد وضجيج صوته يعلو وكلماته تشتد غلظة وحدة:

- جايبه واحد يورثني وأنا حي.. يتهنّى بأملاكي.. إنتي وشقتي وفلوسي! ده أنا حاخلى أيامك وأيامه سودة يا بنت الكلب منك له.

ثم صاح مستفسرًا.

- مين ابن الحرام ده؟ إتصلي بيه يجي دلوقتي حالًا لحسن حادبح أمك ومالكيش دية..

انفجرت شيماء صارخة في وجهه بعد أن ضج الأسى في صدرها المكبوت.

-إنت بتخرف بتقول إيه؟ أوعى تفتكر إنك اشتريتنى بفلوسك، أنا حره وحافضل حرة وفلوسك دي اللي انت



عملتها من الحرام ماتلزمنيش وكل قرش انت صرفته عليَّا حادهولك على داير مليم، والراجل المحترم اللي أنا على ذمته لو اتصلت بيه حايعرف يوقفك عند حدك ولو عرف اللي انت عملته ده حايرجعك المعتقل تاني وابقى قابلني لو شفت الشمس مرة تانية.

- والله عال. إنتي بتهدديني يا شمامة! إنتي الظاهر نسيتى نفسك أقسم بالله ما أنا منقول من هنا إلا لما أعرف مين الندل اللي اتجوزك عشان أعرفه حقيقتك وأعرّفه أنا مين وانتى تبقي لي إيه..

- إطمن أنا مش ممكن أغش حد أنا حكيت له على كل حاجة.. ماعنديش حاجة أخاف منها.

- وهو قبِل؟ مين المغفل ده؟

- المغفل ده يبقى الأستاذ/ فهمي صلاح الداعيه الإسلامي المعروف وعضو مجلس الشعب.

وقع دوي الاسم على رشدي كمن تلقَّى ضربة قوية على رأسه، وقال مندهشًا:



- فهمي صلاح بتاع الإخوان!.. صمت قليلًا ثم أردف:

- عمومًا.. سهله الأخ ده له كبير يجيبه وياخدلى حقي منه.. وانتي حاتفضلي محبوسة هنا في الشقة لغاية لما نشوف حكم الشرع فيكي إيه.

انصرف رشدي بعد ما أحكم إغلاق باب الشقه من الخارج بأن وضع عليه مغلقًا حديديًا واحتفظ بمفتاحه.

حاولت شيماء الاتصال بفهمي عدة مرات دون جدوى.. أدركت أنه في منزله مع زوجته وأولاده ولن يستطيع الرد عليها؛ إذ كان زواجهما سريًا اشترط عليها عدم إفشائه حرصًا على مكانته السياسية.

انتظرت حتى يتمكن هو من الاتصال بها لينقذها من هذا الاعتداء السافر والخطر الداهم الذي ينتظرها من انتقام رشدي.

رن هاتفها فأسرعت إليه فإذ هي نجوى تطمئن عليها، فقصت عليها ما دار بينها وبين رشدي وأنها أصبحت

حبيسة داخل مسكنها لا تستطيع أن تبرحه ولا تعرف كيف تتصرف.. قالت نجوى:

- إيه البلطجة دي ؟.. هو حتى لما استشيخ بقى شيخ بلطجي! ربنا ينتقم منه، بقولك إيه يا شيماء اتصلي بالشرطة وخليهم ييجوا يتصرفوا ولاَّ أخلِّي الأستاذ كمال يتصرف؟

- لأ إستنى لما فهمى يتصل بيا وهو أكيد حايتصرف.

- وايه حكاية جوازك المفاجئ ده؟ إنتي حتى ماجبتليش سيرة عن الموضوع ده!

- والله يا نجوى الموضوع جه بسرعة، وهو طلب مني ما أجيبش سيره لحد عشان ظروفه يعني ماتسمحش دلوقت عشان مراته وعياله وأعداءه السياسين، وأنا وافقت.

- آه جواز سري يعني.. ويا ترى بقى اتجوزتوا رسمي ولا عرفي ولا إيه بالضبط.

- جواز شرعي على سنة الله ورسوله.

- آه شرعي!!

قالتها بتهكم واضح ثم أردفت:

- طب يا شيماء لو احتجتي منّي إني اتدخل أو أخلي الأستاذ كمال يتصرف اتصلي بيَّا على طول.

أنهت نجوى المكالمة وهي في غاية القلق على صديقتها الأثيرة التي ما تبرح ورطة إلا باتجاه ورطة أشد وأنكى، لم تستطع صبرًا فنقلت إلى كمال ما حدث لشيماء.

ضحك كمال وقال ساخرًا:

- صاحبتك وقعت فريسة بين ذئاب وكلاب.. إطمني هما مش ممكن حايعضوا في بعض، حايحلوا المشكلة بينهم على حسابها طبعًا، واحد منهم حايتنازل عنها للتاني، وغالبًا فهمي حايهرب كالعادة.. اسأليني أنا عنه.. ده أستاذ ورئيس قسم الخسة والندالة شاربها

من الجماعة طبعًا. ربنا يستر عليها.. عمومًا لو احتاجت أي مساعدة قوليلي وأنا مش حاتأخر عنها.

****

جلست شيماء وحيدة شريدة حبيسة جدران منزلها بجوار هاتفها في انتظار أن يمن عليها فهمي باتصاله، مرت عليها الدقائق كالساعات طولًا والساعات دهورًا، وبعد مضي أكثر من ثلاث ساعات رن الهاتف فردت مسرعة فإذ بعاصفة تنطلق في أذنها من صوته الزاعق الغاضب.

- إيه يا هانم الفضيحة اللي إنتي عملتيهالي دي؟، أنا سيرتي بقت على كل لسان، هو ده اللي اتفقنا عليه! هو ده الجواز اللي حايفضل سر بيني وبينك!.. كده تخلي البلطجي بتاعك يشنع بيا عند كل قيادات الإخوان والمشايخ بتوعه؟

عبثًا حاولت أن تشرح له الموقف دون جدوى، أخذ يرغي ويزيد ويهدد ويتوعد ثم أغلق الهاتف وتركها في ذهولها وحسرتها غارقةً مهزومة.

لم تجد شيماء بدًا إلا أن تتصل بنجوى لتطلب من كمال أن يتدخل لفك أسرها والتدخل لمحاولة إنقاذها من تلك الورطة.

على الفور اتصل كمال برشدي.

- إزيك يا رشدي؟ حمد لله على السلامة.

- الله يسلمك يا كمال بك والله انت سبقتني، أنا كنت ناوي أزور حضرتك في المكتب عشان أشكرك على كل اللي عملته عشاني.

- لا مافيش شكر ولا حاجة أنا كنت بأدّي عملي.. أنا مش باتصل بيك عشان كده، لكن أنا قلت من الواجب إني اتصل بيك قبل ما آخد أي إجراء، إنت موكل قديم عندي وما أقدرش أعمل ضدك أي إجراء إلا لما أتصل بيك الأول وأحاول أخلص معاك الموضوع من غير مشاكل.

- خير يا باشا إجراء إيه كفى الله الشر؟ أنا مش قدك يا كمال بيه وبعدين إنت المحامي بتاعى مش ممكن

حاتعمل حاجة ضدي مهما كان الثمن.

قاطعه كمال بحدة:

- لأ أنا مش المحامي بتاعك. أنا المحامى بتاع الحق.

- خير يا باشا أنا تحت أمرك. فهمني إيه الموضوع؟

- موضوع البنت المسكينة اللي انت حابسها وقافل عليها شقتها.

- آه قصدك شيماء.. هي لحقت تقولك؟ وبعدين إيه حكاية شقتها دي؟.. الشقة دي بتاعتي وأنا مقعدها فيها كضيفة مش أكتر.

- شقتك شقتها.. مش هي دي المشكلة. ابعت حد دلوقتي على طول يفتح لها القفل اللي على الباب وبعدين نقعد نحل المشكلة بهدوء زي الناس المحترمة ونشوف الحق فين وكل اللي ليه حق ياخده. ده لو انت عايز تحل المشكلة بطريقة ودية.. لو مش عايز يبقى خلاص نصعد المسألة وانت راجل خبرة وعارف



إن اللي انت عملته جريمة اقتحام مسكن بقصد ارتكاب جريمة، واحتجاز بدون وجه حق. وأنا ممكن أصعد المسألة لأعلى مستوى، وظابط أمن الدولة اللي انت بتشتغله مرشد مش حايحميك مني.. أنا مش بهددك لكن بابصرك باللي ممكن يحصل نتيجه تصرفك المنفعل والغير مسئول.

- عمومًا يا باشا أنا حاعمل اللي انت عاوزه ، مش عشان خايف من اللي انت قولته ولكن عشان أنا بحبك وباحترمك ومش عايز أخسرك وعايزك تفضل المحامي بتاعى على طول. أنا حابعت حد يفتحلها وبعدين حاجي أقعد معاك بكرة إن شاء الله أحكيلك وأنا عارف إنك حقاني وحاتجيبلي حقي.

- ماشي يا رشدي أنا عشمى فيك كده برضو وإن شاء الله ربنا يقدرني وأجيب حق كل صاحب حق.

على الفور أرسل رشدي من قام بفتح الباب المغلق.



باتت شيماء ليلتها مهمومةً مكروبةً تؤرقها الأحداث الجسام التي توالت عليها على غرة، قبل ظهور رشدي ظنت أن الماضي يمكن أن يموت وأن جراحه قد تندمل إلا أنها أدركت الآن أن الماضي قد يتوارى حينًا ولكنه أبدًا لا يموت بل يعود ليلاحق ويطارد وينتقم.

من الفجر إلى شروق الشمس جلست شيماء في ردهة المسكن حاملة كتاب الله تتلوا آياته وترجو مغفرته وتدعوه أن ينجيها وينصرها.

بعد الشروق بساعة أو يزيد دق جرس الباب فإذ بفهمي شاخصًا خلفه، فتحت.. فولج بعد أن ألقى السلام وجلس على مقعد في الردهة قائلًا:

- معلهش يا شيماء ماتزعليش من انفعالي عليكي امبارح، بس إنتي ماتعرفيش الكلب اللي اسمه رشدي ده عمل إيه.. اتصل بالحاج محمد أمين عضو مكتب الإرشاد والدكتور عامر برهان وبعض إخوانا وقالهم إنه طلع من المعتقل لقاني متجوز مراته وقاعد في شقته ومستولي على فلوسه، وحكا لهم عنك كلام رخيص



جدًا. وعمل فضيحه وخلا الإخوة كلهم يكلموني ويعتبوا عليّا. وده اللي خلاني أنفعل عليكي لأني متفق معاكي وقرينا فاتحة على أن موضوع ارتباطنا يفضل سر وانتي مالتزمتيش.

- يا فهمي انت ما ادتنيش فرصة أفهمك اللي حصل. أنا فوجئت بواحد شيخ بيخبط عليا، أنا ماعرفتوش، لو عرفت إنه هو ماكنتش فتحت، وأول لما دخل قعد يتكلم كلام طيب وبعدين طلب مني إن احنا نتجوز، عايزني أقول له إيه غير إني متجوزة؟ ولما بدأ يثور عليا أنا خفت منه واضطريت أقوله أنا جوزي مين عشان أخوفه وأحمي نفسي منه، ده بلطجي. وأظن أنت عارف كل حاجة عنه وأنا ماخدعتكش وحكيت لك كل حاجة عني قبل ما نتجوز.

- يا شيماء إنتي لما حكيتي لي عن ماضيكي أنا سامحتك لما شفت التزامك، وحبيت فيكي الحاضر وقُلت ده ماضى وانتهى ولما عرضت عليكي الجواز كنت عايز أشاركك الحاضر والمستقبل، لكن مش أشاركك كمان الماضي!.. إنتي قولتيلى ان الماضى



مات.. وعشان كده قبلت ارتبط بيكي، لكن لقيت إن الماضي لسه حي وجه ومعاه مشاكله اللي أنا ماليش ذنب فيها، ومش معنى إني سامحتك على الماضي إنه ينفرض عليّا وأقبل أعيش معاكي فيه لما يرجع.

- يعني إيه؟

- يعني يا بنت الناس على قد حبي ليكي لازم إنتي كمان يكون قلبك عليّا وعلى سُمعتي ومستقبلي.

- هو أنا خلاص بقيت وصمة حاتوسخ سمعتك.

قالت هذه العبارة بصوت حزين مخنوق.

- لا يا حبيبتي أنا مش باتكلم عليكي شخصيًا لكن باتكلم على ماضي يخصك، ومش من العدل إني أتحمل وزره معاكي.

- خلاص يا أستاذ فهمي كفاية كده كل واحد يروح لحاله، طلقني وخلّص نفسك من أوزاري. إرمي عليا

اليمين وقطع الورقة اللي معاك وانت عارف إني مامعيش ورقه تثبت إنك جوزي.

قالت ذلك وأجهشت بالبكاء.

ربت على كتفها قائلًا:

- ما تحمليش هم يا شيماء أزمه وحاتعدى وربنا حايسترها معانا إن شاء الله. اتقي الله واصبري، ماتقلقيش أنا حاعرف أخلصك من شره بطريقتي. بس واحدة واحدة بالراحة لغاية لما الخطر يعدي وبعدين حافرجك أنا حاعمل فيه إيه.

- تعمل ماتعملش أنا خلاص مش عايزة منك حاجة، ربنا يسامحك.

- بس قبل ما أمشي أنا عايز أطلب منك طلب صغير.

لو حد من إخوانا سألك عن الموضوع ياريت تقوليلهم إنك قولتي لرشدي إني جوزك عشان تخوفيه وتهدديه لما هجم عليكي في الشقة. لكن دي مش حقيقة..



يعني تنكري إن احنا اتجوزنا، عشان حكاية الجواز دي عملتلي مشاكل كبيرة في البيت واللي أهم من كده إن فضيلة المرشد ممكن ياخد خبر ويزعلني.

- آه قول كده! همه دول الكلمتين اللي جاي مخصوص عشان تقولهملي، إتفضل يا أستاذ مع السلامة.. اطمن أنا مش ممكن حاقولهم إنك جوزي، مش عشان أنا خايفة عليك من الفضيحة لكن عشان ارتباطي بيك بقى حاجة ماتشرفش.

انصرف فهمي تاركًا شيماء من صدمتها حائرة النفس يلوي الحزن والأسى قلبها المنهك.

****

هرول مصطفي في إثر رشدي حتى اختلي به في بيته وأخرج من جيبه هاتفًا صغير الحجم غير مألوف واتصل من خلاله برقم وأعطى الهاتف سريعًا لرشدي قائلًا:



- أحمد بك الطرابيشي عايز يكلمك ضروري بس مش عايز يطلبك على تليفونك.

أمسك رشدي بالهاتف:

- آلو أيوه يا باشا إزي حضرتك واحشني والله.

- أهلًا يا رشدي حمد لله علي السلامة.

- الله يسلم حضرتك.. أؤمر.

- عايز أقولك إن الشحنة اللي فاتت ماكانتش أسلحة بس زي ما أنت عارف، وعشان كده احنا حاولنا نظبطها كلها بعد التسليم لكن للأسف فيه شوية متفجرات فلتت، وأُهم استعملوها ولاد الحرام وعملولنا كوارث.

- استعملوها إزاي يعني؟

- إنت المفروض يا رشدي تتابع الأخبار، ماسمعتش عن الاعتداءات اللي حصلت على المسيحيين في الأقصر في احتفالات عيد الميلاد وانفجارات قنا وعين شمس



والوراق وكلها كانت ضد إخوانا الأقباط والحادثة الأخيرة بتاعة انفجار الحسين اللي اتقتلت فيها سائحة فرنسية وإصابة عشر سياح.

- ياه كل ده حصل!

- أيوه يا سيدي.. كل ده من شوية المتفجرات اللي جبوها المرة اللي فاتت وماعرفناش نظبطها كلها.

- طب أنا ذنبي إيه! ما حضرتك اللي أشرفت على الموضوع كله.

- أنا باقولك كده بس عشان تعرف هُمّا بيستخدموا الأسلحة دي ضد إسرائيل ولاَّ ضد مصر.. المهم هُمّا اليومين الجايين حايتصلوا بيك عشان يتفقوا معاك على صفقة كبيرة وأسلحة تقيلة غير اللي فاتت خالص ودي عايزة مكالمة منك للشيخ مستور تسلم عليه وتشكره وتطمنه وتطلب منه إنه يطَمِن لمينا ويتعامل معاه في اللي جاي عشان اللي جاي تقيل قوي ممكن يخوفه بس لازم نعرف مكان التسليم ومين اللي



حايستلم بالظبط علشان مايحصلش زي المرة اللي فاتت .

- ماشي يا باشا حاضر.

- شكرًا يا رشدي.. آه قبل ما أنسى، بلاش تضغط علي فهمي صلاح في موضوع البنت اللي متجوزها في السر.. هو خلاص حايسبهالك، وقال ضاحكًا الراجل مش عايز مشاكل معاكوا وبعدين هو ربنا كارمه وعنده غيرها ماجتش عليها.. سلام يا رشدي.

****

تبنى كمال مشكلة شيماء وتصدى لإيجاد حل يحفظ عليها كرامتها ويؤمن لها حياة كريمة حتى تنهي دراستها التي شارفت علي الانتهاء لتتمكن من الحصول على بكالوريوس الصيدلة لتشق به حياتها العملية.

بعد زيارات مكوكية إلى مكتب كمال قام بها كل من رشدي وفهمي انصياعًا لدعوته فالأول حريص على



إبقاء علاقته به كمحامٍ محترف طالما أنقذه من مشاكل جمة والثاني زميله وصديقه وهو حريص على الإبقاء على علاقة وطيدة به لنجاحه المهني المشهود وتمتعه بين زملائه بقدرٍ وفيرٍ من الاحترام والتوقير وهو الأمر الذي يجعله ذا تأثير كبير يحتاجه فهمي سواء في انتخابات النقابة أو في الدفاع عنه إذا غضبت عليه السلطة فاعتقلته أو زجت به في أي اتهام وهو أمر كثير الحدوث وفي كل مرة كان يلوذ بكمال فلم يخذله يومًا..

كانا يتناوبان على زيارة كمال في مكتبه دون أن يلتقيا معًا وجهًا لوجه فقد رفض فهمي مواجهة رشدي.

أنكر فهمي بداية واقعة زواجه بشيماء، إلا أنه اعترف أخيرًا بعد أن وعده كمال بإبقاء الأمر سريًا بينهما. وأبدى استعداده لتطليقها وتمزيق عقد الزواج العرفي الذي كان يحتفظ بنسخته الوحيدة.

بينما أصر رشدي على أن شيماء مِلك يمينه وراح يسوق أمام كمال الحجج الشرعية التي تؤيد شذوذ



رأيه، قابله كمال بالحجج التي تفسد هذا الرأي، فانتهى إلى الإصرار على طرد شيماء من شقته وإعادة أمواله إليه أو على الأقل مبلغ المليون جنيه الذي أنقده لها قبيل اعتقاله.

بعد جهد استخدم فيه كمال كل ما يملكه من وسائل إقناع ووسائل ضغط وافق رشدي علي أن يمهل شيماء عامًا كاملاً تبقي فيه بالشقة على أن يحرر لها عقد إيجار محدد المدة تتعهد فيه بإخلاء الشقة وتسليمه المنقولات التي حرر بها قائمة وقعت عليها شيماء وأعادت إليه مبلغ ستمائة ألف جنيه وتسامح رشدي عن باقي المبلغ.

أرضى شيماء هذا الحل كثيرًا بل أسعدها أنها تخلصت من كليهما رشدي وفهمي.. ما أقبحهما.

****

سارت الأحداث متلاحقة متسارعة على كل المستويات.. فالشارع المصري يلتهب كل يوم بوقفات احتجاجية فئوية وطائفية وسياسية على إثر ذلك



النشاط الملحوظ لجمعيات المجتمع المدني والحركات السياسية المعارضة والمناهضة للحكم وبعض المراكز الحقوقية التي زاد مجموعها على ثمانين حركة ومركزًا وجمعية. جميعها تدعو إلى الحراك السياسي الذي يهدف إلى الحرية والديموقراطية والعدالة الاجتماعية والتغيير السلمي للسلطة الحاكمة.

تغلغلت كالعادة جماعة الإخوان المسلمين في أغلب هذه الحركات أو الجمعيات أو المراكز. وكان واضحًا أن السلطة السياسية بمصر قد فقدت الكثير من سيطرتها على الأمور إزاء حالة الغضب الشعبي والسخط العام على السلطة الذي يؤججه ويرسخه ذلك الوضع الاقتصادي المتردي الذي يردح تحته أغلب أفراد الشعب وتلك البطالة المنتشرة بين الشباب، ويزيده اشتعالًا واستفزازًا ظهور طبقة الرأسماليين الجدد بإسرافهم الواضح وترفهم الزائد وقصورهم الشاهقة وسياراتهم الفارهة غير فطنين إلى أن المجتمع مازال يؤمن بمبادئ الاشتراكية التي تناصب العداء لكل الأثرياء باعتبارهم مستغلون لطبقات الشعب الكادحة..

ومما زاد النفوس لهيبًا أن السلطة الحاكمة قد سلمت أمورها لرجال هذه الطبقة يديرون السياسة والاقتصاد في مزج واضح بين السلطة والمال.

****

أما رشدي فقد زاد نفوذه وتوسعت قاعدة سيطرته خاصةً بعد أن شيد عقارًا وأسس بأسفله مسجدًا أسماه مسجد التائبين، وبعد عدة دروس دينية تلقاها في حلقات الدكتور/ عامر برهان كانت كافية وكفيلة بأن يعتلي منبر مسجده ليخطب كل جمعة ويؤم المصلين في كل صلاة بمباركة من مشايخ الدعوه السلفية وتصريح من جهاز أمن الدولة، بل وكان يعقد حلقة درس خاصة به كل أسبوع يتوافد عليها التائبون أو العازمون على التوبة أو الطامحون إلى تلقي إعانة أو معونة من الشيخ رشدي أو الطامعين في نيل رضاه وحماه.

وعلى التوازي كانت أعماله التجارية تسير مع رجال عصابته القدامى على ما يرام، ففي مجال المقاولات قامت الشركة التي أسسها بهدم وإعادة بناء أغلب المنازل القديمة المتهالكة بالمنطقة العشوائية التي يقطنها وباقي المناطق المحيطة بها. كانت هذه المنازل الصغيرة التي لا ترتفع أكثر من ثلاثة أو أربعة طوابق ما تكاد تخلى من سكانها حتى تستوي بالأرض وتقوم



مكانها أخريات شاهقات مشوهات ساخرات من قوانين البناء وقيود الارتفاع وقواعد العمارة، هذا إضافة إلى السطو على الأراضي الزراعية من المزارعين في المناطق المتاخمة لأطراف المدينة والموزعة عليهم من الإصلاح الزراعي وفق حق الانتفاع.. كان يحصل عليها منهم بأبخس الأسعار بالاشتراك مع بعض المشايخ ليقوم بعد ذلك بتبويرها وتجزئتها إلى أجزاء صغيرة وإقامة عمارات سكنية دون مرافق لتتكون المناطق العشوائية تباعًا تحت بصر الدولة دون أن تتحرك، فوزارة الزراعة لا تملك إلا أن تحرر محضرًا ضد المزارع المنتفع بتهمة تبوير أرض زراعية، أما الأحياء فليس لها سلطان على الأراضي الزراعية فلا تستطيع أن تحرر محاضر بناء بدون ترخيص ولا حتى إزالة هذه المباني بحجة أن تلك الأراضي تابعة لوزارة الزراعة وليست للمحافظة سلطان عليها.

هكذا مضى رشدي في الإثراء والطغيان عن طريق سُلطَتي المال والدين، لم يكن يُكدّر عليه صفو هذه السلطة وذاك السلطان سوى تمرُّد صديقه اللدود



دعبس بعد خروجه من المعتقل إذ رفض أن ينضوي تحت لوائه وراح يجمع حوله أخطر الأشقياء ممن رفضوا الرضوخ لسلطان هذا الشيخ الذي رأوه ليِّنًا فقد كان يقف في وجه جرائمهم انتصارًا للضعفاء من أهل الحي.

استطاع دعبس أن يكوِّن عصابة كبيرة من هؤلاء الأشقياء المتمردين، سرعان ما فرضت سطوتها على حي نادي الصيد عن طريق القوة المسلحة والاعتداء على الناس وسرقة أموالهم كرهًا وفرض الإتاوات على كل من يقيم مشروعًا صغيرًا ليقتات منه وأسرته، فلم يسلم من سطوتهم صاحب أي مشروع صغير أو كبير فالكل يجب عليه دفع مبلغٍ معلومٍ كل أسبوع لدعبس وعصابته وإلا فسيناله ما لا يحمد عقباه. والشرطة لا تأبه ولا تحمي بل تزيد في الجور مع الجائرين على الضعفاء والمستضعفين.

ضج الناس من أفعال دعبس ورجاله وتصاعدت شكواهم إلى الشيخ رشدي فهو كبير الحي فوق أن دعبس كان أحد رجاله.



عبثًا حاول رشدي أن يثني دعبس عن هذه الأفعال الصغيرة التي لا تدر أرباحًا كبيرة ولا يتخلف عنها سوى السوء والبغضاء.. دون جدوى، فلم يكن هدف دعبس هو جمع المال فحسب بل كانت مجرد السطوة وشعور الناس بالخوف والهلع لمجرد رؤيته تشبع لديه رغبة دائمة في الانتقام، بل كان يتلذذ بالاعتداء على الناس وإيذائهم، كان دعبس نموذجًا للشخصية السيكوباتية، فهو شيطان في صورة إنسان، يحمل في داخله كل معاني الشر من حقد وأنانية وانتهازية وعدوانية وكراهية.

ذهب على مضض إلى مقر شركة رشدي لمقابلته بعد إلحاح الأخير في استدعائه، دفع باب حجرة المكتب دون استئذان وجلس أمامه بعد أن ألقى السلام قائلًا:

- خير يا رشدي؟ بعتلي مية مرة، فيه إيه؟

- عايز أقعد أتكلم معاك يا أخي، هو خلاص مافيش بينا معرفة ولا عيش وملح؟

- نتكلم في إيه يا عم الشيخ؟ ما انت خلاص من يوم ما دخلت مع المشايخ استغنيت عني، ومن فات قديمه تاه يا معلم رشدي.

- استغنيت عنك إزاي يا دعبس، ده احنا بينا تاريخ، وأنا كلمتك أكتر من مرة وقلت لك أنا محتاجلك معايا في شغل الشركة وتبقى شريكي ودراعي اليمين زي ماكنا وانت اللي راكب دماغك.

- لأ يا مفتح إنت مش محتاجني عشان أبقى دراعك اليمين، لكن عشان تتقي شري وتسيطر عليا وعلى رجالتي اللي عاملين لك دوشة في نافوخك إنت والمشايخ بتوعك.

- إسمع يا دعبس اقعد عوج واتكلم عدل. إنت عارف إن أنا محدش يقدر لا يعملي مشاكل ولا يدوشني. أنا بس باقي على العشرة والعيش والملح وماددلك إيدي بالخير، لو عايز تمد إيدك ونشتغل سوا أهلًا بيك ولو مش عايز إنت حر.



- كلام جميل نشتغل مع بعض إزاي، على طريقتك ولا طريقتي؟

- لا طريقتك دي ما تأكلش عيش، معايا حاتكسب أكتر.. سيبك من عمليات الإتاوة على الغلابة بشوية العيال البرشمجية اللي معاك دول وتعالى اشتغل معايا في التقيل بما يرضي الله.

- بما يرضي الله.. قالها بتهكم، ثم أردف:

- بص يا رشدي ماتدورش عليّا وتعالى نتكلم مع بعض بصراحة، وبلاش نحّور على بعض إنت حاتفضل طول عمرك المعلم رشدي اللومانجي حتى لو كنت من بره شيخ حاتفضل من جوه بلطجي، إنت الأول كنت معتمد عليّا في الشغل عشان تخوف بيا الناس وتعرف تسيطر عليهم وتخلص شغلك لكن دلوقتي يا ابن الناس إنت بدلتني بشوية المشايخ اللي حواليك لأنك شايف إن هُما مسيطرين على الناس ومنيمنهم من غير لا سلاح ولا مصاريف وكمان عاملينلك سمعة وصيت وبرستيج، عم الشيخ راح عم الشيخ جه وشوية

المقاطيع اللي بيتجمعوا عليك في الجامع ويبوسوا إديك يا مولانا. وانت مبسوط وفرحان ومستغني بيهم عني، لكن أنا عايز أقولك إن اللي متغطي بالناس دي عريان ودول حايبعوك في أول محطة.

- قصر معايا يا واطي وهات من الآخر عايز إيه؟

- عايز أقول خلّي كل واحد في مكانه ونشتغل مع بعض بالحتة.

- إزاي يعني؟

- يعني لما تقف معاك شُغْلَة ماتعرفش تحلها بالمشايخ بتوعك ولا برجالتك الخرعين كلمني وأنا تحت أمرك ونتفق.

- ده آخر كلام عندك؟

- أيوه يا شيخ رشدي.

قالها وانصرف



****

المشهد السياسي في مصر يتطور أو بالأحرى يتدهور سريعًا حيث بدأ التحضير لإجراء انتخابات مجلس الشعب بعد إلغاء الإشراف القضائي الكامل عليها وسط زخم سياسي رافض لممارسات الحزب الحاكم خاصةً وقد وضحت نيته في إزاحة المعارضين – وبخاصة أولئك المنتمين لجماعة الإخوان ومن يدور في فلكهم، وفعلًا تمت الانتخابات بسيطرة تامة من الحزب الوطني الذي لم يكن يحسن اختيار ممثليه فكان دائمًا يختار الأسوأ من بين زمرة السيئين.

مرت هذه الانتخابات على رشدي بشق الأنفس فقد كان في موقف لا يحسد عليه، ظل بين شقي الرحى يتمزق ما بين توجه الجماعة السلفية بتأييد مرشحي جماعة الإخوان المسلمين وبين أوامر الأمن بمؤازرة مرشحي الحزب الوطني ودعمهم بمزيد من البلطجية الذين يجيدون التصدي بالقوة والعنف ضد مرشحي الإخوان فالجماعة السلفية تخاطب رشدي على أنه أحد أعضائها، والأمن يتعامل معه على أنه أحد



البلطجية الموالين له؛ فاضطر إلى اللجوء إلى دعبس وعصابته لتنفيذ التوجيهات الأمنية منصاعًا لابتزازه المادي السافر على أن يظل هو مع أصدقائه السلفيين يدعون إلى مرشحي الإخوان في خفاء وحذر كما اعتادوا.

****

بعد أن تماثلت والدة نجوى للشفاء أعلن كمال خطبته لها في حفل عائلي بسيط تم في منزل نجوى المتواضع، لم يحضره سوى رهط من أشد المقربين إلى العائلتين، وكانت شيماء بطبيعة الحال من ضمن المدعوات إلى هذا الحفل.

بخاتم بسيط مرصع بقطعة من الماس ودبلتين تم توثيق وإعلان الخطبة التي طالما انتظرت لحظتها نجوى منذ الوهلة الأولى التي وقعت عيناها على كمال في المحكمة يوم محاكمة رشدي .

أطلقت أم نجوي – من فرحتها – زغرودة كانت حبيسة مدخرة لمثل هذا اليوم، كانت فرحتها بخطبة

نجوى أشد وأعمق من فرحتها بشفائها فقد ارتاح بالها واطمأنت علي ابنتها مع رجل جدير بالحب والثقة والتقدير.

احتضنت شيماء نجوي ووضعت قبلتين علي وجنتيها هامسة في أذنيها.

- مبروك يا نجوى صبرتي ونولتي يا حبيبتي، ربنا يتمم بخير ويديم عليكي فرحتك.

بادلتها نجوي القبلات وقالت:

- الله يبارك فيكي يا شيماء عقبال ما اشوفك مع حد يستاهلك يارب، على فكرة إنتي صاحبة الفضل الأول، أنا مش ناسية إنك السبب في إني اتعرفت على كمال ..

ثم وجهت حديثها لكمال:

- مش كده يا كمال، شيماء كانت السبب إن احنا اتقابلنا أول مرة.



- آه فعلًا شيماء وش الخير.. واستكمل موجهًا حديثه لشيماء:

- عملتي إيه في الماجستير يا دكتورة؟ نجوى قالتلي إنك قدمتي في الدراسات العليا بعد التخرج على طول.

- آه فعلًا ولسه مخلصة الميدترم أول إمبارح.

- تمام ربنا يوفقك وعاملة إيه في شركة الأدوية اللي اشتغلتي فيها.

- بقالي ست شهور معاهم وماشي الحال لسه باتمرن في إدارة المبيعات وباتعرف على السوق.

- عمل إيه ابن صاحب الشركة أنا سمعت إنه كان نازل انتخابات مجلس الشعب؟

- الدكتور/ هاني؟ مانجحش طبعًا.

- إزاي كده مع إنه كان صارف على الدعايا كتير قوي وعامل جمعيات خيرية كتير وله شعبية كبيرة وكمان الإخوان كانوا بيأيدوه بشدة.

- عشان كده سقطوه، الحكومة مش عايزة حد محترم ينجح ..

- ربنا يستر، الحكومة ارتكبت أكبر غلطة في تاريخها وكلنا حاندفع التمن غالي، إقصاء الإخوان ومنعهم من حصتهم السياسية المتفق عليها حترجّع مشاهد التسعينات تاني وحترجّع العمليات الإرهابية وحانشوف تفجيرات وقتل وبلاوي جاية.

تدخلت نجوي في الحديث سريعًا:

- جري إيه يا حبيبي تفجيرات إيه بس اللي حانتكلم فيها في اليوم ده؟

- عندك حق يا حبيبتي.. يلّا بينا كلنا أنا حاجز عشا في فندق كبير على البحر بالمناسبة السعيدة دي. وبالمرة نحجز معاد الفرح، أنا نفسي أعمله آخر الشهر ده.



ردت والدة نجوى:

- ليه يا أستاذ كمال الاستعجال ده..ماينفعش في عشرين يوم نجهز حاجة.

- خيرُ البر عاجله يا حاجّة، وبعدين أنا جهزت كل حاجة أنا ونجوى ومش ناقص غير مباركتك، ولا انتي مش مستعجلة تفرحي بنوجة؟

- لأ يا ابني بس الجواز عايز استعداد وترتيب وأنا لسه ما رتبتش أي حاجة.

- ما أنا قُلتلك يا ست الكل احنا رتبنا كل حاجة ومش ناقصنا حاجة غير رضاكي. قولتي إيه؟

- لا إله إلا اللّه.. اللي انتو شايفينه يا ابني ربنا يتمملكم بخير.

****

كان رشدي قد ابتاع أرضًا زراعية في ريف المنتزه بالمنطقة المتاخمة للطريق الدولي الذي انقضّت على



جوانبه المناطق السكنية العشوائية تسحق بقبح المساحات الخضراء الممتدة، بدأ رشدي وشركاؤه أو بالأحرى عصابته يجرّفون الأرض ويقتلعون الغرس لتبويرها تمهيدًا لتجزئتها وإعادة بيعها قطعًا صغيرة مُعِدّة للبناء في مساهمة حثيثة منهم - ومن غيرهم - لزيادة رقعة العشوائيات وتشويه ما تبقى من المدينة التي باتت عجوز البحر المتوسط الشمطاء القبيحة، ولكنه فوجئ وبعد أن انتهى من التبوير بقيام أحد كبار البلطجية ويدعى رياض فاضل -والذي يتخذ من منطقة ريف المنتزة مسرحًا لسلطانه ونفوذه - بالاستيلاء على مساحة خمسة عشر فدانًا من الأرض التي يبلغ إجمالي مساحتها عشرين فدانًا، وضع يده عليها وطرد رجال رشدي باستخدام الأسلحة النارية، وشرع في بناء سور عليها بعد أن ملأها رجالًا مدججين بكل أنواع الأسلحة.

حاول رشدي أن يستعيد الأرض عن طريق الاستعانة بمشايخ الدعوة السلفية المنتشرين بمنطقة نفوذ ذلك البلطجي فعقدوا عدة جلسات معه وأصدروا حكمهم



بأن يعيد الأرض لرشدي في مقابل أن يسدد له رشدي مبلغ مائتي وخمسين ألف جنيه على سبيل الترضية إلا أنه راوغ المشايخ حتى أقام عدة مبانٍ على الأرض وزعم أنه باع الأرض لآخرين.

لم يكن هناك حل لهذه المشكلة سوى مواجهة هذا البلطجي ورجاله بقوة السلاح وهو أمر لم يحبذه المشايخ في الوقت الراهن ونصحوا رشدي بألا يقدم عليه، حتى الضابط أحمد الطرابيشي رفض التدخل لنصرته خوفًا من كشف علاقته بالأمن أمام مشايخ السلفية وهو الأمر الذي اضطر معه رشدي إلى الاستعانة بدعبس وعصابته؛ فباع لدعبس الأرض بيعًا صوريًا واتفق معه على مبلغ نصف مليون جنيه كأتعاب له ولعصابته إن استطاع أن يحكم سيطرته على الأرض ويطرد منها مغتصبيها.

كانت الأمور تسير على هذا النحو فضعف الشرطة وإحجامها عن حماية الحقوق والملكيات سواء العامة أو الخاصة وتفرغها لحماية كرسي الحاكم وطبقة أصحاب النفوذ وكبار رجال الأعمال أدى إلى تفشي



ظاهرة البلطجة، فكان لكل منطقة بلطجي يحمي حماها ويتحكم في أمرها ويستأثر بثمارها.

علي الفور بدأ دعبس في إعداد العدة وتجيش الرجال وتسليحهم. وعاين المكان وراقب تحرك مغتصبيه نهارًا وليلًا حتى أحكم الخطة. وقبيل الفجر كانت المداهمة التي استعمل فيها أكثر من سبعين رجلًا ووابلًا من النيران أظهرت للّيل فجرًا قبل بزوغه، أُصيب عدد كبير من المغتصبين فولوا الأدبار فاحتل دعبس وعصابته الأرض واستولوا على كل المباني بها وتراصوا حولها بأسلحتهم كسياج محكم، حاول البلطجي رياض أن يستجمع رجالًا ويكر على عصابة دعبس إلا أنه وما إن شارف على أرض المعركة إلا ورآها مكتظة بمشايخ السلفية ومن ورائهم هذا السياج من رجال دعبس.. فعاد أدراجه يجر أذيال الهزيمة والعار.

أقام دعبس ورجال عصابته نحو شهرين متصلين بالأرض يصدون مناوشات رياض ورجاله بقوة وعنف والأخير لا يكل ولا يمل من إعادة المحاولات عن



طريق القوة تارة أو استمالة بعض رجال دعبس تارة أو بتوسط بعض الزملاء من كبار بلطجية الإسكندرية، حتى نجح في الجلوس سرًا مع دعبس ليعقدا صفقة الخيانة الكبرى.

****

حالة من التوتر الشديد سادت الشارع المصري عقب أحداث ثورة تونس وتجاذب الناس الآراء في مدى انتقال عدوى الثورة التونسية إلى مصر. رآها معارضو السلطة آتية لا محالة خاصةً وقد تهيأت الظروف لاستقبال العدوى الثورية، فالوقفات الاحتجاجية الفئوية قد زادت حدتها وتكاثرت أعدادها أمام مقار السلطات السيادية والشعبية تلهث وراءها كاميرات الإعلام التقليدية والإعلام الموازي المتمثل في وسائل التواصل الإجتماعي التي انتشرت بين الشباب انتشار النار في الهشيم وأصبحت مصدرًا موثقًا يعتمد عليه في الوقوف على الأحداث والأخبار والأنباء والآراء والتحليلات وذلك بعد أن تم بنجاح تشويه الإعلام الحكومي ومعه الإعلام الخاص بوصمه بأنه إعلام



تابع، كاذب، منبطح، فلم يبقَ للناس مصدرًا يستقون منه المعلومات والأخبار إلا مواقع التواصل الإجتماعي وصفحات الإنترنت وقناة إخبارية وحيدة تابعة لدويلة عربية فرضت وجودها وسطوتها على الجميع حتى أصبحت في نظر بعض المثقفين وكثير من العامة وأغلب الشباب وكل الكيانات السياسية المعارضة هي المصدر الوحيد الموثوق فيه.

وقد لعبت بعض الصفحات التي أنشأها الإخوان المسلمون أو ساهموا في إنشائها دورًا ملموسًا في تهيئة المناخ للثورة بشحن مستمر للنفوس باستغلال الأخطاء الفادحة والمستمرة التي تمارسها السلطة الحاكمة وتفشي الفساد السياسي والمالي بين أعضاء الحزب الحكومي والسيطرة المستفزة من رجال الأعمال على الحكومة بينما يترنح الشعب تحت وطأة الفقر والقهر والجهل والمرض والبطالة والكسل والإدمان، هذه الظروف مجتمعة - إضافة إلى السلوك العنيف المتعالي الذي استمرأته الشرطة في التعامل مع المواطنين جعلت المناخ مهيئًا لتفجير ثورة شعبية



أعدت عدتها ونُظمت سبلها للإطاحة بالسلطة المتشبثة وصولًا إلى الإطاحة بالدولة ونشر "الفوضى الخلاقة".

أما المتشبثون بالسلطة ومن يسبحون في مدارهم فكانوا يرون أن ما حدث في تونس لا يمكن أن ينتقل إلى مصر ظنًا منهم أن قبضة الدولة ما زالت حديدية وأن المصريين قانعون هيابون لا يميلون إلى المخاطرة ولا العنف.

إلا أن بعض النابهين المطلعين على ما يدبر للشرق الأوسط من خطط معلنة لإعادة تقسيم المنطقة على أسس عرقية وطائفية بما يسمى "بالشرق الأوسط الجديد"، كانوا يدركون أن ما حدث في تونس ما هو إلا "بروفة نهائية" لما سيحدث في مصر.

****

التقى دعبس برشدي يطالبه بسداد باقي أتعابه المستحقة عن طرد رياض وأتباعه من الأرض وإعادة السيطرة عليها، فقد أتم المهمة على خير وجه، وعلى الفور سدد له رشدي المبلغ المتفق عليه كاملًا وبعد أن



استلم المبلغ واطمأن، طلب إخلاء طرفه وتسليم رشدي الأرض ليحرسها بمعرفته ولما طالبه رشدي بالتمهل قليلًا حتى يدبر من يتولى حراستها رفض وانصرف.

وفي نفس اللحظة كان رجال دعبس قد تركوا الأرض وانصرفوا تاركين الفرصة لرياض ورجاله لإعادة إحكام سيطرتهم علي الأرض. لتتم صفقة الخيانة التي تم الاتفاق عليها بين دعبس ورياض في مقابل مبلغ كبير من المال.

****

تأهبت نجوى واستعدت ليوم التتويج، ليلة زفافها الذي تحدد له ليلة رأس السنة الجديدة، لتكون الساعات الأولى من العام الجديد هي بداية حياتها المرتقبة مع من امتلك فؤادها وتربع وحده أميرًا على عرش القلب والوجدان وأطبق بيديه مستأثرًا بصولجان مشاعرها التي آن أوان انطلاقها من الأسر والحرمان، تم حجز قاعة بأحد الفنادق الشهيرة على



شاطئ البحر بمنطقة سيدي بشر؛ حيث كانت أغلب قاعات الفنادق الأخرى مشغولة باحتفالات رأس السنة الميلادية.

حان الوقت الذي طال انتظاره – اليوم الجمعة 31/12/2010 - منذ الصباح تستعد نجوى لتبدوا في أبهى زينتها.. حتى تهيأت كأميرة وتهيأ أميرها ليدخلا معًا إلى بهو الفندق الكبير ترفل في ثوبها الملائكي الأبيض تتأبط يده في فرحة وزهو باديين، يحف بهما جمع من الأقارب والأصدقاء يتقدمهم فريق من العازفين وضاربي الدفوف، في صخب الموسيقى والزغاريد تهاديا على مهل حتى وصلا إلى قاعة الاحتفال.

بدأ الحفل بهيجًا أنيقًا، تناوب فقراته بعض مشاهير الغناء في مصر، ثم بدأ العد التنازلي لاستقبال العام الجديد، فعقارب الساعة تتقافز لتشير إلى عامٍ يلفظ آخر أنفاسه ليتمخض عن ميلاد آخر وليد..



ودع المدعون عامهم المنصرم مستقبيلين القادم المجهول بفرحة عارمة وصخب بالغ دون مبرر منطقي، فقد انتُقصت أعمارهم بمقدار ما ولّى، وهم في انتظار وليد مجهول لم تظهر له بشارة، رغم ذلك هم فرحون مستبشرون!

بعد انتهاء الاحتفال بالعام الجديد ضم العريس مليكته وأخذا يتمايلان كفراشتين يرقصان رقصة "الفالس" الشهيرة على موسيقى "شوبان" الحالمة، أثناء الرقصة سُمع دوي انفجار قريب ظنه الجميع أثرًا للألعاب النارية المستخدمة ابتهالًا برأس السنة الجديدة وانهمكوا في حفلهم فرحين، ويا ليتهم في ظنهم كانوا صادقون، لم يكن الانفجار ابتهالًا، بل كان اعتداءً وحشيًا خسيسًا استهدف المصلين من الأقباط احتفاءً برأس السنة الميلادية بكنيسة القديسين "مار مرقص الرسول والبابا بطرس" بمنطقة سيدي بشر.

المشهد كان مروعًا، الدماء كما الأنهار تنهمر والأشلاء على الطرقات تنتشر، الجثث تختلط على أرصفة الكنيسة والمسجد الذي يواجهها مباشرة لا يميز منها



مسلم عن مسيحي، الدماء تصبغ جداريّ المسجد والكنيسة، الأشلاء تتناثر على الوجهتين معًا، فزع الناس وهرعوا إلى مكان الحادث يساعدون المصابين وينقلون الجثامين ويصطفون أمام المستشفيات يُجيدون بدمائهم، لم يلتفت أحد إلى خانة ديانة المتبرع بدمائه أو المتبرع له من الجرحى والمصابين، هم كلهم مصريون.

****

انتهى حفل الزفاف وودع المدعون العروسين ليصعدا إلى جناحهما في الفندق الشهير لتبدأ حياتهما الجديدة معًا.

كانت نجوى تشعر أنها أسعد فتاة في الوجود، وما إن أوصِد عليهما الباب حتى ألقت بنفسها بين يدي حبيب عمرها تطبع على شفتيه قبلة تلتهب شوقًا ورغبة، فضمها بشوق وحنان ولثم شفتيها برفق شغوف ثم أسدل عنها طرحة عرسها البيضاء لينسدل شعرها بين يديه هادئًا ناعمًا يلهب الشوق ويشعل جزوته، انسلت

من بين يديه بنعومة إلى الحمام تغير ثيابها وتتأهب نفسيًا وجسديًا لليلة العمر.

أبدل كمال ملابسه وارتدى رداء النوم وجلس إلى الأريكة وأشعل سيجارته ينتظر في شوق عروسه ليبثها أسرار حب لم يبح به من قبل.. ضغط على ريموت التلفاز باحثًا عن موسيقى هادئة أو أغنية حالمة.. فرأى ما أفزعه، رأى مشاهد الحادث البشع، فانقلب رأسًا على عقب، انطفأت أفراح قلبه واشتعلت نيران الحزن والجزع، لم يمتلك نفسه فأجهش بالبكاء، خرجت نجوى من الحمَّام على صوت بكائه فنظرت إلى التلفاز فاعتلاها الهم والهلع فجلست إلى جواره منهارة تنعي حظها العثر لتشاركه بكاءً غير منقطع.

****

استغل النشطاء السياسيون الحادث بإيعاز من الإخوان المسلمين وبدأوا في نشر إشاعة شاذة مؤداها أن وزير الداخلية المصري هو الذي أمرَ بتفجير كنيسة القديسين. والغريب أن الإشاعة لاقت قبولًا بين كثير

من الناس وأخذ كل فريق يحلل الأسباب التي دعت الوزير إلى القيام بهذا الحادث.

مثل هذه الأقاويل التي من شأنها شيطنة السلطة الحاكمة في مصر أخذت طريقها في الانتشار بين كثير من الشباب وأغلب الفئات المهمشة - وما أكثرها في مصر – حتى تأججت المشاعر ضد السلطة وبدأت مرحلة استنساخ الثورة التونسية لدرجة أن بعض وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي أمعنت في نقل مشاهد لبعض المواطنين يشعلون النار في أنفسهم في محاكاة "لبوعزيزي" مفجر الثورة التونسية.

****

في 25 يناير يوم احتفال الشرطة بعيدها دعت بعض القوى والحركات السياسية إلى مظاهرة حاشدة تحت شعار "عيش – حرية- عدالة اجتماعية"، نجحت الدعوى واحتشد الشباب، ورغم إعلان قيادات جماعة الإخوان المسلمين مقاطعة المشاركة في تلك



المظاهرات لم يشارك القياديون والإخوان المعروفون إلا أن شباب الجماعة شارك بقوة مع المشاركين.

ما حدث يوم الجمعة 28 يناير لم يكن يتخيله أحد، فقد دعت نفس المجموعات إلى الاحتشاد في الميادين فيما سموه "جمعة الغضب".. تجمع الناس أمام المساجد بعد صلاة الجمعة ونظموا مظاهرات كبيرة حاشدة وكان الهتاف في جميع الأنحاء واحدًا "الشعب يريد اسقاط النظام" وكان النظام تحسبًا قد قام بالقبض علي أغلب قيادات الاخوان المسلمين، بعد أن نجح الحشد وتوافد الناس من كل صوب نحو الميادين الرئيسية في أغلب مدن مصر وعلى أخصها ميدان التحرير بالقاهرة، بدأت المناوشات بين الشرطة والمتظاهرين في مشاهد كرٍ وفَرٍّ وإطلاق لقنابل الغاز وخراطيم المياه وتعالت أصوات الطلقات النارية وتساقط بعض المصابين فرادى هنا وهناك، حتى نجح الشباب الثائر في إشعال النيران في مركبات الشرطة ودحر القوات أفرادًا وضباط، وفي توقيت متزامن تم الاعتداء على جميع أقسام الشرطة في مصر في آنٍ



واحدٍ فحُرقت ونُهبت أسلحتها وهرب المحتجزون ثم ما لبثت السجون أن اقتُحمت وهُرِّب المسجونون والمعتقلون وعلى رأسهم قيادات الإخوان وباقي الجماعات المصنفة بأنها إرهابية. انكسرت الذراع الطويلة للنظام واختفى رجال الشرطة بعد أن تم الاعتداء والتنكيل بالكثير منهم، وعلى التوالي تم اقتحام الفنادق والمحال والمراكز التجارية وتم نهبها في مشاهد سرقة جماعية تشير إلى كثير من المعاني المفجعة.

****

أصبح صباح السبت لتتضح الفجيعة الكبرى، احترقت مصر أو كادت، شبت الحرائق في كافة المصالح الحكومية والمحاكم والنيابات وأحرقت الملفات والمستندات والأوراق الحكومية، دخان أسود لا ينقطع ينبعث من كل مكان ليسبغ السماء بلون قاتم لا يبدو له انقشاع.



سيطر على الشارع لفرض الأمن مجموعات سُميت باللجان الشعبية كانت تتكون من فئات ثلاث: البلطجية والخارجون عن القانون من جهة، وشباب الإخوان من جهة ثانية، ومشايخ الدعوة السلفية من جهة ثالثة.

صدرت الأوامر إلى الشيخ رشدي بتجميع الناس وتوزيعهم في مجموعات تتمركز على الطرق الرئيسية وأمام المنشآت الاقتصادية لحمايتها أما هو فقد قبع داخل المسجد أمام الميكرفون ليعلن بين الحين والآخر أن هناك عصابة آتية تخطف الأطفال أو تخطف النساء أو تسرق البيوت ويدعو الناس لالتزام بيوتهم وغلق الأبواب وعدم السماح لأولادهم بمبارحة المساكن. وهكذا كان يفعل أغلب مشايخ السلفية من مساجدهم المنتشرة في كل مكان فانتشر الهلع والفزع بين الناس.

أما المشهد الذي أثار انتباه الجميع فكان تلك المركبات العسكرية والمعدات الثقيلة التي نشرها الجيش أمام المنشآت الحيوية - عقب إعلان حظر التجوال – فقد



كانت تطوف الشوارع والميادين وقد كتب عليها بخط واضح عبارة واحدة هي "يسقط مبارك"- وهي العبارة التي حدت بالشباب الثائر على مبارك أن يهدأ ويكف عن الاعتداء عليها ولا يفعلوا بها ما فعلوه بمركبات الشرطة، بل على العكس كانوا يتوافدون عليها لالتقاط الصور التذكارية بجوارها وأعلاها ومع الجنود القائمين عليها والتباري والتباهي في نشرها على صفحات التواصل الاجتماعي، فنجا الجيش بهذه العبارة من المصير الذي ألمَّ بجهاز الشرطة ومركباته وأقسامه ولم تنجح المحاولات الدؤبة على استفزاز جنود الجيش وضباطه لجره إلى آتون المواجهة مع الشباب المتظاهر المنفعل .

****

أصر كمال على عدم إغلاق مكتبه – كما فعل أغلب زملائه – رغم احتراق المحاكم والنيابات وأقسام الشرطة وتعطل العمل القضائي تمامًا، إلا أنه ظل مواظبًا على الذهاب إلى مكتبه بانتظام والاجتماع بمحامي المكتب وتبادل الآراء معهم في الأحداث



الجارية وتحليلها، وكان يرى أن كل الأحداث ستسلس في النهاية إلى تمكين جماعة الإخوان المسلمين من حكم البلاد باعتبارها الجماعة الأكثر تنظيمًا التي ستبقى متماسكة في ظل الفوضى العارمة التي سرت في أرجاء البلاد وذلك الانهيار الذي ألم بمفاصل الدولة، ظل حريصًا على مواعيد العمل رغم ما كان يتعرض له من مواقف صعبة في ذهابه وإيابه من وإلى مكتبه على يد الخارجين على القانون الذين كانوا يعترضون طريقه لتفتيشه وتفتيش سيارته تحت سلطة ما يسمى باللجان الشعبية ولم يكن ينقذه – أحيانًا - من براثنهم سوى أن بعض الخارجين على القانون كانوا يتعرفون عليه فهو معروف في أوساطهم كمحام جنائي شهير، فكانوا يسمحون بمروره دون الاستيلاء على نقوده ولا على سيارته رغم انتشار سرقة السيارات انتشارًا غير مسبوق.

ظلت الأوضاع متردية حتى بعد أن تنحى مبارك تاركًا السلطة مفوضًا المجلس الأعلى للقوات المسلحة في حكم البلاد. حاول المجلس أن يدير شئون المرحلة –



بمزيد من المرونة وقليل من الحزم، فأعاد ضباط الشرطة إلى أقسامهم وعيّن وزيرًا جديدًا للداخلية وتم القبض على أغلب رموز النظام ثم اضطر تحت ضغط المتظاهرين إلى القبض على مبارك وإحالته إلى التحقيق ثم حبسه على ذمة القضية التي اشتهرت باسم قضية "قتل الثوار". وقام أيضًا بتشكيل لجنة لتعديل الدستور مكونة من بعض القوى الثورية وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين وكانت السمة الغالبة على أعضاء هذه اللجنة أن أغلبهم لا دراية لهم بالفقه الدستوري ولا بقواعده.

****

أما رشدي فقد استغل السلطة التي منحتها الأحداث إلى مشايخ الدعوة السلفية وقام بمعاونة رجاله وبعض المشايخ إلى إعادة الأرض المسلوبة منه على إثر خيانة دعبس إذ كرَّ على المغتصبين كرة مباغتة استُخدمت فيها الأسلحة النارية بأعداد لم يقو رياض على صدها فاستسلم وترك الأرض فدخلها رجال رشدي واستعانوا في التمكن منها بتحويلها إلى ساحة

تخزين، وضع فيه بعض تجار السراميك من السلفيين عددًا غير محدود من الصناديق الخشبية الكبيرة المملوءة بكراتين السيراميك التي يصعب نقلها إلا باستعمال أوناش ضخمة. فاستحال على رياض الاقتراب منها أو محاولة احتلالها مرة أخرى.

ثم ما لبث أن قسَّم الأرض إلى قطع تتخللها شوارع ضيقة وبدأت تلوح سريعًا منطقة سكنية عشوائية قبيحة على الأرض الزراعية الذبيحة.

****

بدأت القوي السياسية والثورية في تكوين أحزاب سياسية - بعد حل الحزب الوطني - تمهيدًا لخوض الانتخابات التي تم تحديدها قبل نهاية 2011 وكان أبرز هذه الأحزاب "حزب الحرية والعدالة" الذي كونته جماعة الإخوان المسلمين ووصفوه بأنه الذراع السياسي للجماعة، أما الدعوة السلفية فقد تمخض عنها عدة أحزاب أهمهما حزب النور وحزب النهضة



وتم تعيين رشدي أمينًا عامًا مساعدًا لأحد هذه الأحزاب عن دائرة محرم بك.

أما باقي الأحزاب وعلى كثرتها لم تكن إلا كيانات هشة ليس لها باع ولا ذراع فالناس في مصر جُبلوا على الالتفاف حول شخص أو الانخراط تحت مذهب ديني ولا ينشغلون ولا يعبأون بالاتجاهات السياسية التي تتبناها تلك الأحزاب.

****

انتشرت شيماء بين القنوات الفضائية كناشطة سياسية تحلل الأحداث وتعلن مطالب الثوار وتتبنى حملة "لا لحكم العسكر" تنديدًا باضطلاع المجلس العسكري لمقاليد الأمور فيما سمي بالمرحلة الانتقالية.

شد ظهورها المتكرر وحماستها المتفجرة انتباه رشدي فأخذ يتابعها على التلفاز أينما ظهرت ونفسه تواقة إلى الأيام الخوالي عندما كان هو عالمها الوحيد، فاختمرت في نفسه الرغبة في أن يفوقها شهرة وانتشارًا فطلب إلى قيادات الحزب بالحاح أن يدبروا



له بعض اللقاءات التلفزيونية، فاستجابوا رضوخًا أو إرضاءً – فظهر في بعض البرامج الدينية مبرزًا للناس جميل طعم التوبة ليحثهم على تذوقها، نجحت هذه اللقاءات لما كان يتمتع به من أسلوب بسيط ولسان حاد ولحية كثيفة ومعلومات دينية قشرية مع حفظه لكثير من الأحاديث النبوية، حتى خصصوا له برنامجًا أسبوعيًا في إحدى القنوات الدينية التابعة للدعوى السلفية أسموه "خيرُ الخطائيين" للشيخ رشدي عبد العال. فبدأت أنامل الشهرة تومئ إلى رشدي رويدًا رويدًا.

وفي أحد الأسابيع وأثناء خروج رشدي من الأستوديو عقب تسجيله لبرنامجه الأسبوعي وجد نفسه أمام شيماء وجهًا لوجه أثناء خروجها من الأستوديو المقابل حيث كانت ضيفة على أحد البرامج.

تشبثت عيناه بعينيها ومد يده ليصافحها، لم تجد شيماء مفرًا عن مصافحته ولم تجد بأسًا في ذلك خاصةً وقد تركها تقيم بشقته رغم انتهاء عقد الإيجار منذ ما يقرب على العام دون أن يطالبها بالإخلاء ودون



محاولة للاتصال بها وهو تصرف أزال شيئًا من تغوُّر صدرها ضده، وما إن لامست أناملها كف يده حتى التهبت أعماقه حنينًا فخاطبها بصوت حنون هادئ:

- إيه الصدف الحلوه دي، إزيك يا دكتورة؟

جاوبته وهي تنزع يدها من يده المرتجفة شوقًا:

- الحمد لله؟

- بسم الله ما شاء الله، أنا متابعك ومعجب جدًا بآرائك وحماسك ووطنيتك.

- شكرًا وأنا كمان شفت البرنامج بتاعك، "موضوعه" مناسب جدًا لك.

شعر في إجابتها بشيء من اللمز فقال على الفور:

- أظن أن الموضوع يناسبنا احنا الاتنين، ربنا يتقبلنا في التائبين ويغفر لنا جميعًا.

- اللهم آمين.

- شيماء، أنا كنت عايز أكلمك في موضوع مهم.

- خير؟

- لأ مش حاينفع على الواقف كده تعالي نقعد خمس دقايق في أي مكان إن شالله في الاستراحة بتاعة الأستوديو، عندهم شاي بالنعناع حلو جدًا. اتفضلي ادخلي.. تعالي.

لم يترك لها فرصة للرفض فدخلت معه وانزويا بركن منعزل من الاستراحة. وطلب من النادل كوبين من الشاي المختلط بأوراق النعناع. ثم بادرها القول:

- أنا مش عايزك تكوني لسه شايلة مني من آخر مقابلة، ولو كنتي لسه زعلانة فأنا بعتذرلك يا ستي، حقك عليَّا. أصل الصدمة كانت شديدة عليَّا قوي، يعني.. كنت فاكر إنك حاتستنيني لغاية لما اطلع، ما هو اللي بينا ماكانش شويه ولا إيه؟

- سيبك من الكلام ده يا شيخ رشدي كل حاجة راحت لحالها.

- فعلًا كل حاجة راحت لحالها واحنا ولاد النهارده.. والنهارده إنتي بسم اللّه ما شاء اللّه دكتوره قد الدنيا وشخصية عامة ودي حاجة مفرحاني قوي، وأنا برضو النهارده بقيت واحد تاني أنا رجل أعمال معروف وعندي شركة كبيرة والناس كلها بتحبني وتحترمني وكمان بقيت شخصية عامة زيك وداعية إسلامي بفضل اللّه طبعًا، يعني أنا مش رشدي اللومانجي اللي كنتي تعرفيه، يمكن زمان كان فيَّا شوية حاجات كويسة لكن الحاجات الوحشة كانت أكتر، أنا حافظت على الحاجات الكويسة اللي كانت جوايا وربنا أكرمني وزودت عليها بالتوبة النصوحة وشطبت من حياتي كل الوحش وكل شيء يغضب ربنا.

- ربنا بتقبل منك ويثبتك ويقوي إيمانك.

- وعشان كده أنا عايز أعرض عليكي تاني إن إحنا نِكفَّر عن الحرام اللي كان بينا ونحوله لحلال ونتجوز بشرع اللّه وسنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم.



- اللهم صلي وسلم عليه. شوف يا رشدي إحنا فيه حاجة انكسرت جوانا وما أظنش انها ممكن تتصلح.

- لا اللي انكسر يتصلح ومافيش حاجة ما بتتصلحش – لو ربنا أراد-.. يا شيماء احنا اتخلقنا عشان بعض ومش حانقدر نبعد عن بعض، زمان الذنوب قربتنا لكن في المعصية والنهارده التوبة لازم تقربنا على سنة الله ورسوله، وأنا تحت أمرك في كل اللي تطلبيه.. ومش عايز منك رد دلوقتي، فكري براحتك وأنا حاتصل بيكي بعد بعد الانتخابات ما تخلص يعني عشرة أيام كده عشان نحدد معاد كتب الكتاب بمشيئة الله.

- ربنا يعمل ما فيه الخير.

- صلي صلاة استخارة واستفتي قلبك وإن شاء الله حايدلك على الخير.

انصرف كل منهما إلى سيارته عائدًا إلى الإسكندرية.

في طريق عودتها مررت شيماء شريط حياتها مع رشدي فانكشف لها أنه- شاءت أم أبت - كان دومًا



صاحب فضل عليها فقد أنقذها من السجن وانتشلها من طريق الإدمان وأمّن لها مستقبلها أثناء حبسه وحتى أثناء ثورته الأخيرة عليها عقب أن صدمته بخبر زواجها لم يمضِ في طريق الانتقام وترك لها شقته تأويها وجزءًا من نقوده تكفيها شر الفاقة دون أن ينتظر منها المقابل، عكس ذلك المدعي المتسلق المدعو/ فهمي فقد ولى الدبر وتنكر لها عند أول مفترق، وإن كانت حياتها قد تغيرت للأفضل فيظل رشدي صاحب الفضل الأول في هذا التغيير، وكما سارت هي في طريق التوبة والاستقامة فقد قطع هو فيه شوطًا ربما يكون أبعد. فلمَ لا تفكر في عرضه وتأخذه مأخذ الجدية؟ سيما وقد بدأت العلاقات بينها وبين أسرتها تتحسن ولم يكن يكدر على أمها شيء إلا حياتها وحيدة بلا زوج ولا أطفال.

****

بدأ جهاز الشرطة يستعيد شطرًا من تواجده وإن كان الأمن لم يستتب تمامًا إلا أن ظاهرة اللجان الشعبية بدأت في التقلص بدرجة كبيرة، وكان لوجود وحدات



من القوات المسلحة تعاون الشرطة في فرض الأمن أثرٌ كبيرًا في ضبط إيقاع الشارع من الناحية الأمنيه ضبطًا جزئيًا، فقد ظلت الجرائم ترتكب بلا رادع قوي، وظلت الاعتداءات علي الشرطة تتوالى سواء من الخارجين على القانون الذين استمرأوا انكسار الشرطة أو من بعض المتظاهرين من شباب الثورة الذين استمروا في الاعتداء علي وزارة الداخلية باعتبارها في نظرهم رمز الاستبداد.

****

بعد الثورة وحرق مقار مباحث أمن الدولة والقبض على أغلب قياداتها الأمنية وإحالة باقيهم إلى الاستيداع أو نقلهم إلى مواقع أمنية نائية بلا سلطات. وبعد هروب جميع المعتقلين من السجون واستقرار كل من أبي مصعب والأبتر وأنصارهما في سيناء لم يعد لرشدي دور في تهريب السلاح فقد صار السلاح يباع في الطرقات سيما بعد انهيار النظام الليبي على إثر موجة ثورية مسلحة من تلك الموجات المتتالية التي أطلق عليها ثورات الربيع العربي فانتشرت

الأسلحة الثقيلة – التي خلفها الجيش الليبي - في يد العامة والدهماء.

استغل رشدي انتقال زمام السُّلطة إلى يد القيادات الإسلامية وقام على الفور باستخراج ترخيصٍ بحمل سلاح ناري، ولم يحل دون ذلك سجله الإجرامي الحافل.

****

قبل انقضاء الأيام العشرة التي منحها رشدي لشيماء لتفكر في عرض الزواج دق جرس هاتف شيماء ليعلن أن رشدي يتصل، فتحت الخط فورًا وبادرته التحية:

- السلامُ عليكم.

- السلامُ ورحمة الله وبركاته. إزيك يا دكتورة أخبارك إيه؟

- الحمد لله وانت إيه أخبارك؟

- نحمد الله عز وجل الأمور كلها ماشيه تمام.



- أنا سمعت إنك بقيت قيادي في الحزب بتاعك ماشاء الله وعامل نشاط كبير.

- فعلًا، ربنا يقدرنا ويدينا العمر ونشوف كدة الدولة الإسلامية أقوى دولة في العالم.

- اللهم أمين، لكن انت مارشحتش نفسك ليه في قايمة الحزب؟ ده انتوا عاملين نتايج هايلة وأخدتوا أصوات قريبه من الأصوات اللي احنا أخدناها خصوصًا في المرحلة الأولى.

- احنا وانتوا واحد مش حاتفرق، وانا رفضت أرشح نفسي، بيني وبينك الأحكام اللي أخدتها أيام الشقاوة – الله لا يعيدها – كانت حاتمنعني.. بأقولك إيه؟ أنا مش باتصل بيكي عشان كده، أنا عايز أعرف ردك إيه؟ وإمتي إن شاء الله حانكتب الكتاب؟

ضحكت شيماء قائلة:

- والله يا رشدي أنا صليت صلاة استخارة ومن بعدها لقيت قلبي مستريح.. بس أنا عندي شوية طلبات



صغيرة كده.

- الحمد لله، طلباتك كلها أوامر.. اعتبريها اتنفذت كلها من غير ما أعرفها.

- الأول أنا عايزاك تيجي تطلب إيدي من خالي، لأنه في مقام والدي وهو ولي أمري.

- خالك؟ هو انتوا اتصالحتوا خلاص؟

- الحمد لله بعد الثورة كل حاجة اتغيرت حتى الناس.. أنا لقيته هو اللي بيتصل بيَّا، بعد ما شافني في التليفزيون فضل يدور على نمرتي وكلمني ورحت البلد والناس كلها قابلتني ورحبوا بيا خالص وشُفت أمي واطمنت علي أختي والميه رجعت لمجاريها.

- آه طبعًا ما انتي بقيتي نجمة مشهورة وأهلك طبعًا عايزين يتفشخروا بيكي، خلاص شوفي إمتى أقابله وأطلبك منه يا ستي تحت أمرك.

- والشقة يا رشدي، أنا مش حاسه بأمان وأنا قاعدة فيها كده زي الضيفة.

- خلاص يا شيماء الشقة حاكتبها باسمك، اعتبريها مهرك.

- وخالي حايطلب منك مؤخر وقايمة والكلام اللي زي كده، مش عايزاك تدقق معاه.

- كل اللي حايقوله خالك حايتنفذ أنا ماعنديش أغلى منك يا شيماء.

- خلاص على بركة الله ممكن تيجي يوم الجمعه الجاية بعد صلاة العشا حايكون خالي وأمي عندي في البيت.

- على بركة الله، خلصتي شروطك؟ أنا كمان عندي شرط.

- شرط إيه؟



- النقاب ياشيماء..ماينفعش الناس كلها تشوف وشك الجميل ده.

- أنا معنديش مانع، بس مش دلوقتي، نستحمل لغاية لما البلد تهدا والدنيا تمشي عشان انت عارف إني كل شوية عندي لقاء تليفزيوني ومش معقول حاظهر فجأة كده بالنقاب.

- مافيش مانع نستنى شويه لغاية لما انتخابات الرياسة تخلص. ثم قال ضاحكًا:

ولما يحصل اللي نفسنا فيه البلد كلها حاتتنقب مش إنتي بس.

- أوكي يا رشدي خلاص ربنا يعمل ما فيه الخير.

****

في حفل عائلي بسيط حضره خالها وأمها وشقيقتها الصغرى وبعض من الأقارب والأصدقاء عقد رشدي قرانه على شيماء بعد أن حرَّر لها عقد بيع للشقة لتكون

ملكًا خالصًا لها كمقدم صداق ومبلغ خمسمائة ألف جنيه كمؤخر نزولًا على شروط خالها الحاج عبد المولى الذي أصر أيضًا على أن يوقع رشدي على قائمة منقولات ضمت جميع المنقولات الموجودة بالشقة والأجهزة الكهربائية واتفقا أيضًا على المشاركة في فتح صيدلية كبيرة بعد أن تلتزم بارتداء النقاب، شعرت شيماء بالرضا ولامست السعادة قلبها فأوجسه الخوف فقد ألف الهموم.

****

أما دعبس فقد واصل غيه وبطشه واستبداده وتحرشه بالنساء والغلمان غير مبالٍ، بل وصل تمرده وعنفوانه أن اعتدى على الشيخ سعيد الزيني كبير مشايخ السلفية بالحي بأقذع ألفاظ السب والقذف والإهانة شاهرًا عليه السلاح لمجرد أن الشيخ أراد أن يصده عن الاعتداء على شاب مسكين افتتح مغسلة صغيرة لغسيل السيارات لأنه عجز عن سداد الإتاوة التي فرضها عليه ذلك الباغي، أوغر هذا الاعتداء



صدور جميع المشايخ فأضمروا الانتقام من هذا الفاسد المفسد.

وبينما استغل دعبس أزمة البوتجاز وراح بمعاونة رجاله ونفوذه الإجرامي يجمع أسطوانات الغاز من المستودعات ليعيد بيعها بأسعار مضاعفة، كان رشدي يقوم باستئجار الشاحنات ذات الفناطيس لينقل على متنها البنزين مدعوم الثمن من مصر ليعبر من خلال الأنفاق إلى غزة ليحقق أرباحًا هائلة تفوق ما فات عليه من أرباح تهريب السلاح.

****

كان رشدي قد تبرع بشقة كبيرة في أحد العقارات التي يملكها بالحي الذي يقطنه وأسسها لتكون إحدى مقار الحزب.. وفي أحد الاجتماعات التي كان يعقدها لمناقشة مشاكل أهل الحي ووضع سبل تزليلها اجتمع لديه رهط من الناس يشكون إليه بطش دعبس الذي وصل إلى حد لا يمكن السكوت عليه، بكى رجل كفيف وهو يشكو اعتداء دعبس على نجله جنسيًا كرهًا وبغيًا



وفجورًا غير عابئ بدين أو قيم أو تقاليد وأنه غير قادر على صده وأن ابنه هرب من الحي بلا أثر وأنه أضحى هائمًا يبحث عن ولده وسنده الوحيد دون جدوى.

تأثر الجميع وراحوا يناشدون رشدي في أن يكف عنهم شر دعبس سيما وأنه كان أحد رجاله المقربين وأن تدخله سيكون ذا أثر - لا ريب - لدى هذا الباطش الفاجر.

****

بعد عودته من رحلة قصيرة لأداء مناسك العمرة بصحبة شيماء ذهب رشدي إلى المسجد لأداء صلاة العصر ومباشرة أعماله المعتادة بمقر شركته.

وبعد أداء الصلاة وقف على قارعة الطريق أسفل مقر الشركة يتحدث في هاتفه المحمول، مر دعبس بسيارته من أمام رشدي فناداه رشدي بصوت جهوري زاعق فتوقف بالسيارة ثم عاد بها إلى الخلف قليلًا في اتجاه رشدي بينما تقدَّم إليه رشدي ووقف بجانب



السيارة وفتح بابها المقابل لدعبس وأخذا يتبادلان أطرف حديث لم يتبينه أحد، وبعد دقائق معدودة سمع الجميع صوت دوي إطلاق أعيرة نارية سريعة متلاحقة كتلك التي تنطلق من الأسلحة الآلية، وسرعان ما شاهدوا رشدي قابضًا بيده على مسدس وأخذ في التقهقر بعيدًا عن السيارة صائحًا "أنا قتلت دعبس" وانصرف مسرعًا بينما توجَّه الناس إلى السيارة التي كانت تقل دعبس في ذعر وذهول فوجدوه غارقًا في دمائه، وإلى جواره تتدلى بندقية آلية من صوب المقعد الأمامي الأيمن إلى أرضية السيارة.

انتشر الخبر سريعًا وتجمع الناس ونُقل دعبس إلى المستشفى جثة هامدة، بينما سرت الأقاويل بين الناس حول سبب الحادثة فالبعض راح يؤكد أن المشايخ كلفوا رشدي بقتل دعبس جزاءً له على إهانة الشيخ سعيد الزيني، وقد اختير رشدي لتنفيذ هذا التكليف لأنه صديقه القديم وأحد رجال عصابته وهو الأولى بقتله.



بينما ذهب آخرون إلى التأكيد على أن رشدي قد بيت النية على قتله جزاءً لخيانته له بعد أن استولى على نقوده وسلم الأرض التي كلفه بحراستها إلى مغتصبيها، بينما أكد فريق ثالث على أن رشدي قد تأثر بالشكاوى التي وردت إليه من الناس سيما ذلك الشيخ الضرير الذي اعتدى دعبس على شرف ابنه الصغير فقرر تخليص الناس من شروره.

ذهب رشدي من فوره إلى قسم الشرطة مسلمًا نفسه وسلاحه المرخص مقررًا لضابط المباحث أنه عندما لمح سيارة دعبس تمر من أمامه نادى عليه واستوقفه ليتحدث معه حول شكاوى الناس من تصرفاته واعتدائه المستمر عليهم وفرض الإتاوة بالقوة، ثم ما لبث أن تطرق إلى معاتبته بلهجة حادة حول اعتدائه على الأطفال والصبية وهو الأمر الذي أثار حفيظة دعبس فامتدت يده إلى بندقية آلية كانت على المقعد المجاور له - فلم يكن يسير إلا مسلحًا بها إلا أنه أسرع باستخراج سلاحه المرخص قبل أن يتمكن دعبس من التقاط البندقية وضغط على زناد مسدسه سريع

الطلقات فخرجت منه عدة طلقات دفعة واحدة أصابت دعبس.. وأنه كان في حالة دفاع شرعي عن النفس.

أحيل رشدي إلى النيابة التي حققت الواقعة واستمعت إلى كل شهودها فانقسموا فيما بينهم إلى الآراء الثلاث التي شاعت بين أهل الحي.

أمرت النيابة بحبس رشدي على ذمة التحقيق تمهيدًا لتقديمه للمحاكمة بتهمة قتل دعبس عمدًا مع سبق الإصرار والترصد.

ارتاح الناس جميعهم من شرور دعبس واجتمعوا على الابتهاج بقتله ولكنهم لم يجتمعوا علي السبب الذي دفع رشدي إلى قتله.

****

جلست شيماء متخفية في نقابها علي الأريكة الأخيرة في قاعة محكمة الجنايات انتظارًا لمحاكمة رشدي، دخل الأستاذ كمال سعيد المحامي إلى القاعة يرتدي



روب الدفاع الأسود بينما يقف رشدي برداء السجن الأبيض خلف قفص الاتهام، ذكرها المشهد بيوم المحاكمة الأولى، كل شيء يتماثل فهي تجلس على ذات المقعد الذي كانت تجلس عليه في المرة الأولى إلا أن نجوى هذه المرة لم تكن بجانبها.

جمال سويد

* * *



noon_publishing@yahoo.com

0235860372- 01127772007